تحقيقٌ
في عَلامَاتِ الظُّهُورِ الشرِيْفِ

المُكَنَّى بـ "مِيزَاب الرَّحمَة"

- الجزء الأول -

تصنيف

سماحة المرجع الديني آية اللّه الفقيه المحقق

الشيخ محمَّد جميل حمُّود العاملي دام ظله


٢

الطبعة الأولى

مركز العترة الطاهرة للدراسات والبحوث

لبنان - بيروت

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

بالتعاون مع

مؤسسة قمر بني هاشم عليه السلام

للتسجيلات الإسلامية والطباعة والنشر

ماليزيا - كوالالمبور



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ... ﴿٨٦﴾ ﴾

صَدَقَ اللهُ العليُّ العظيمُ

اللهمَّ كُنْ لِوليِّكَ الحُجَّةِ ابنِ الحسن
صلواتك عليه وعلى آبائه
في هذه الساعة وفي كُلّ ساعة
وليّاً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً
حتى تسكنه أرضكَ طوعاً وتمتعهُ فيها طويلاً
برحمتك يا أرحم الراحمين



الإهداء

سـيِّدي ومـولاي يـا بقيـةَ اللهِ الإمـامَ الحُجَّـةَ القـائمَ ابـنَ الإمـامِ الحسـن العسكري وابن نرجس الروميَّة سيِّدة الإماء (سلام الله عليكم)... يـا حَفيـدَ الـوليِّ الأكبر والإمامِ الأعظمِ الآيةِ العظمى أميرِ المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب وحفيدَ وليّةِ اللهِ العظمى الصدّيقة الكبرى مولاتنـا وسيِّدتنا فاطمـةَ الزهـراءِ الشـهيدةِ المظلومـة عليها السلام ...يـا أبـا القاسـمِ..أيها الملتحـف بضـياء القـدس ، المتسـربل بعشق جدَّته الحوراء فاطمة الكـبرى المظلومـة..يا مـن يتوقـد مـن جوانبـه نـور الصمد.. أيها المهدي الموعود المنتَظَر...أرفَعُ إلى مَقامِكَ الرفيعِ السامي هـذا الجهدَ المتواضعَ وأضَعُهُ بين يديكَ الكريمتين بالرَّغْمِ مما عانيتُهُ ولا زلتُ أعانيه من أذىً وسوءٍ وضُرٍّ وخيانةٍ وكيدٍ مـن جهـاتٍ بترية تنتسبُ إليك بالتشيعِ والـولاءِ ظـاهراً وتضـمر العـداوةَ لـكَ ولمواليك باطنـاً ، وبـالرَّغْمِ مـن كـلِّ مـا يرميني به الموتـورون مـن بتريـةِ ونواصـبِ الشيعة والمخـالفين... ومـن عسـاه يكـونُ أولى منـك بالإهـداء والإكـرام إلا آبـاؤك الطـاهرون عليهم السلام ، ولكنَّـكَ متميِّـزٌ عـنهم بأنَّـكَ نهايـةُ الآمـالِ والتطلعـات نحـوَ العـدلِ والقسـطِ والنجـاةِ والهدايةِ...

سيِّدي أبا صالحِ المهدي... بحقِّ أبويكَ المظلومَيْنِ الإمام الحسن العسكري ونرجس عليهما السلام وبحقِّ جدتِكَ المظلومـةِ الكبرى سـيِّدةِ نسـاءِ العـالمين فاطمـةَ الزهراءِ وجدِّك المظلوم الأول أمير المؤمنين علي بن أبي طالـب (سلام الله عليهم

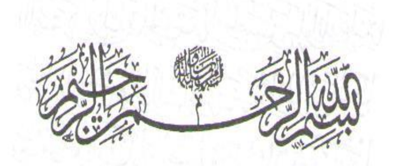
أجمعين) ألتمسُ من عطائِكَ الذي لا ينْضَب ومن نورِ قُدْسِكَ الأَبْهَر وبهائِكَ الأعظم الذي لا تنفد خزائنه... راجياً أن تكون لي الشفيعَ إلى ربِّك وربي ليدفعَ عني كيدَ الحاسدينَ وحِقْدَ الخائنين وشرورَ النواصبِ البتريين والمخالفين؛ كي أستمرَ بمواصلةِ جهادِ أعدائك ومقارعةِ ظالميكَ وحسَّادكَ والمتربصين بك وبأوليائك الدوائر.... لأنَّكَ تعْلَمُ سيِّدي أنَّ كلَّ ما يرميني به الموتورون من بتريةِ ونواصب الشيعة والمخالفين لم يكنْ مِنْ أجلِ منافسةٍ في سلطانٍ ولا التماساً لشيءٍ مِنْ فضولِ الحُطام، وإنما كان ذوداً عن مقاماتِكُم العالية وظلاماتِكُم العظمى وبيانِ معارفِكُم الشريفة وأحكامِكُم المنيفة... فرموني بسهامِهم المُرَّة، وأذاقوني كأساً مصبّرة مِنْ قوارصِ السِّبابِ والشتمِ واللعنِ والتحقير والإزدراء... ومع ذلك كلِّهِ فإنني أوطّنُ نفسي على الصبر في جَنْبِ رضاكَ والذَّوْدِ عن حِماك... وإنِّي أشكو إليكَ وحْدَتي وغُربتي...فلأنَّه ليس لي أحدٌ سواكَ أشكو إليه ظُلامتي في سري وعلانيتي، وليس مِنْ أحدٍ أبثُّ إليه شكايتي سواكَ يا روحَ عمري ونسيم فؤادي، عساي أجد بُغْيَتي عند جنابك الأقدس يا كهفي وسَلْوَتي، فكن لي المعين والنصير والوليّ والمسدّد يا نورَ اللهِ في أرضِهِ وسمائِهِ... فهذه حاجتي أرفعها إلى مقامك السامي، فأرجو أنْ تشْمَلَني بعطفِكَ ومحبتِكَ ورعايتِكَ وولايتِكَ يا كهفي حين تُعييني المذاهبُ ويتهكَّم عليَّ كلُّ عدوٍ وحاسدٍ... فبحقِّ أُمِّكَ الزهراءِ البتول عليها السلام إلا ما نظرتَ إليَّ نظرةً رحيمةً تبثُّ في روحي وعقلي

قـوةَ الجهـادِ لأعـدائِكَ واخـتم لـي بحسـنِ العاقبـةِ، ولا تتركـني في مـواطنِ الوحشة والغربة... فمَنْ لي غيرُكَ يا أملَ الحياةِ والمعادِ... يا كعبةَ اللهِ وعينَهُ الناظرةِ ويدَهُ الباسطةِ... إليك أرفعُ آهاتي وزفراتي واستغاثاتي عسى أنْ تفتحَ لي بابَ الفرجِ فأحظى منك ببسمة ثغْرٍ ورضا خاطرٍ وزلفى لديك يا ابنَ الطاهرة الزكيَّة فاطمة الزهراء عليها السلام.. يا ابنَ الإمامِ الحُجَّةِ الحسنِ العسكري عليه السلام.. يا وحيدَ أُمِّهِ الطاهرةِ خيرة الإماء السيِّدة نرجس الرومية عليها السلام.. إليك سلامي وأشواقي ودعواتي وتحياتي... صلى اللهُ عليكَ وعلى آبائِك الطاهرين ورحمة الله وبركاته... أرجو دُعاءَك الشريف الذي يخرقُ الحجبَ السبعة، يا جنَّةَ الأرضِ والسماء، يا شمسَ اللهِ الطالعةِ وقَمَرَهُ المنير، مولاي يا وليّ الأمر أيها المهدي المنتظر.....يا قائمَ آلِ محمد أغثني.

كلبك الباسط ذراعيه بالوصيد يترصد أعداءك
عبدك الحقير محمّد
بيروت بتاريخ ٧ جمادى الثانية ١٤٣٦هـ



المقدِّمة



الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، قاصمِ شوكة المعتدين، مبير الظالمين، وأفضلُ التحياتِ وأشرفُ الصلواتِ على سادة خلقه وقادة رسله محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة على مَنْ عاداهم وتخلَّف عن السير على خطاهم وجحد فضائلهم ومنازلهم ومقاماتهم ومعاجزهم وكراماتهم وظلاماتهم من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين ... وبعد.

إنَّ الغاية التي مِنْ أجلها صنَّفنا هذا الكتاب تتمثَّل في أمرين:

(الأمر الأول): أن ندفع بالبراهين والأدلة الشكوكَ والأوهامَ التي أُثيرتْ حولَ علاماتِ الظهور الشريف مِنْ بعضِ الكتَّاب المحدثين في القرن العشرين والتي لا يزال صداها يتردد إلى يومنا هذا من القرن الحادي والعشرين..

(الأمر الثاني): أن نضعَ القواعدَ والضوابطَ الشرعية والعقلية التي من خلالها تُضْبَط عمليةُ تطبيق العلامة على مسرح الأحداث الدالة على قرب ظهور إمامنا المعظَّم الوليّ الأعظم الحجَّة بن الإمام الحسن العسكري عليهما السلام، ذلك لأن مَنْ لا حريجة لهم في الدين أسقطوا بعضَ

أخبارِ الظهور الشريف الحاكية عن راية الهدى التي ستخرج قبل ظهور الإمام الحُجَّة القائم (أرواحنا فداه) على شخصيات دينيَّة سياسيَّة طالما أغرقتها الأموال والجاه والسلطان، واستغرقوا في محبتها بدواعٍ أُخرى لسنا بصدد بيانها ههنا...!

إن سوءَ التطبيق ـ بسبب خلفياتٍ نفسيَّة وعوامل خارجية ـ عند كتّابٍ جددٍ ليس لديهم الخبرة العلميَّة والفقهيَّة والرجاليَّة.. أدى إلى هذا التخبط والعشوائية في الانتقائية التطبيقية لعلامات الظهور الشريف.. ما دعانا إلى تصنيف هذا الكتاب ليكونَ ضابطةً كليَّةً لكلّ مَنْ أراد التصنيفَ حول علامات الظهور المبارك...وفي الوقت نفسه لنكشف عن زيف أولئك الذين اشتهروا بالتحقيق وجودة التصنيف؛ مع علمنا بأن شهرتهم لها خلفيات سياسية حزبية تسعى إلى السلطة والهيمنة الفكرية..!.

لقد عالج كتابُنا هذا موضوعَ تطبيقِ العلامات الغيبية على الحوادث الخارجية وردّ الاجتهادات الشخصية القائمة على الاحتمالات والتوهمات الشخصية التي أسقطوها على الإخبارات الغيبية الخاصة بعلامات الظهور الشريف...وما فعلوه أمرٌ خطيرٌ جداً على المستوى العقائدي والفقهي باعتباره تحريفاً وتلفيقاً على المصادر الغيبية من حيث جزمهم بضرسٍ قاطع بأن ما أسقطوه على الأخبار هو الحقُّ الفصل وما عداه باطلٌ وزخرفٌ...ولا ينقضي عجبي ممن كتب في مقدِّمة كتابه (دراسة في علامات الظهور) في

دعواه بأنَّه يرمي ــ من خلال دراسته الموجزة للإخبارات الغيبية ــ إعطاء الرأي بصراحة وبموضوعية، وتسجيل الموقف على أساس علمي رصين بدلاً من الاستقصاء والاستيعاب ـ حسب دعواه ـ مع أنه في بحثه قد وقع في شبهةٍ كبرى حينما ادَّعى تعلق البداء في العلامات المحتومة التي دلت الأدلة القطعية على أنه لا بَداء فيها.. ولا أدري كيف صارت دعواه المزعومة من المواقف المبنيَّة على أساسٍ علمي رصين رغم تواتر الأخبار الدالة على نفي البَداء في العلامات المحتومة؛ اعتماداً منه على خبرٍ واحدٍ يثبت البداء في العلامات المحتومة..!!.

وهل مِن الموضوعيَّة العلميَّة نَفْيُ المتواتر في مقابل الخبر الشاذ..؟! وهل الرصانة العلميَّة تكون في أنْ نتعصب لميولنا وعواطفنا على حساب الحقِّ والحقيقة ..؟!

إنَّه لمن الصعب أن نقنع أشخاصاً بالحقيقة والصواب وهم قابعون في ذواتهم خاضعون متعصبون لذواتهم وميولهم، ولكنَّ ذلك لم ولن يمنعنا من مواصلة مسيرة الجهاد العلمي في سبيل الله تعالى وسبيل الحجج الطاهرين عليهم السلام حتى لا يقولوا يوم القيامة إنّا كنا عن هذا غافلين.. ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

إن مَنْ يتعصب لذاته وميوله المتعددة وتشكيكاته المتنوعة لا يمكن له أن يرى الحقيقة بعين البصيرة؛ بل سيزداد حيرةً وجهلاً وعصبيةً وهو أمر خبرناه في وجوه وعلى ألسن بعض العمائم التي لم تتربَّ على الانصياع للحقِّ والانقياد إلى الحقيقة والصواب...

ومهما يكن الأمر: فإنَّ ما نصبو إليه في هذه الدراسة العلمية إنما هو كشف زيف المدَّعين للتحقيق في علامات الظهور الشريف.. وهو ما سيظهر للقارئ جلياً خلال تتبعه لفصول هذه الدراسة الموجزة التي أنجزناها منذ أكثر من ثماني سنين ولم نوفق لنشرها بسبب ظروف موضوعية أعاقتنا عن ذلك؛ ولعلَّ الخير فيما وقع، حيث قمنا بزيادة بعض المطالب التي لم تكن في الحسبان مقتدين بقول مولانا الإمام السجاد عليه السلام في دعاء سحر شهر رمضان: ﴿ **ولعلَّ الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور** ﴾.

قواعد وضوابط في تحقيق العلامات: لَّما كانت دراستنا حول علامات الظهور الشريف علميَّةً صرفة تعتمد على مباني علم الكلام وأُصول الفقه وقواعد علمي الرجال والدراية، كان لا بدَّ لنا من تقديم الضوابط العلميَّة التي يمكنُ من خلالها ضبطُ ورصدُ كلّ كتابةٍ تحومُ حولَ علاماتِ الظهور الشريف لتكون ـ أي الضوابط المذكورة ـ بمثابة ميزانٍ ومقياس توزنُ وتقاسُ به جميعُ المآزر المصبوغة بصباغ العلم والتحقيق، وهذه الضوابط كثيرة جداً، إلا أنَّ أهمها ما سنذكره في هذه العجالة وهي الآتية:

١ـ التأكيد على العلامات الحتمية ؛ فضلاً عن العلامات غير المحتومة ؛ وهذه الضابطة الحتمية أورد عليها العلامة السيِّد جعفر مرتضى العاملي في كتابه : " دراسة في علامات الظهور " ، فلم يرتضِ أنْ تكونَ العلاماتُ المحتومة ضابطةً عامة للأحداث المستقبلية ، وذلك لحصول البداء فيها ما عدا خروج الإمام الحجَّة القائم (صلى الله عليه)، وسيأتي الإيراد عليه لاحقاً.

٢- التأكيد على الأخبار المستفيضة والمتواترة من دون الأخبار الشاذة.

٣- رفض الإسقاطات على الأخبار الشريفة الحاكية عن عصر الظهور الشريف ؛أي : رفض إسقاط القيادات الدينية على الأخبار الكاشفة عن راية الهدى إلا على نحو العموم..

٤- رفض التأويلات والاجتهادات المبنيَّة على الاستحسانات العقليَّة والذوقيَّة..

٥- البناء على العمل بالقواعد الأُصولية التي أمرنا بها أئمتنا الأطهار عليهم السلام.

٦- العمل بالقواعد الرجاليَّة المعمول بها عند الرجاليين والأعلام في معالجة الأخبار المتعارضة.

٧- عدم جواز طرح الأخبار الموقوفة ؛ إذ يجب التسليم بها باعتبارها القاعدة التي تربط المكلَّفين بالإمام الحُجَّة القائم عليه السلام ، وتدعوه للترقب

والحذر والشوق إلى الإمام المعظَّم الحُجَّة القائم عليه السلام (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء).

٨ - ربط الأخبار الموقوفة بالأصول الثابتة، فيؤخذ بما وافقها، ويُتْرَك ما خالفها.

٩- رفض الأخبار العاميَّة؛ بما فيها تلك التي رواها أعلامٌ من الشيعة في مصادرهم، إذ لا خير في أخبار المخالفين. نعم، يؤخذ بما وافق أخبارنا الشريفة وكان قرينةً على إبطال فكرةٍ فاسدة أو دعوى باطلة.. ولو تعارض خبران: سني وشيعي، وجَبَ تقديم الخبر الشيعي على غيره، ولم يجز الأخذ بأخبار المخالفين إلا ما كان منها موافقاً لأخبارنا أو مدعوماً بقرائن معتبرة أو قطعية...

١٠- رفض أي تأويل يقوم به كتّابٌ متحزبون؛ لأن ما يؤوّله هؤلاء يتوافق مع توجهاتهم السياسية، وهو أمرٌ يتعارض مع الأخبار الدالة على وجوب الأخذ من الرواة الثقات لا المشككين والمتحزبين والبتريين؛ بل يجب التركيز على تحليلات الثقات المعروفين بالتقوى والورع وقول الحق...

١١- التعويل ـ بحذرٍ شديد ـ على تحليلات أهل الاختصاص بالعقيدة وفقه الأخبار لا سيَّما فقه الظهور، وتحليلات العلماء الأعلام الثقات لا الهواة الأبكار الذين لم يحسنوا دراية رواية أو تفسير آية لا سيَّما بعض الجدد منهم...!.

ولا يعني التعويل على تحليلات الأعلام أن كلَّ ما يقوله هؤلاء حقٌّ وصوابٌ ؛ بل نبقيه تحت دائرة الاحتمال ؛ لأن آراءهم ليست وحياً منزلاً يجب التعبد به ، بل هي مجرد اجتهادات قد تصيب وقد تخطئ..

١٢- الأخذ بالخبر المحتوم المؤيَّد بالأخبار الأخرى ، وترك الخبر النافي لإحدى العلامات المحتومة باعتبارها شاذة ، وهو ما وقع فيه العلامة السيّد جعفر مرتضى العاملي في كتابه " دراسة في علامات الظهور " ، حيث أخذ برواية داوود بن القاسم الشاذة ، وترك الأخبار القطعية الدالة على أن السفياني من المحتوم.. فلا بدَّ من تقديم الأخبار المحتومة على الأخبار المتعارضة في المحتوم.. وهي معضلة وقع فيها صاحب الدراسة المذكورة[1] .

لقد كان صاحب الدراسة المذكورة مضطرباً في الجمع بين الأخبار المتعارضة بسبب ضعف استدلاله في معالجة الأخبار المتعارضة المعمول بها في الوسط الفقهي ، وكأنَّه فصل بين التعارض الحاصل في أخبار الظهور الشريف وبين أخبار أحكام الفروع الفقهية ؛ فأخذ بالخبر الشاذ الدال على حصول البداء في العلامات الحتمية ، وهجر الأخبار القطعية الدالة على وجوب الأخذ بالأخبار الحتمية... وهو فصل لا يبتني على قواعد وأُسس أُصولية ورجالية ، كما أنه فصلٌ يفتقر إلى الدليل والبرهان ، عدا عن أنَّه

(1) ـ راجع: دراسة في علامات الظهور ص ٣٠ .

مخالف للإجماع والنصوص القطعية الصدور الدالة على حتمية العلامات الخمس وأنه لا بداء فيها.

هذه أهم الضوابط الكليَّة في معرفة علامات الظهور الشريف ضمن قواعد رجالية وفقهية وغير ذلك، لتكون قاعدة الانطلاق لكل عالمٍ متخصص يريد البحث في الإخبارات الغيبية ليوم ظهور الإمام الحجَّة الموعود عليه السلام.

وقد قسَّمنا بحثنا حول ضوابط وقواعد علامات الظهور الشريف إلى ثلاثة فصول:

(الفصل الأول): ونتناول فيه البحث عن أهمية الإمامة الإلهية ومتفرعاتها من نصب الإمام عليه السلام ووجوب معرفته؛ وغايتنا منه التأكيد على منصب الإمامة الإلهية، وأن صاحبها على منزلة جليلة لا يُقاس بالناس، وأن إخباراته الغيبية ليست وراثية كان قد اقتبسها من النبيِّ الأعظم صلَّى الله عليه وآله مباشرة أو عبر واسطة.

(الفصل الثاني): وخصصنا البحثَ فيه حولَ القنواتِ العلميَّة للأئمة الطاهرين (سلام الله عليهم)؛ لنؤكد للعلماء القشريين ـ ولغيرهم ممن يحسبون أنفسهم محققين مجتهدين ـ بأن الإمام عليه السلام فوق ما يتصورون بعقولهم الفاترة وبأقيستهم واستحساناتهم الكاسدة.

(الفصل الثالث): محوره الإيراد على بعض المصنِّفين الذين أسقطوا بعضَ الحوادث والملاحم على أخبار الظهور الشريف من دون ضوابط وقواعد؛ ما

أدى إلى وقوعهم في التيه والخبط في النتائج التي وصلوا إليها ؛ وقد كشفنا فيه ـ بفضل الله وتوفيق الحجج الطاهرين عليهم السلام ـ زيفهم وجهلهم المركب.

أدعو الله تعالى أن يجعل عملي هذا ذريعةً لي لنيل رضوانه ومحبة وليّه بقية الله الأعظم الحُجَّة القائم (أرواحنا فداه) ؛ راجياً منه تعالى أن يشرفني بالالتحاق في ركب وليّه في الحياة وبعد الممات إنه وليٌّ النعمة والتوفيق والسداد.

كلبهم الباسط ذراعيه بالوصيد
محمد جميل حمّود العاملي – بيروت
بتاريخ ٢٩ ربيع أول ١٤٣٦ هـ

الفَصْلُ الأَوَّلُ

أهميةُ
الإمامةِ الإلهيَّةِ
ومتفرعاتِها

والبحث هنا في نقطتين:

(**النقطة الأولى**) : تسليط الضوء على منصب الإمامة الإلهية :

لا يخفى على ذي مسكة عند محققي الإمامية ما للإمامة الإلهية من أهمية كبرى على الصعيد العقائدي والفقهي باعتبار أنها أصلٌ من أُصول الاعتقادات والتشريعات، فهي امتدادٌ للنبوة والرسالة؛ ولا يعني ذلك بالضرورة العقلية والشرعية أن النبوة أعظم درجةً من الإمامة.. بل إنَّها متفرعة عنها من حيث مصدرها وطبيعة تكوينها وماهيتها..فالإمام عليه السلام يجب أن يتصف بكلِّ الصفات والمواصفات التي يجب عقلاً وشرعاً أن يتحلى بها أيُّ نبيٍّ أو رسول.. وما يكون للنبيِّ والرسول هو بعينه للإمام المنصوب من قبل الله تعالى، فلا يفترقان في شيءٍ سوى الوحي التشريعي... ولولا أنَّ النبوة خُتِمَتْ برسول الله محمد صلى الله عليه وآله لما كان ثمة مانعٌ عقلي وشرعي من أن يكونوا أنبياء ملهمين بالوحي التشريعي كما هي الحال في الأنبياء والمرسلين؛ وهو أمرٌ أطبق عليه محققو الامامية ومتكلموها، وقد جاء في أخبار العامة ما يدل على ما ذكرناه آنفاً، كما في مرفوعة أنس عن النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله قال: " إن الله اصطفاني على الأنبياء فاختارني واختار لي وصيّاً واخترت ابن عمي وصيي يشدُّ به عضدي كما شدَّ عضد موسى بأخيه هارون، وهو خليفتي ووزيري، ولو كان بعدي نبيٌّ لكان عليٌّ نبيّاً، ولكن لا نبوة بعدي ".

وقد ورد مثله عن النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله ــ بألفاظ متعددة ــ بحق ابنه إبراهيم عليه السلام قال: " **تدمع العين وقد يوجع القلب ولا نقول ما يسخط الرب، وإنَّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون، ولو عاش إبراهيم لكان نبياً؛ ثم قال: يا علي أدن مني، فدنا منه، فقال: ادخل اُذنك في فيّ، ففعل فقال: يا أخي ألم تسمع قول الله في كتابه:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ ﴾..". لذا لم يعش لأنه لا نبي بعده على حدّ تعبير المجلسي في (البحار [1]).

والإمامة بالمفهوم الإمامي الإثني عشري منصبٌ إلهيٌّ يقوم بوظائفه الإمامُ المعصوم عليه السلام خيرَ قيام؛ ولا بدَّ من الرجوع في تعيينه إلى من بيده أزمة الأمور وهو الله تعالى وحده الذي يحدد للمكلفين حقيقة الإمام عليه السلام ويدل عليه النصُّ النبوي؛ وتشترط في الإمام مواصفاتٌ عقليةٌ وشرعيةٌ تماماً كما هي الحال في مواصفات النبيّ، لا يختلفان عن بعضهما بشيءٍ أبداً باعتبارهما مبعوثين ومنصوبين من قبل الله تعالى، ولا دخل للبشر في تعيين النبيّ والإمام عليهما السلام، فما يجب أن يتصف به النبيُّ الأعظم (صلَّى الله عليه وآله) من صفاتٍ جمالية وكمالية، يجب أن يتصف به الإمام عليه السلام أيضاً من دون تمييز بينهما على الإطلاق.

---

(1) ــ [وفي نسخة: وأنا بك يا إبراهيم لمحزون].

وبعبارةٍ أُخرى: إنه مما لا ريب فيه عند الإمامية أنّ الإمام عليه السلام ــ كالنبيّ صلّى الله عليه وآله ــ قائمٌ مقامه في جميع شؤونه إلا في تلقي الوحي التشريعي، فهو شبيهه في كلِّ الصفات الجمالية والكمالية، إذ بدون اتصافه بصفات النبيّ لا يتم الاستخلاف والنيابة، ولا يتم اللطف، وهو نقضٌ للغرض، ومخالف لمقتضى عنايته الأولى ورحيميته المطلقة، ونقض الغرض والعمل بخلاف مقتضى عنايته تعالى، وهو عبث لا يقع ولا يصدر منه أصلاً لاستلزامه الجهل والفقر والله تعالى منزَّه عنهما؛ وقد فصَّلنا ذلك في بعض بحوثنا العقائدية فلتراجع(١).

توضيح ذلك: إن من أغراض البعثة هو استكمال النفوس، فاللازم هو أن يكون النبيّ أكمل وأفضل في الصفات من عامة الرعية حتى يتمكن من هدايتهم وتكميلهم فينقاد الناس له للتعلّم والاستكمال، فإنْ كان النبيّ مبعوثاً إلى قوم معينين وجب أن يكون أفضل منهم في ذلك الزمان، وإنْ كان مبعوثاً إلى جميع الناس إلى يوم القيامة، فاللازم أيضاً أن يكون أفضل منهم جميعاً، إذ لولا ذلك لما تيسرت الهداية والاستكمال للجميع رغم استعدادهم لذلك، وهذا لا يناسب عنايته الأولى وإطلاق رحيميته، عدا عن أنَّه نقضٌ لغرضه الحكيم، وهو تبارك شأنه يتنزَّه عن نقض الغرض.

---

(١) أنظر: الجزء الثاني من كتابنا " الفوائد البهية في شرح عقائد الامامية "، فصل عقيدتنا في صفات الإمام عليه السلام وعلمه.

فإذا ثبت ذلك في النبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله)، لزم أن يكون الإمام عليه السلام أيضاً أفضل الناس في صفات الكمال كالشجاعة والكرم والعفة والصدق والعدل وغير ذلك، لأنه قائم مقامه ونائب عنه في جميع الأمور والشؤون إلا في تلقي الوحي، وهذه النيابة لا تتم إلا بالاتصاف المذكور، وإليه أشار المحقق اللاهيجي حيث قال: « **لا بدَّ أنْ يكون الإمام في غاية التفرّد في استجماع أنواع الكمالات والفضائل حتى يُطاع وينقاد له جميع الطبقات من الشرفاء والعلماء بحيث ليس لأحدٍ منهم عار في الاتباع له والانقياد إليه** ».

إذاً؛ لا بُدَّ أنْ يكونَ الإمامُ عليه السلام أفضل الرعية، وإلا قبح تقديمه على غيره مع وجود مَنْ هو أفضل منه.

قال العلامة في (كشف المراد): « **إن الإمام يجب أن يكون أفضل من رعيته، لأنه إمَّا أن يكون مساوياً لهم أو أنقص منهم أو أفضل؛ والثالث هو المطلوب، والأول محال؛ لأنه مع التساوي يستحيل ترجيحه على غيره بالإمامة؛ والثاني أيضاً محال لأن المفضول يقبح عقلاً تقديمه على الفاضل، ويدلّ عليه قوله تعالى:** ﴿ ...أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾؛ **وقد خالفنا في ذلك الأشاعرة وبعض المعتزلة كابن أبي الحديد حيث أجازوا تقديم المفضول على الفاضل مخالفين صريح العقل ودليل النقل كما أوضحناه ؛ ويشهد لهذا ما روي عن مولانا الإمام الرضا** عليه السلام **في ضمن حديث عن صفات الإمام قال** عليه السلام: ﴿ **إنّ الإمام واحد**

دهره لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل، ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه ولا اكتساب بل اختصاص من المفضل الوهاب ﴾... ». انتهى كلامه.

وفي حديث إمامنا الرضا عليه السلام دلالة واضحة على العصمة الذاتية من جهة أن الله تعالى عصم أهلَ بيت النبوة والرسالة مذ كانوا في بطون أمهاتهم تشريفاً لهم ؛ لعلمه عزَّ وجلَّ بأنهم لن يعصوه عند نزولهم إلى دار التكليف ، وهو معنى قوله الشريف عليه السلام : ﴿ **من غير طلبٍ منه ولا اكتسابٍ، بل اختصاص من المفضل الوهاب..** ﴾ ؛ أي : من عصمة ذاتية قبل التلبس بالعمل ؛ ولا يستلزم ذلك العصمة الجبريَّة حسبما فصَّلناه في بحوثٍ أُخرى ؛ فما ادّعاه بعضُ المشكِّكين من نفيه للعصمة الذاتية ما هو إلا تخرص وافتراء على الله تعالى وتضعيف لقدرته تعالى وسعة علمه.

والروايات متعددة في فضل الإمام وعظمته وعلوّ قدره، روى جملةً منها الكليني رحمه الله في كتاب الحجة من " الكافي الشريف" ؛ فليراجع.

(النقطة الثانية) : الاستدلال على وجوب معرفة صفات الإمام عليه السلام .

لا يخفى على صاحب البصيرة النيِّرة أنَّ الإيمان لا يتحقق من دون معرفة الامام عليه السلام ، ويدل على ذلك العقل والنقل :

دليل العقل: إن العقل قاضٍ بوجوب معرفة صفات الإمام عليه السلام ؛ وذلك لأنَّ العلل المحوجة إلى وجود النبي صلى الله عليه وآله هي نفسها محوجة إلى وجود

الامام الوصي عليه السلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، والجهة الموجبة للرجوع إلى النبيِّ (صلَّى الله عليه وآله) هي نفسها التي توجب الرجوع إلى الوصي عليه السلام، فيجب على الله تعالى نصبه وإيجاده، وعلى الناس معرفته؛ لتوقف اتباعه على معرفته ذاتاً ووصفاً عليه السلام.

مضافاً إلى أنّ الإمام عليه السلام مفترَضُ الطّاعة، وكلُّ مَنْ تُفْتَرض طاعته يجب معرفة صفاته، من هنا كان وجوب معرفة صفة الإمام (عليه السلام) حتى لا يُقاس بغيره ممّن يدّعي مقامه كذباً وبهتاناً، إذ إنّ معرفته كما ذكرنا تكون سبباً لنجاتنا من الكفر والفسق والانحراف والانجرار إلى شبهات المنافقين والملحدين، وسلامةً لنا من إضلال المفترين المضلّين.

وبعبارة أُخرى: لا ريب في أن نصب الإمام عليه السلام واجبٌ على الله تعالى من باب اللطف الإلهي بالمكلَّفين، ولمّا كانت معرفته واجبة ــ بعد وجوده الخارجي عقلاً ونقلاً ــ فلا بدَّ من تشخيص تلك المعرفة، وتحصيلها يتم بأمرين:

(أحدهما): معرفة شخص الإمام عليه السلام باسمه ونسبه.

(ثانيهما): معرفة صفاته وخصائصه التي يمتاز بها عن غيره.

وهذان الأمران يشكّلان الدعامةَ الأساسية في وجوب الاعتقاد بالإمام المفترَضِ الطاعة، ولا يصحّ ادّعاء معرفته عليه السلام من دونهما، فما ثبت للنبيِّ

(صلى الله عليه وآله) يثبت للوصي (عليه السلام) من حيث الاحتياج إليه ؛ ما يستلزم وجوب معرفته.

(إنْ قيل لنا) : إن الفرق بين مقامي النبيِّ والوصي (عليهما السلام) واضح من حيث اختلاف الوظيفتين بينهما ، فالنبيّ (صلّى الله عليه وآله) مشرّع بالوحيّ بينما الوصي (عليه السلام) منفذ للتشريع ، فالعلَّة المحوجة لبعثة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) مغايرة للعلَّة المحوجة للوصي (عليه السلام) ، فحاجة الناس للنبيّ (صلّى الله عليه وآله) في أُمور معاشهم ومعادهم تستلزم إيجاد قانونٍ يعملون بمقتضاه في جميع الأُمور ، فإذا جاء النبيُّ (صلّى الله عليه وآله) بما يحتاجون إليه وبيَّن لهم القواعد والأحكام فعرفوها وعملوا بها ، ارتفعت الحاجة إلى الوصي (عليه السلام) ، ويكفي في بيان تلك القواعد والأحكام وجود العلماءوالكتب المعمولة لبيان ما يحتاج إليه الناس في أمر المعاش والمعاد .

(قلنا لهم): إن الإشكال المتقدِّم واضح الفساد من وجوهٍ هي الآتية :

(الوجه الأول): إنَّ النبيَّ ﷺ بيَّن القواعدَ الكليَّة والأحكام التي تعم بها البليَّة ـ كما هو واضح لمن لاحظ الأحاديث النبوية والوَلَويَّة ـ ولم ترتفع الحاجة بهذا المقدار بالكلية ؛ بل نرى كثيراً من المسائل قد خفيت أحكامها على الأوحدين من العلماء الكاملين فضلا عن غيرهم ، فلا بدَّ في كلِّ زمانٍ من وجود إمام معصوم يرجع إليه الناس في ما يحتاجون إليه ، إنْ لم يصل إليهم خبرٌ عن النبيِّ ﷺ في كلّ ما يحتاجون إليه مع العلم بأنَّ النبيَّ ﷺ

أودع جميع الأحكام التشريعية والعلوم المعرفيَّة عند وصيِّه عليه السلام ، الذي هو الإمام بعده ، وكذا أودعه كلُّ إمام عند وصيِّه إلى أن انتهت النوبة إلى إمام زماننا الحجَّة القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ، إذ إنَّهم يبينون الأحكام الإلهية التي أخذوها عن النبي (صلى الله عليه وآله).

ولا ريب أيضاً في أن هذا المبيِّن لأحكام النبيّ لو لم يكن معصوماً لما حصل للناس الوثوق بقوله ، ولانتفى ساعتئذٍ الغرض من البعثة .

(الوجه الثاني): إنه لا ريب في وقوع الخلاف والتنازع بين الناس بمقتضى جبلتهم وأهوائهم ، كما يشاهد بالوجدان ويرى بالعيان ، إذ إنَّ اللطف الإلهي يقتضي أن ينصب عليهم من يكون عالماً بالحقِّ الواقع في كل زمان ، وأن يكون هذا الشخص مرجعاً لهم في مرافعاتهم والموضوعات التي يبتلون بمعرفة حكمها حتى يصل الحقُّ إلى صاحبه ، ويسري العدل الإلهي فيهم ، وهذا الشخص هو الإمام عليه السلام الذي أمر الناس جميعاً باتباعه والرجوع إليه ، والاعتماد عليه فيما يحتاجون إليه .

(إنْ قيل): إن الأئمة عليهم السلام في زمن حضورهم لم يحكموا إلا على طبق القواعد الظاهرية التي يحكم العلماء بمقتضاها في زمن الغيبة الكبرى ؛ فكيف يُدَّعي أن اللطف يقتضي نصب الإمام عليه السلام ليحكم بالحقِّ الواقعي في علمه المختص به .

(قلنا) : إن المانع من الحكم بمقتضى علمهم الواقعي إنما كان من قبل الناس، والمانع من ظهور الإمام (عليه السلام) إنَّما هو من قبلهم أيضاً، فإذا كانوا هم السبب في ذلك، فلا حجَّة لهم ولا نقض في قاعدة اللطف المحكمة المسلَّمة.

وتدل على ذلك الروايات الكثيرة المصرِّحة بأنه لو ثنيت لهم الوسادة وأُعطوا الرئاسة، وحصل لهم بسط اليد، لحكموا بحكم آل داود والأحكام الواقعية التي استودعوها من الخالق العظيم جلَّ جلاله .

منها ما في أصول الكافي عن أبي عبيدة الحذاء عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال: " يا أبا عبيدة إذا قام قائم آل محمد (عليه السلام) حكم بحكم داود وسليمان (عليهما السلام) لا يسأل بيِّنة .

وفي الصحيح عن أبان قال: " سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: " لا تذهب الدنيا حتى يخرج رجلٌ مني يحكم بحكومة آل داود ، ولا يسأل بيِّنة ، يعطي كلَّ نفسٍ حقَّها .

وفيه بسندٍ صحيح إلى عمار الساباطي قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): بما تحكمون إذا حكمتم ؟ قال: بحكم الله وحكم داود، فإذا ورد علينا الشئ الذي ليس عندنا تلقانا به روح القدس .

وفيه بإسناده عن جعيد الهمداني عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) قال: سألته بأيِّ حكم تحكمون ؟ قال: حكم آل داود، فإن أعيانا شئ تلقانا به روح القدس .

(الوجه الثالث): إنَّا لو فرضنا كون العلماء عالمين بجميع الأحكام فإنَّ ذلك لا يُغني عن الحاجة إلى الإمام (عليه السلام) لأنهم ليسوا بمعصومين عن السهو والخطأ في كلِّ مقام؛ إذ لا بدَّ في كلِّ زمانٍ من وجود شخص معصوم عن الخطأ والنسيان ليكون مرجعاً للأنام، يبين لهم حقائق الأحكام، وليس ذلك إلا الإمام (عليه السلام) .

(إنْ قيل لنا): ما الفرق بين عدم وجود الإمام (سلام الله عليه) من الأساس، ووجوده غائباً عن أبصار الأنام .

الجواب من وجوهٍ هي الآتية:

(الوجه الأول): لما كان المانع من ظهوره عليه السلام ناشئاً من قبل الأنام، لم يكن ذلك منافياً للطف الخالق العلام، ولم يكن دليلاً على عدم الحاجة إلى وجود الإمام عليه السلام، بل إنَّه يوجب عليهم شرعاً وعقلاً رفع موانع ظهوره الشريف لكي يستضيئوا بكمال نوره وينتفعوا بأنواع علومه .

(الوجه الثاني): إننا لا نسلِّم بغيبته (أرواحنا له الفداء) في جميع الأزمان عن أبصار جميع أهل الإيمان؛ لأنَّ الكثير من الأعلام تشرفوا بلقائه (عليه السلام)،

وقصصهم مضبوطة في كتب علمائنا الكرام، وذكرها خارج عن المقصود في هذا المقام، وهي بتواترها تفيد العلم القطعي بالمرام.

(الوجه الثالث): إن منافع وجوده المبارك غير منحصرة في إفادة العلوم؛ بل إنَّ جميع ما يصل إلى الخلائق من مبدأ الفيض إنما هو ببركات وجوده الشريف.

دليل النقل: وهو يشمل الكتاب والسنَّة المطهرة، ونكتفي هنا بالسنَّة المتمثلة بالأخبار الشريفة، من دون الاستدلال بالآيات لنخص ذلك ببحوث أخرى منها كتابنا الجليل الموسوم بـ: " شبهة إلقاء المعصوم نفسه في التهلكة ودحضها"؛ فليراجع.

والأخبار في هذا المجال كثيرة جداً نكتفي بجملةٍ منها هي الآتية:

[الخبر الأوّل]: ما ورد في صحيحة معاوية بن عمّار عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا... ﴿١٨٠﴾ ﴾ قال: « **نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا** ».

[الخبر الثاني]: ما ورد في المستفيض منها: موثقة داود الرقّي عن العبد الصّالح عليه السلام قال: « **إنّ الحجّة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام حتى يُعْرَف** ».

ودلالة الخبر واضحة على أنّ انحصار المعرفة بالله تعالى ـ والتي هي حجّته على خلقه ـ إنما هي بواسطة الإمام (عليه السلام)، لذا وجبت معرفته تماماً كوجوب نصبه.

[الخبر الثالث]: صحيحة زرارة عن أحدهما عليهما السلام أنه قال: ﴿ **لا يكون العبد مؤمناً حتى يعرف الله ورسوله والأئمّة كلّهم وإمام زمانه، ويردّ إليه ويسلّم له،** ثمّ قال: **كيف يعرف الآخر وهو يجهل الأوّل؟** ﴾.

[الخبر الرّابع]: موثقة الفضيل عن أبي حمزة قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: ﴿ **إنما يعبد الله من يعرف الله، فأمّا من لا يعرف الله فإنما يعبده هكذا ضلالاً،** قلت: جُعِلْتُ فداك فما معرفة الله؟ قال: **تصديق الله عزّ وجلّ وتصديق رسوله صلى الله عليه وآله وموالاة عليّ عليه السلام والإئتمام به وبأئمّة الهدى عليهم السلام والبراءة إلى الله عزّ وجلّ من عدوّهم، هكذا يُعرف الله عزّ وجلّ** ﴾.

ملاحظة: ربط الخبر الشّريف معرفته عزّ وجلّ بتصديق رسوله والأئمّة الأطهار عليهم السلام، ولا يخفى وجود الملازمة بين تصديقهم ومعرفتهم، إذ لا يُعْقَل تصديقهم من دون معرفتهم.

[الخبر الخامس]: صحيحة محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ﴿ **كلُّ من دان الله عزّ وجلّ بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير مقبول، وهو ضالٌّ متحيّر والله شانئٌ لأعماله،**

ومثله كمثل شاة ضلّت عن راعيها وقطيعها، فهجمت ذاهبة وجائية يومها، فلمّا جنّها الليل بصرت بقطيع غنمٍ مع راعيها، فحنّت إليها واغترَّت بها، فباتت معها في مربضها فلمّا أن ساق الرّاعي قطيعه أنكرت راعيها وقطيعها، فهجمت متحيّرة تطلب راعيها وقطيعها، فبصرت بغنم مع راعيها فحنّت إليها واغترَّت بها، فصاح بها الرّاعي: إلحقي براعيك وقطيعك فأنت تائهة متحيّرة عن راعيك وقطيعك، فهجمت ذعرة، متحيّرة، تائهة، لا راعي لها يرشدها إلى مرعاها أو يردّها، فبينا هي كذلك إذ اغتنم الذّئب ضيعتها، فأكلها، وكذلك والله يا محمّد من أصبح من هذه الأمّة لا إمام له من الله عزّ وجلّ ظاهر عادل، أصبح ضالا تائهاً، وإنْ مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق، واعلم يا محمّد أنّ أئمّة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله قد ضلّوا وأضلّوا فأعمالهم التي يعملونها كرمادٍ اشتدّت به الرّيح في يومٍ عاصفٍ، لا يقدرون مما كسبوا على شيء، ذلك هو الضلال البعيد﴾.

[الخبر السّادس]: صحيحة جابر بن يزيد الجعفي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ﴿ **إنما يعرف الله ويعبده مَنْ عرف الله وعرف إمامه منّا أهل البيت، ومَنْ لا يعرف الله عزّ وجلّ ولا يعرف الإمام منّا أهل البيت فإنما يعرف ويعبد غير الله هكذا والله ضلالاً** ﴾.

[الخبر السّابع]: صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: « **ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرّحمن تبارك وتعالى الطّاعة للإمام بعد معرفته، إنّ الله تبارك وتعالى يقول:** ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ ﴾، **أمَا لو أنّ رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدَّق بجميع مالِهِ وحجَّ جميع دهره ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان له على الله حقّ في ثوابه من أهل الإيمان** ».

[الخبر الثامن]: صحيحة الحارث بن المغيرة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **مَن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهليّة** »؟

قال عليه السلام: « **نعم** ».

قلت: جاهليّة جهلاء أوجاهليّة لا يعرف إمامه؟

قال عليه السلام: « **جاهليّة كفر ونفاق وضلال** ».

[الخبر التاسع]: صحيحة زرارة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: « **إعْرِفْ إمَامَكَ، فإنكَ إذا عَرَفْتَ إمَامَكَ لم يضرّك، تقدّم هذا الأمر أو تأخّر** ».

[الخبر العاشر]: صحيحة الفضيل بن يسار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ... ﴿٧١﴾ ﴾ فقال عليه السلام: « **يا فضيل إعْرِفْ إمامك، فإنك إذا عرفت إمامك لم**

يضرّك، تقدّم هذا الأمر أو تأخّر، ومَن عرف إمامه ثمّ مات قبل أنْ يقوم صاحب هذا الأمر، كان بمنزلة مَنْ كان قاعداً في عسكره، لا بل بمنزلة من قعد تحت لوائه، قال: وقال بعض أصحابه: **بمنزلة من استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله** ﴾.

[الخبر الحادي عشر]: عن إسماعيل بن محمّد الخزاعي قال: سأل أبو بصير أبا عبد الله عليه السلام وأنا أسمع، فقال: تراني أُدْرِك القائم عليه السلام؟ فقال عليه السلام: ﴿ **يا أبا بصير ألست تعرف إمامك؟** فقال: إي والله وأنت هو - وتناول يده - فقال عليه السلام: **والله ما تبالي يا أبا بصير ألا تكون محتبياً بسيفك في ظلّ رواق القائم صلوات الله عليه** ﴾.

[الخبر الثاني عشر]: صحيحة الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ﴿ **مَنْ مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهليّة، ومَنْ مات وهو عارف لإمامه لم يضرّه، تقدّم هذا الأمر أو تأخّر ومَنْ مات وهو عارف لإمامه، كان كمن هو مع القائم في فسطاطه** ﴾.

وكذلك ما ورد عن عمر بن أبان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿ **إعرفْ العلامة فإذا عرَفْتهُ لم يضرَّك، تقدَّم هذا الأمر أو تأخَّر، إنّ الله عزّ وجلّ يقول:** ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ... ﴿٧١﴾ ﴾، **فمن عرف إمامه كان كمن كان في فسطاط المنتظر عليه السلام** ﴾.

ملاحظة: لا يخفى بلاغة قوله عليه السلام في الخبر الأخير: ﴿ **إعرفْ العلامة** ﴾ إذ إنّ معرفة العلامة تستلزم معرفة كلّ ما يتعلّق بالإمام عليه السلام سواء ما تعلّق بنسبهِ أو ببدنه أو بعلمه وأخلاقه أو بخصائصه وميزاته الشريفة، كما أنّ من مصاديق العلامة ما يتعلّق بمقدّمات ظهور الإمام الحجّة بن الحسن المهديّ المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشّريف حتى لا يُقاس الإمام عليه السلام بغيره ممّن يدّعي مقامه الشّريف.

[الخبر الثالث عشر]: صحيحة ابن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام : رجل يتوالاكم ويتبرّأ من عدوّكم ويحلّ حلالكم ويحرّم حرامكم ويزعم أنّ الأمر فيكم لم يخرج منكم إلى غيركم، إلا إنه يقول أنهم قد اختلفوا فيما بينهم وهم الأئمّة القادة، وإذا اجتمعوا على رجل فقالوا: هذا، قلنا هذا، فقال عليه السلام : ﴿ **إنْ مات على هذا فقد مات ميتة جاهليّة** ﴾.

ومثله ما رُوي من طريق حمران بن أعين وسماعة بن مهران فراجع.

فليتأمّل المؤمن كيف أوجب الله معرفة شخص الإمام عليه السلام باسمه ونسبِهِ وصفتِهِ ولم يكتفِ بما دون ذلك.

وبالجملة: فإذا كان نصب الإمام ومعرفته واجباً عقلاً ونقلاً، وجب أيضاً أن يكون أفضل النّاس في جميع الصّفات الحميدة، ولا بدّ للقائل من الاعتقاد بأنّ الإمام عليه السلام جامع لصفات الفضل يمتاز بها على العالم بأسره.

ولا ريب أنّ من تلك الصّفات: " **العِلْم** " وقد أطال علماء الكلام من الإماميّة في تفصيل الصّفات التي يجب أن يتحلّى بها الإمام عليه السلام، وهذا لا خلاف فيه أصلاً إلا في بعض التفاصيل، وقد أشرنا إلى جملةٍ منها في كتابنا: " الفوائد البهيَّة في شرح عقائد الإمامية" ؛ فلا نعيد.

الفَصْلُ الثَّانِي

القَنَوات العِلميَّة

للأئمّة الطاهرِين عَلَيهِمُ السَّلَامُ

هذا الفصل خصصناه لدفع الشبهة الواردة من قبل بعض العلماء حول كيفية تلقّي الإمام عليه السلام للعلوم والمعارف الإلهية والاكاديمية والحوادث التكوينية المتعلقة بالإخبارات المستقبلية المهدوية التي أكدت عليها نصوصنا الشريفة.

وقد قلنا في النقطة الأولى من الفصل الأول: إنَّ الإمام عليه السلام في صفاته الجماليَّة والكماليَّة كالنبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، فلا يفترق عنه بشيء منها على الإطلاق، ومن أبرز السمات التي يجب أن يتحلى بها الإمام عليه السلام هو العلم الخاص باعتباره الصفة المميزة التي تظهره على حقيقته الربانية التي تجعله المؤهل الوحيد لقيادة البشرية، وهو ركنٌ أصيلٌ من أركان الإمامة بعد النصّ النبوي والولَوي الدالين على وجوب تنصيب الولي صلى الله عليه وآله بعد رحيل النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله لإكمال المسيرة الإلهية في تبليغ الأحكام وتنفيذها بواسطة أفراد يتمتعون بالعصمة والقدرة وغيرها من الصفات التي تميزه عن غيره من سائر البشر، ولا شك في أن العلم له منابعه ومصادره ولا بد في تحصيله من أن يكون من عند علام الغيوب وليس للأسباب الطبيعية في تحصيله صنعٌ أو علّةٌ توجبه للإمام المطهر المعصوم صلى الله عليه وآله.

وبعبارةٍ صناعية أُخرى: لا شك في أن علم الأئمة عليهم السلام ليس بمكتَسَبٍ بواسطة تصورات علميَّة ومقدمات برهانية؛ بل هو علمٌ إلهيٌّ موهوب، إذ لم يُعْهَد لواحدٍ منهم أنْ تتلمذ على يد أحدٍ من البشر أو أحدٍ من الملائكة على الإطلاق، بل الوارد في الأخبار القطعية الصدور أنّ علومهم عليهم السلام لدنية حضورية، وهبهم إيّاها الباري عزَّ وجلَّ نتيجة علمه تعالى بهم وبما يؤول إليه أمرهم (سلام الله عليهم)، وليس بضنين على القدرة الإلهية أن تنعم عليهم؛ بعد توفر القابلية فيهم وعموم الفيض الإلهي على مستحقه.

فهم سلام الله عليهم عالمون بعامة الأحكام الكليَّة والجزئيّة، وكذا عالمون بالموضوعات التي يترتب عليها حكم كلي، بل حتى بالموضوعات الصّرفة أيضاً؛ إذ بها يفَضَّلون على غيرهم من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

شبهة الشيخ المظفر حول علم الإمام (سلام الله عليه)!

وما ذكره بعض العلماء ــ منهم الشيخ المظفر في كتابه "عقائد الامامية" والسيِّد محمَّد صادق الصدر في كتابه "تاريخ ما بعد الظهور" ـ من أن علمهم بالمستجدات الطارئة إراديٌّ، غيرَ سديدٍ على الإطلاق؛ بل هو جهلٌ محضٌ بمقاماتهم المقدَّسة؛ وذلك لأنّ جهل الإمام عليه السلام بها ـ قبل أن يشاء العلم ــ يعدّ نقصاً في رتبته وحطاً من منْزلته وكرامته، مضافاً إلى أن علم غيره بالمسألة التي أراد العلمَ بها، يستلزم نسبة الجهل إليه عليه السلام بتلك المسألة،

فيُعَدُّ ساعتئذٍ تقديمه على غيره ـ قبل العلم بها ـ تقديماً للمفضول على الفاضل وهو قبيح بالضرورة العقلية والشرعية.

والأغرب من ذلك: إن السيِّد محمَّد صادق الصدر زاد على اعتقاده بالعلم الإرادي للمعصوم عليه السلام ما يحصل عليه الإمام الحجَّة القائم عجل الله فرجه الشريف من العلوم خلال غيابه المقدَّس من الخبرة التي يكتسبها في غيبته، وقد وافقه ابن عمه السيِّد محمد باقر الصدر القائل بأن الإمام عليه السلام إنما غاب ليتعلم فنون القيادة وليكتسب الخبرة القيادية التي تؤهله لذلك.

وكلتا الدعوتان من ذينك السيِّدين ـ مع كونهما دعوى واحدة ـ أقبح من الدعوى الأولى القائلة بالعلم الإرادي، فهما على خلاف الأصل في علم الإمام (عليه السلام) المعتبر فيه الحضور والفعلية حسبما فصّلنا في كتابنا الموسوم بـ" شبهة إلقاء المعصوم نفسه في التهلكة ودحضها"، كما أنَّ تينك الدعوتين مخالفتان للأدلة القطعية الدالة على عصمة الإمام عليه السلام من الجهل المطلق، إذ إنَّ الإمام عليه السلام عالمٌ لا يجهل، مطهَّرٌ من الذنوب، مبرأٌ من العيوب، مسددٌ بالغيوب، ليس له بدلٌ ولا نظيرٌ كما وصفه إمامنا الرضا عليه السلام في رواية النوادر في صفات الإمام عليه السلام من كتاب" أُصول الكافي ".

شبهة السيِّد جعفر مرتضى العاملي !

كما ليس من الحكمة والسداد قول من زعم ـ وهو السيِّد جعفر مرتضى العاملي ـ في كتابه" دراسة في علامات الظهور" بأن: « **العلم الخاص الذي**

يتلقاه الإمام عليه السلام إنما هو من مقام النبوة مباشرة أو بالواسطة.. »؛ حيث حصر علم الإمام الخاص بالوراثة الإكتسابية، من دون أن يشير إلى قنوات أُخرى للإمام عليه السلام في تلقي المعارف والعلوم، وهو أمر ينذر بخطرٍ على الصعيد العلمي الرباني الذي يجب أن يتحلى به الإمام المعصوم عليه السلام، وذلك للأمور الآتية:

(الأمر الأول): إن دعوى وراثته للعلوم من مقام النبوة مباشرة أو بالواسطة يجعل من مقام الإمام والإمامة مقاماً رياسياً قيادياً لا علاقة له بالقدرة الغيبيَّة الإلهيَّة في إمداد الإمام بعناصر معرفيَّة غيبية أُخرى تجعله في مصافّ الأنبياء والمرسلين الذين تلقوا معارفهم الغيبية مباشرةً من عند علام الغيوب، من دون أن يكون للوسائط دورٌ في تلقيهم للمعارف والعلوم الغيبية سوآء أكانت عقائدية أو تشريعية أو تكوينية... وما هذا الفيض الإلهي على ذواتهم المقدَّسة إلا لأن المقتضي موجود والمانع مفقود، فالمقتضي لتلقيهم الفيض إنما هو ذواتهم الشريفة مع فقدان الموانع الحاجبة من تلقي الفيض الإلهي؛ فذواتهم محل طاهر للفيض، لخلوها من موانعه كالحجب الظلمانية وما شابهها من الشوائب التي تمنع من نزول الفيض العلمي على قوابلهم التي انتخبها الله تعالى لتكون واسطة الفيض بينه تعالى وبين عباده عبر سفرائه من الأنبياء والمرسلين والأولياء المقربين من آل محمد (سلام الله عليهم)، فما ثبت للأنبياء لا يختلف عمَّا ثبت لآل محمد عليهم السلام بطريق

أولى ما دامت المقتضيات موجودة فيهم والموانع مفقودة من ذواتهم المطهرة ؛ بل الثابت في الأدلة والبراهين القرآنية والنبوية والولوية بأن مقامات آل محمد (سلام الله عليهم) أرفع شأناً وأعلى كعباً من مقامات الأنبياء والمرسلين، وعصمتهم أكمل وأوسع من عصمة الأنبياء... كيف لا؟ وهم أئمة الهدى ومصابيح الدجى وسفن النجاة وحبل الله المتصل بين الأرض والسماء وبهم رُزق الورى وأينعت الثمار وأورقت الأشجار... ولا يُقاس بهم أحدٌ من العالمين (سلام الله عليهم أجمعين) حتى لو كان على مستوى الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

(الأمر الثاني): إن العمومات والإطلاقات في الكتاب والسنَّة المطَّهرة ــ الدالة على طهارتهم وعصمتهم المطلقة وسعة علومهم ــ تدفع دعوى انحصار علومهم بالوحي الموروث عن جدِّهم النبيّ الأعظمﷺ، بل الأدلة من الكتاب والسنّة تؤكد فعلية وحضورية علوم الإمام عليه السلام من دون توسط النبيّ الأعظمﷺ، ولو لم يكن من هذه الإطلاقات سوى آية التطهير لكفى بها دليلاً لوحده من دون استعانة بخبرٍ أو إجماعٍ.

(الأمر الثالث): إذا كان العلمُ الخاص بالإمام عليه السلام على نحو الوراثة النبويَّة فقط ـ بحسب دعوى العلامة السيِّد جعفر مرتضى ـ ؛ فأيُّ فرقٍ حينئذٍ بين الإمام عليه السلام وبين سلمان الفارسي وعمار وأبي ذر والمقداد وميثم التمار وهاشم المرقال وحبيب بن مظاهر وأبي هاشم الجعفري ونظائرهم من حملة

الأسرار التي تلقوها بالوراثة من مقام الولاية والنبوة..؟! فما دام العِلْمَان من مصدرٍ واحدٍ – وهو الوراثة – فلا ميزة عقليَّة وشرعيَّة بين الأئمة سلام الله عليهم وبين أصحابهم ممن حملوا عنهم العلوم الوراثية عبر أحاديثهم الشريفة...!!.

فلا بُدَّ ساعتئذٍ من أن نميّز بين الإمام عليه السلام وبين حملة أسرارهم الغيبية التي حفظوها سماعاً من النبي والإمام عليهما السلام ؛ وإلا لتساوى الإمام عليه السلام مع غيره ممن حُبِيَ بالأسرار الغيبية والعلوم الصمدانية ؛ وهو خلف كونه عليه السلام متقدِّماً على عامة المكلّفين بتلقي العلم الخاص من معدن العظمة الإلهية مباشرة من دون أنْ يكونَ للواسطة دورٌ في تلقيه للإلهام الربوبي من عند علام الغيوب، وليس العبد الصالح الخضر عليه السلام بأفضل من الإمام عليه السلام حالاً ولا أعلى منه مقاماً ولا أعظم منه مرتبةً وعلواً وشرفاً وجلالاً رغم أن الله تعالى حباه الله تعالى بالعلوم اللدنية التي لا دخل للأسباب العادية الطبيعية في تحصيلها، وقد قصَّ اللهُ تبارك وتعالى علينا كيفيةَ تلقيه الإخبارات الغيبية وأنها لدنيَّة غيبيَّة من معدن الرحمة الإلهية، قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾.

ومن الواضح للمتدبر في تفسير القرآن الكريم والمطَّلِع على أخبار آلِ طه وياسين (سلام الله عليهم أجمعين)، أنَّه لا لبْسَ ولا شبهة في معنى العلم اللدني،

وهو علم مباشريٌّ لم يتلقَّه العبد الصالح الخضر عليه السلام من خلال الأنبياء المعاصرين له، لا سيَّما ما جرى بينه وبين النبيّ موسى عليه السلام وهو نبيٌّ عظيمٌ وصاحبُ شريعة عظيمة نسخت الشرائعَ التي سبقتها؛ وقد كشفت الآيات والأخبار الشريفة بأن النبيَّ موسى عليه السلام كان مأموراً باتباعه والأخذ عنه بعض العلوم الغيبية والأسرار الإلهية، وقد أسهبنا بالتحليل والسرد في قصة العبد الصالح والنبي موسى عليهما السلام في كتابنا: " شبهة إلقاء المعصوم عليه السلام نفسه في التهلكة ودحضها "؛ فليراجع[1].

والخلاصة: إنَّ ما ثبت للعبد الصالح عليه السلام هو ثابت بعينه للأئمة الطاهرين وسيّدة نساء العالمين عليهم السلام، وبالتالي لا يجوز الفصل بينهما، فيثبت البعضُ العلمَ اللدني للخضر عليه السلام ولا يثبته لأئمة الهدى ومصابيح الدجى عليهم السلام مع أن الأخبار القطعية الصدور بضميمة الآيات تشير إلى أفضلية آل محمد (سلام الله عليهم) على عامة الخلق، ومنهم الخضر عليه السلام، فما اتصف به العبد الصالح عليه السلام لا بدَّ أن يتصف به آل محمد عليهم السلام بنفس المناط على أقلِّ تقدير، فضلاً عن قياس الأولوية المعتبر في العقليات والعقائديات... وهل باءُ الخضر عليه السلام تجر حرفَ الجرِّ، وباءُ آل محمد سلام الله عليهم لا تجر...؟!.

فما هذه الغميزة في حقّ آل محمد عليهم السلام والسِنة عن مقاماتهم الشريفة ومنازلهم الرفيعة..؟! آه آه لظلاماتكم يا آلَ محمَّدٍ من قِبَلِ مَنْ أكل من

(١) ـ أُنظر كتابنا المذكور أعلاه: الجزء الأول من ص٣٥٤ إلى ص٣٦٠.

موائدكم ونبت لحمه من خبزكم وشرابكم ولم يبادلكم بالإحسان...! ؛ ونحن وإنْ كنا نعذر الجهَّال من البقالين والدهاقين إلا أننا لا نعذر العلماءَ الذين غمطوهم حقوقهم بعد أن عجزوا عن الوغول في معارفهم وعلومهم ؛ ولكنّ العذر قد يجد منفذاً لهم من حيث ضيق قابلياتهم وخضوعهم لأنانياتهم، وانجرارهم تالياً إلى إرضاء جموحهم الذي لا يعرف حدوداً فلا يقابل وقتذاك إلا بالإنكار والجحود... شنشنة أعرفها من أخزم..!.

إنَّ آلَ محمَّدٍ (سلام الله عليهم) فوق ما نتصور، والتعمق في مقاماتهم ليس له حدود، كيف لا ! وهم قد أشاروا لنا بأن أمرهم صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبيٌّ مرسل أو عبد أمتحن الله قلبه بالإيمان، بل ورد في بعض الأخبار الصحيحة عنهم ما يدل على أن بعض أمرهم وحالاتهم ومقاماتهم أعظم من أن تحتمله العقول والنفوس نظير ما ورد: ﴿ **إن أمرنا صعب مستصعب، لا يحتمله لا ملك مقرب ولا نبيٌّ مرسل ولا عبد أمتحن الله قلبه بالإيمان..** ﴾. ولما سُئِلَ المعصوم عليه السلام عمَّن يحتمله؟ قال عليه السلام : ﴿ **نحن نحتمله** ﴾.

نعم ؛ إنَّ بعضَ مقاماتهم لا يحتملها أحدٌ سواهم (سلام الله عليهم)، وما ذاك إلا لأن قابلياتهم فوق قابلياتنا، ومداركهم العقلية والنفسية والروحية فوق مداركنا ومشاعرنا وعقولنا، وأسرارهم فوق ما نتصوره نحن البشر

المتلبسون بجلباب المادة وظلمات الطبيعة وكدورات عالَم المُلكِ، ولا يحتملُ بعضَ مقاماتهم إلا كلٌّ تقيٍّ ذاب في ذواتهم التي تُنْبِئُ عن عوالم الغيب الإلهي، كلٌّ بحسب سيره الباطني وسلوكه الصالح المستغرق في عوالم الجمال والجلال والكمال...!.

من هذا المنطلق؛ تفاوتت القابليات واختلفت المدارك في تحصيل المعارف الإلهية المتعلقة بذوات العترة النبوية المطهرة، فكانت النتائج قهرية، إن خيراً فخير وإن شراً فشر؛ فكلٌّ واحدٍ ينهل من معين قابلياته ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ... ﴿٨٤﴾ ﴾ وما ربُّك بظلام للعبيد.

إن معارف وعلوم آل محمد (سلام الله عليهم) لا يمكن حصرها بما ورثوه عن جدهم الأعظم صلى الله عليه وآله، بل لهم طرق أُخرى أعظم خطراً وأنفس درجة وأعلى منزلة وأرفع حظوة كما سوف نبيّن عما قريب.

علوم الأئمة الأطهار سلام الله عليهم على أنحاء متعددة:

اتضح مما تقدَّم: أنَّ معارفهم وعلومهم عليهم السلام ليست من مصدرٍ بشري وغير منحصرة بالوراثة النبوية فحسب، بل هو من عند علام الغيوب المطّلع على الأسرار والعقول، سيهون الخطب عند القارئ سوآء أكان عالماً أو متعلماً عندما يدرك أنَّ لأهل البيت عليهم السلام شأناً عظيماً يفوق شأن الأنبياء والمرسلين الذين كانوا يعلمون الغيب بواسطة الإلهام أو العلم اللدني كما قصَّ علينا القرآن المجيد عن العبد الصالح الخضر والنبيّ عيسى عليهما السلام،

فالأول أعطاه الله تعالى العلم اللدني بمقتضى قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴾[1]؛ والثاني أعطاه العلم الإلهامي بمقتضى قوله تعالى: ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2]؛ حيث تحداهم نبيُّ الله عيسى عليه السلام بأن يخبرهم بكشف تفاصيل ما يفعلون في بيوتهم، ولم تكن إخباراتهما وراثية، بل كانت قذفية إلهامية؛ فلمَّا ثبت هذا بحقِّ الأنبياء والأولياء العظام قبل الإسلام، ثبت بطريقٍ أولى بحقِّ آل محمد عليهم السلام، ومن الطبيعي أن تكون لهم من المعارف الإلهيَّة الغيبيَّة ما تعجز عنه قرون الأمم من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام من حيث حضوريتها وفعليتها وعمومها وإحاطتها بعوالم التكوين والتشريع والحوادث التكوينية بشتى أصنافها، وهي على صنفين؛ **أحدهما**: علوم وراثية؛ **وثانيهما**: علوم إحاطية إلهامية لدنية؛ وغايتنا من تصنيفنا علومهم الشريفة إلى وراثية من جهة، ولدنية من جهةٍ أُخرى، هي دفع شبهة بعض العلماء الذين حصروا علومهم بالوراثية، متغافلين عن المصادر الأخرى لعلومهم الشريفة؛ وإليكم التفصيل:

العلوم الوراثية:

---

[1] سورة الكهف ٦٥ .
[2] آل عمران ٤٩.

والعلم الوراثي هو العلم الذي تناقلوه عن بعضهم البعض، ولا يستلزم ذلك جهلهم بها من الأصل..! إذ إنَّ وراثتهم له إنما هي من باب التشريع وإفحام الخصوم المنكرين لإمامتهم الإلهية ووصايتهم وولايتهم الكلّية، فاقتضت الحكمة الإلهية أنْ يتوارثوه كما ورث جدُّهم رسولُ الله ﷺ المعارفَ والأحكامَ التشريعية والعقائدية والتاريخية وقِصَص الأولين عبر الوحي ووصايا الأنبياء وكتبهم وألواحهم المنزلة عليهم من قبل الله تعالى، وهكذا الحال عند الإمام أو الولي عليهما السلام فهو غيرُ جاهلٍ بها على الإطلاق، ووراثته لها من النبيِّ الأعظم ﷺ لا تعني بالضرورة جهله بها، بل إنَّه يتلقاها عبر الوحي والطرق الظاهرية لحكمةٍ إلهيَّة حتى لا يُظَنَّ في حقِّه الإختراع في الدين والتشريع؛ وهذه العلوم الوراثية على أنحاء متعددة بحدود ما التقطته عقولنا ومداركنا العلمية وتشرفنا بالغوص في أخبارهم الغيبية المقدَّسة، وهي الآتية:

(النحو الأول): التعليم الظاهري: وهو ما ينتقل إليهم عن طريق النبيّ ﷺ كتعليمه ـ ظاهراً لا واقعاً ـ لأمير المؤمنين عليه السلام كلَّ ما علمه النبيّ بواسطة الوحي، وهذه العلوم الموَّرثة إليهم عليهم السلام هي الأحكام والتكاليف الشرعية التي أنزلها جبرائيل على قلب النبيّ محمَّد ﷺ، وأمير المؤمنين عليه السلام قد أوصلها بدوره إلى الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وذلك لأن الأحكام الشرعية لا تنزل إلا على نبيّ مرسل، وحيث لا نبوة بعد رسول الله ﷺ؛ إذ لا نبيَّ

مشـرِّع بعــده، وبالتالي لا وحــي تشــريعي مــن بعــده علــى أحــدٍ مــن المعصومين عليهم السلام ، ولكنَّ الله تبارك شأنه ختم الوحيَ برسول الله صلى الله عليه وآله ولم يلغِ ختمَ الإلهام الربوبي على أهل بيت النبوة والرسالة ؛ ومن هذا القبيل ما ورد عن أسد الله الغالب مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: ﴿ **علّمني رسولُ الله ألفَ بابٍ، وكلُّ باب منها، يفتح ألفَ بابٍ، فذلك ألف ألف باب...** ﴾.

الخبر المتقدِّم ـ بحسب النظر البْدوي ـ هو من الأخبار المتشابهة الدالة على العلم الإرادي الكسبي الذي يحتاج العالمُ في معرفته بحقيقته إلى المحكمات الأُخرى المفسِّرة للمتشابه ؛ فقد ورد في الأخبار أن كلّ ما علمه النبيّ فقد علمه الولي عليه السلام بشكل تام من دون واسطة النبيّ، ومنها الخبر المستفيض الدال على نطق أمير المؤمنين عليه السلام بالقرآن الكريم عند ولادته الشريفة مع أن القرآن الكريم لم يكن بعدُ نازلاً على قلب النبي الأطهر صلى الله عليه وآله ، ما يستلزم القول والاعتقاد بأن كلَّ ما كان للنبي من التلقي الربوبي هو بعينه للوليّ الأول أسد الله الغالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهي قرينة مهمة يجب أن تكون محطاً للبحث فيها والاعتقاد بمضمونها.

ومما تقدَّم يتضح: أن معنى ﴿ **علّمني** ﴾ أفاض عليَّ تأكيداً ـ لا تأسيساً ـ ما كنتُ عالماً به ؛ وهو لا يستلزم جهلَ أمير المؤمنين عليه السلام بالأحكام الكلية النازلة على فؤاد النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله .. كيف ذلك؟! وقد طهره الله تعالى من

الجهل بنصّ آية التطهير ؛ بل غاية ما يدل عليه الخبر هو التلقي الظاهري من النبي الأعظمﷺ لا التلقي الواقعي الحاصل بالضرورة لأمير المؤمنين عليه السلام بمقتضى كونه نفس النبيّ، وله ما للنبيّ إلا النبوة الظاهرية التي لا تمنع من تلقي غيره كالإمام أو الوليّ عليهما السلام للتشريعات بواسطة العلم اللدني.

وبعبارةٍ أُخرى: إن قول أمير المؤمنين علي صلوات ربّي عليه: « **علّمني رسول الله** »، لا يقتضي بالضرورة أنْ يكون التعليم مستلزماً لجهل المتعلِّم ؛ وإلا أدّى ذلك إلى الاعتقاد بجهل رسول اللهﷺ بالقرآن الكريم قبل نزول الملاك جبرائيل عليه السلام به على قلبه الشريف، وهو خُلْف الإطلاقات القرآنية الواردة في سعة علمه من دون تخصيص بوقتٍ معيَّنٍ، كقوله تعالى: ﴿ ..وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ... ﴿١١٤﴾ ﴾(1)، ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾(2)، ﴿ ..وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ... ﴿١١٣﴾ ﴾(3)، ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ

(١) سورة طه.

(٢) سورة القيامة.

(٣) سورة النساء.

عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَۖ... ﴿١٠٥﴾ ﴾(١)، ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾(٢).

لقد دلت الآيات المتقدِّمة على أن النبيَّ الأعظم ﷺ كان عالماً بالقرآن الكريم قبل نزول جبرائيل به على قلبه الشريف، ما يعني أنه ليس بحاجةٍ إلى نزول الملاك عليه لو لم تكن هناك حكمة إلهية من وراء النزول المذكور، ولعلَّ من أبرزها الآتي: تعدد الوسطاء دلالة على عظمة السلطان، أو دفع شبهة الغلو بالنبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله، أو دفع تهمة المشركين له باختلاق السفارة الإلهية. والخضر عليه السلام ليس أفضل من النبي، والولي ليس أدنى حالاً من النبي، بل النبي والولي بمنزلة واحدة ومن نور واحد... فما علمه النبي ﷺ، فقد علمه الولي عليه السلام بمقتضى قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾(٣).

وقد بسطنا القولَ في سعة معرفة النبيّ الأكرم ﷺ بكلّ الموضوعات الخارجية لكون الاطلاع عليها هو من صُلب وظائفه المنوطة برسالته وإمامته وولايته وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام في بعض بحوثنا الكلامية؛ ككتابي: "

---

(١) سورة التوبة.

(٢) سورة النجم.

(٣) سورة التوبة.

شبهة إلقاء المعصوم عليه السلام نفسه في التهلكة"، و" علم اليقين في تنزيه سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله عن العبوس"؛ فليُراجعا لأهميتهما على الصعيد العقائدي والفقهي معاً.

(النحو الثاني): الصحيفة الجامعة الكبيرة: وهي ما كتبه الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بإملاء رسول الله صلَّى الله عليه وآله، وسمِّي بالجامعة؛ قال الإمام الصادق عليه السلام: ﴿ **فيها كلُّ حلالٍ وحرامٍ وكلُّ شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش...** ﴾.

(النحو الثالث): الجفر الأبيض: وهو ما كتبه أمير المؤمنين عليه السلام وسمِّي بالجفر، وهو وعاء من أدم، فيه علم النبيين والوصيين، وفيه زبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم.

(النحو الرابع): مصحف الصدّيقة الكبرى الطاهرة الزكيَّة الشهيدة المظلومة مولاتنا الزهراء البتول **(سلام الله عليها)**؛ والمراد به الكتاب العلمي الخاص بها **(سلام الله عليها)**، فيه علم كثير، وهو ما سمعته مولاتنا الصدّيقة المطهّرة فاطمة **(روحي فداها)** من جبرائيل عليه السلام وكتبه أمير المؤمنين عليه السلام وسمّيناه بالمصحف النوعي؛ وذلك لأن لها مصاحف متعددة ذكرناها بالتفصيل في كتابنا: "شبهة إلقاء المعصوم في التهلكة"؛ وقد توارثه أئمة الهدى عليهم السلام عنها وعملوا بمضمونه.

كلُّ هذا السرد في العلم الوراثي جاء من أجل بيان أن علوم أهل البيت عليهم السلام منها وراثيٌّ، ومنها لدنيٌّ، وليست كلّها وراثيةً محضةً؛ بل أغلبها علوم إفاضيّة وهبها الله تعالى لهم كما وهبها ـ بدرجة أقل منهم ـ لمن دونهم مرتبةً ومقاماً، وقد كشفت تلكم الأخبار ـ التي أشرنا إلى جملة منها ـ عن أن علومهم قذفية في قلوبهم وليست كسبية تناقلوها عن جدِّهم رسول الله صلى الله عليه وآله.

العلوم اللدنية والإلهامية:

وهنا ينبغي لنا أن نؤكِّد على أعظم القنوات العلميَّة الخاصة للمعصومين عليهم السلام غير ما قدَّمناه سابقاً من القنوات العلميَّة باعتبارها قنوات ظاهرية موروثة، وأمَّا القنوات الخاصة الأُخرى فلها شأن آخر عندهم عليهم السلام من دون تمييز بينهم، ومعهم سيِّدة نساء العالمين مولاتنا الصدِّيقة الكبرى فاطمة الزهراء (أرواحنا فداها)، إذ إنَّها قنوات إلهاميَّة إشراقية فاضت على قلوبهم القدسية، ولا علاقة للوراثة بتلقيها؛ وغايتنا من ذلك هي إثبات حضورية عقولهم المطَّهرة لتلقِّي الفيض الإلهي لنبرهن أهمية علومهم الفعليَّة وحضوريتها من دون أن تلعبَ الوسائطُ العادية الوراثية دوراً في تلقِّيهم لها، وهي على أنواع متعددة هي الآتية:

النوع الأول: استشراف عقولهم الشريفة لعوالم الغيب:

وهـذا الاستشـراف هـو نـوع إحاطـة علميّـة للوقـائع والحـوادث التكوينيـة كالملاحم والفتن والتيارات الكافرة والمنحرفة والمهتدية من خلال الإخبـارات الغيبية التي اتصف بها أمير المؤمنين وأهـل بيته الطيبـون الطـاهرون عليهم السلام ، وهي إخبارات غيبيَّة ليس للوراثة فيها يدٌ أبداً ، بل هي نفحات غيبيَّة إلهاميـة مصـدرها عـلام الغيـوب قـذفها في قلـوبهم الطـاهرة ، وهـو أمـرٌ بـديهي لسـنا بحاجةٍ إلى إقامة البرهان عليه لوضوحه عند المحصِّلين مـن متكلمـي الإماميـة رغم أنَّه بـات محلاً للأخـذ والـردِّ عنـد بعـض العلمـاء القشـريين ممـن شـكَّك بإحاطتهم العلميَّة ، في حين رفض بعضٌ آخر ذلـك في مقابـل الفريـق الآخـر المثبت لإحاطتهم العلمية الغيبيَّة إحاطة إلهامية لا وراثية ، لذلك ومن منطلق حرصنا على سلامة المسيرة العلميَّة الحضوريَّة لأهل بيت العصـمة والطهـارة عليهم السلام ، وعلى سلامة عقائد الشيعة ارتأينا البحث فيه بكتابنـا هـذا مـع أننـا أفضنا البحث فيه في كتابنا القيّم الموسوم بـ: " شبهة إلقاء المعصـوم في التهلكـة ودحضها " ، عسانا نوفق في ردِّ المعالم من هـذا الـدين الـذي تلاعبـت بـه أيـادٍ غير نظيفة ، والله تعالى حسبنا ونِعْمَ الوكيل.

والبحث في هذا النوع يتمحور حول جهتين:

(الجهة الأولى) : رجاحـة عقـولهم الشـريفة ، واستشـرافها لعـوالم الغيـب ، واطلاعهم على مجريات الأمور.

(الجهـة الثانيـة): عصـمتهم عليهم السلام في مجـال إبـداء الـرأي وتشـخيص الموضوعات الخارجية.

وبما أن الجهة الثانية لا تعنينا كثيراً في بحث علامات الظهور الشريف؛ باعتبار وضوح عصمة أئمتنا الطاهرين عليهم السلام في الفكر الإمامي من حيثية إن الإمام الحُجَّة القائم عجل الله فرجه الشريف من المشمولين بأدلة العصمة، لذا ارتأينا الاكتفاء بالجهة الأولى لأهميتها على صعيد إحاطة أئمتنا الطاهرين عليهم السلام بعوالم التكوين ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، وإليكم تفصيل الجهة الأولى على النحو الآتي:

إن الحديث حولها طويل ومهم جداً على الصعيد الفقهي والعقائدي، لما في ذلك من تبيان لعظمة الإمامة والإمام عليه السلام، وأنه فردٌ مميَّزٌ وفريدٌ في ملكاته العلمية الربانية، وهو ليس كسائر البشر الذين يقتبسون العلم من طريق الوراثـة الاكتسـابية؛ إذ إنَّ النصـوص الشـريفة كشـفت عـن أن علـومهم ومعارفهم إحاطية لدنية، ويكفي في التدليل على أهمية الإمام وعظمته عند الله تعالى ما رواه لنا المحدِّث الكليني في" أصول الكافي": باب النوادر من صفات الإمام عليه السلام فإنَّه حجةً شرعيَّة وعقليَّة على من ألقى السمع وهو شهيد.

والحاصل: إن البحث في الجهة الأولى متشعب إلى أمورٍ عديدة هي الآتية:

الأمر الأوّل: تحديد ماهيّة العقل.

"والعقل" في الاصطلاح اللّغوي مصدر، اشتُقّ منه الفعل: "عَقَلَ" و"عقَّلَ" و"تعقَّلَ"، فعَقَلَ البعير: ثنى وظيفه ـ مستدق ساقه ـ مع ذراعيه فشدّهما معاً بحبلٍ هو العقال. وعَقَلَ الدّواءُ بطنَه: أمسكه، وعقلت المرأةُ شعرَها: مشّطته، وعَقَل عقلاً الشّيء: فهمه وتدبّره، وعَقَل الغلام: أدرك، يقال: "ما فعلتُ منذُ عقلتُ"؛ أي منذ أدركتُ، وعقل فلانٌ بعد الصّبا: عرف الخطأ الّذي كان عليه.

تقسيمات العقلين النظري والعملي:

إنّ العقل في اللّغة هو تعقّل الأشياء وفهمها، وأمّا معناه في الاصطلاح الرّوائي والكلامي، فقد اختُلِفَ فيه كثيراً على أقوال، يجمعها شيءٌ واحدٌ هو أنّ العقل نورٌ غيبي تدركُ به النفس ما لا تُدركه بالحواسّ بحيث يمنعها من التورّط في المهالك؛ ولا يفرق المعنى اللّغوي عن الاصطلاحي بشيء سوى في التّقسيمات التي أفرزتها كلماتُ الفلاسفة والمتكلّمين، وإلا فالقدر المتيقّن أو ما يُسمّى بالجامع بين هذه التقسيمات والمعاني هو ما ذكرناه آنفاً، ونحن لن نخالف ما اصطلح عليه المشهور في تقسيم معناه على أمور هي الآتية:

(الأوّل): هو الغريزة التي بها يمتاز الإنسان عن الحيوان، ويستعدّ لقبول العلوم النّظريّة، وتدبير الصّناعات الفكريّة، ويستوي فيه الأحمق والذّكي، ويوجد في النائم والمُغمى عليه والغافل، وكما أنّ الحياة غريزة في الحيوان يفعل بها ويتهيّأ جسمه للحركات الاختياريّة، والإدراكات الحسّية، فكذلك

هذا العقل غريزة يتهيّأ بها الانسان لاكتساب العلوم النّظريّة، فليس لأحدٍ أن يقول: إنّ الإنسان يساوي الحمار في الغريزة، ولا فرق بينهما إلا أنّ الله يخلق بحكم العادة فيه علوماً ولا يخلقها في الحمار والبهايم، إذ لو جاز ذلك، لجاز أن يُساوى بين الحمار والجماد في الغريزة والحياة، من غير فرقٍ، إلا أن الله تعالى يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم إجراء العادة، تماماً كما يمتنع أن تكون مفارقة الحيوان للجماد في حركاتٍ مخصوصة جرت العادة على صدورها منه لا من الجماد بغريزة خاصّة به ليست في الحمار، كذلك استحال أن يكون حصول العلوم النّظريَّة والتدابير الفكريّة من الإنسان بمجرّد إجراء العادة من الله تعالى حيث خلقها فيه لا لأجل غريزة فطره الله تعالى عليها بها يكون متميِّزاً بها عن البهايم، وبها تصدر عنه تلك العلوم والتّدابير، وهذا أمرٌ عظيم، به يتسامى الإنسانُ ويترقى عن حضيض البهيميَّة والجماديّة إلى صفة النورانية والملكوتية في أفعاله وأقواله، ولا يمكن الوصول إلى هذه الدرجة إلا بعد الصَّقْلِ والتهذيب، تماماً كالمرآة التي تمتاز عن ساير الأجسام بصفة مخصوصة هي جودة الصَّقْل التي تتيح لها حكاية الصّور والألوان، وكذلك العين تفارق ساير الأعضاء بصفة غريزيّة بها استعدّت للرّؤية، فنسبة هذه الغريزة في استعدادها لانكشاف العلوم كنسبة المرآة إلى صور الألوان، ونسبة العين إلى صور المرئيّات، والعقل بهذا المعنى يستعمله الحكماء في كتاب البرهان، ويعنون به قوّة النّفس الّتي بها يحصل

اليقين بالمقدّمات الصّادقة الضّروريّة، لا عن قياسٍ وفكر؛ بل بالفطرة والطّبع، ومن حيث لا يشعر... من أين حصلت؟ وكيف حصلت؟؛ إذاً هو جزءٌ ما مِنَ النّفس تحصل به أوايلُ العلوم.

(الثّاني): العقل الّذي يردّده الجمهور من المتكلّمين في ألسنتهم فيقولون: هذا ما يوجبه العقل، وهذا ما ينفيه العقل، وإنّما يعنون به المشهور في بادىء الرّأي، المشترك عند الجميع أو الأكثر، فهذا ما يسمّونه العقل؛ كما يظهر من استقراء استعمالاتهم لهذا اللفظ في ما يتخاطبون به أو يكتبونه في كتبهم العلميّة، ومن هذا الباب العلوم الضّروريّة كالعلم بأنّ الاثنين ضعف الواحد، وأنّ الأشياء المساوية لشيء واحد متساوية، وأنّ الجسم الواحد لا يحصل في حيّزين.

(الثالث): العقل الّذي يذكر في كتاب الأخلاق، ويراد به جزءٌ من النفس يحصل بالمواظبة على اعتقاد شيء أو تجربة شيء من الأمور الإراديّة التي لنا أن نؤثرها أو نجتنبها، فإنّ ذلك الجّزء من النّفس سُمِّيَ عقلاً، والقضايا التي تحصل للإنسان بهذا الوجه وفي ذلك الجّزء من أجزاء النّفس هي مبادئ الرّأي فيما سبيله أن يستنبط من الأمور الإراديّة التي شأنها أن تؤثر أو تجتنب، ونسبة هذه القضايا إلى ما يستنبط بها من تلك، كنسبة تلك القضايا الضّروريّة إلى ما هي مبادئ لها من العلوم النّظريّة الّتي غايتها أن تُعْلم لا أن يفعل بها شيء، وهذا العقل ممّا يزيد ويشتدّ مع الإنسان طول عمره فإن مَنْ

حنَّكَته التجارب وهذّبته المذاهب يُقال في العُرف أنّه عاقل، ويتفاوت ويتفاضل فيه النّاس تفاضلاً كثيراً.

(الرّابع): الشّيء الّذي به يقول الجمهور للإنسان: إنه عاقل، ومرجعه إلى جودة الرّويّة وسرعة التفطّن في استنباط ما ينبغي أن يؤثر أو يُجتنب، وإن كان في باب الأغراض الدنيويّة وهوى النفس للسّوء، فإنّ النّاس يسمّون من له هذه الرّويّة المذكورة عاقلاً، ويعدّون معاوية من جملة العقلاء، وأمّا أهل الحقّ فلا يسمّون هذه الحالة عقلاً بل اسماً آخرَ كالنّكراء أو الشّيطنة أو الدّهاء أو ما شابه، والوجه في ذلك أنّ النفس الإنسانيّة متى كانت نشأتها غير مرتفعة عن عالم الحركات وكان الغالب على طبعها الجزء النّاري الذي شأنه سرعة الحركة وقوّة الاشتعال، فهي ـ والحال هذه ـ شديدة الشّبه بالشّيطان في استنباط الحيل والمكر والاستبداد بالرّأي والعمل بالقياس الفاسد والإستعلاء والغواية والإغواء، بخلاف النفوس النوريّة المطمئنة الطّبع المعتدلة الخلقة، العالية الجوهر عن هذا العالم، فإنّ شأنها الانفعال عن الملكوت الأعلى، والتوكّل على الله عزّ وجلّ في أمر دنياها، واستعمال رويّة الفكر على سبيل القصد، فلا يكون مكّاراً ولا بليداً، فخير الأمور أوسطها، فهذا معنى العقل المستعمل في هذا الموضع، ومرجعه إلى تعقُّل الأمور والقضايا المستعملة في كتب الأخلاق والتي هي مبادئ للآراء والعلوم التي يتوجب علينا أن نعقلها لنفعلها أو نتجنّبها، ونسبة هذه

القضايا إلى العقل المستعمل في كتب الأخلاق كنسبة تلك العلوم الضّروريّة إلى العقل المستعمل في كتاب البرهان، فهذان العقلان جزءان من النّفس الإنسانيّة: أحدهما جزء انفعالي علمي ينفعل بالمبادئ العالية من العلوم والمعارف التي غايتها أنفسها؛ وهي الإيمان بالله واليوم الآخر، وثانيهما جزء فعلي عملي يفعل في ما تحته بسبب الآراء والعلوم التي غايتها أن يعمل بمقتضاها من فعل الطّاعات والاجتناب عن المعاصي والتخلّق بالأخلاق الحسنة والتخلّص من الأخلاق الذّميمة وهو الدّين والشّريعة، فإذا حصلت الغايتان حصل التقرّب إلى الله تعالى والتجرّد عمَّن سواه.

(الخامس): العقل الذي يذكر في كتاب النّفس وهو يطلق على أربعة أنحاء ومراتب: عقل بالقوّة وعقل بالملكة، وعقل مستفاد وعقل بالفعل، فأوّلها هو قوّة من قوى النّفس بل هي النّفس من حيث نشأتها الأولى التي ليس فيها كمال وصورة عقليّة كماليّة ولا استعداد قريب لها، لكن قوّتها في أنَّها تنتزع ماهيّات الموجودات كلّها وصورها، وثانيها: قوّة من النّفس أو هي النفس من حيث استعدادها بواسطة العلوم العاميّة والإدراكات الأوّليّة لكي تحصل فيها صور الموجودات المنتزعة عن موادّها الخارجيّة؛ جاعلةً إيّاها متّحدة بها اتّحاد المادّة بالصّورة. وثالثها: مرتبة كونها بالفعل كلّ المعقولات أو أكثرها. ورابعها: مرتبة من هذه الذّات متى شاءت أن يعقل هذه المعقولات مفصّلة أحضرتها من غير أن تحتاج إلى نزع وتجريد وتجشّم

كسب جديد، كيف وقد انتزعتها سابقاً وتجرّدت واختزنت، بل لما حصلت لها ملكة الاتّصال بالعقل الفعّال فهي متى نظرت إلى العقل الفعّال استحضرتها لأنّها ما دامت باقية التعلّق والتّدبير لهذا العالم لم تكن دائمة الاستغراق لشهود الحقّ الأوّل والاتّصال به وبما يتلوه من واهب الصّور بإذنه، وفعّال المعقولات بقوّته التي تمسك الأرض والسّماوات وإنّما الّذي لها في هذا العالم ملكة الاتّصال على وجه.

(السّادس): المذكور في الإلهيّات ومعرفة الرّبوبيّات وهو الموجود الّذي لا تعلّق له بشيء إلا بمبدئه، وهو الله القيّوم فلا تعلّق له بموضوع كالعرض، ولا بمادّة كالصّورة ولا ببدن كالنّفس، وليس له كمال بالقوّة، ولا في ذاته جهة من جهات العدم والإمكان والقصور إلا ما صار منجبراً بوجوب وجوده الحقّ تعالى، ولهذا يُقال لعالمه عالم الجّبروت، وكلّه نور وخير، ولا تشوبه شائبة ظلمة أو شرّ إلا ما احتجب بسطوة الضّوء الأحديّ والشّعاع الطّامس القيّوميّ وهو أمر الله تعالى وكلمته وهو المنعوت بما جرى في قول مولانا أبي الحسن الإمام موسى بن جعفر الصّادق عليهما السلام قال: ﴿ **لمّا خلق اللهُ العقلَ استنطقه ثمّ قال له: أقبِل فأَقبَل ثمّ قال له: أدبر فأدبَر ثمّ قال: وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ منك ولا أكملتك إلا فيمن أحبّ، أمَا إني إيّاك آمر وإيّاك أنهى وإيّاك أعاقب وإيّاك أثيب**﴾.

المختار من المعاني المتقدّمة للعقل: هو المعنى الرّابع، إذ هو الثمرة الأساسيّة المترتّبة على بقيّة المعاني؛ وبه جاء المديح من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، فقد سُئِلَ الإمام الصّادق عليه السلام ما العقل؟ قال عليه السلام: ﴿ **ما عُبِدَ به الرّحمن واكتُسِبَ به الجنان** ﴾. قلت: فالّذي كان في معاوية؟ فقال عليه السلام: ﴿ **تلك النّكراء وتلك الشّيطنة وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل** ﴾.

وهو المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وآله لمولانا أمير المؤمنين أسد الله الغالب الإمام عليّ بن أبي طالب عليهما السلام: ﴿ **إذا اكتسب النّاس من أنواع البرّ ليتقرّبوا بها إلى ربّنا عزّ وجلّ، فاكتسب أنت من أنواع العقل تسبقهم بالزّلفة والقرب** ﴾.

وكذا ما ورد عنه صلى الله عليه وآله بقوله لأبي الدّرداء: ﴿ **إزدد عقلاً تزدد من ربّك قرباً** ﴾، فقال: بأبي أنت وأمّي، وكيف لي بذلك؟ فقال صلى الله عليه وآله: ﴿ **إجتنب محارم الله وأدِّ فرائض الله تكن عاقلاً، وأعمل الصّالحات من الأعمال تزدد في عاجل الدّنيا رفعة وكرامة، وتنل من ربّك القرب والعزّ** ﴾.

وبالجملة: فإنّ الأقسام ما عدا الرّابع كلّها معانٍ للعقل النّظري، وأمّا الرّابع ـ والّذي قلنا آنفاً أنّه الثّمرة الأساسيّة المترتّبة عن بقيّة المعاني ـ فحيث إنّه قوّة تُعْرفُ بها عواقب الأمور، فينبغي أن يقمع الشّهوة الدّاعية إلى اللّذة العاجلة ويقهرها، فإذا حصلت هذه القوّة سُمِّيَ صاحبها عاقلاً؛ لأنّ إقدامه

وإحجامه مترشّحان بما يقتضيه النّظر في العواقب، لا بحكم الشّهوة العاجلة، وبهذه القوّة يتميّز الإنسان عن الحيوان.

مراتب العقل العملي:

وبناءً على ما تقدَّم: فإنّ مراتبَ العقل العملي أربعٌ هي الآتية:

(الأولى): تهذيب الظّاهر عبر الإتيان بالعبادات واجتناب النواهي الشرعية.

(الثانية): تطهير الباطن من الرّذايل؛ حتى تصير النّفس كمرآةٍ مجلوّة تتجلّى فيها الحقايق في كسوة الأمثال.

(الثّالثة): أن تشاهد المعلومات كلّها أو جلّها.

(الرّابعة): أن يفنى عن نفسه ويرى الأشياء كلّها صادرة من الحقّ راجعة إليه، وهذا بعينه هو التّخلّق بأخلاق الله تعالى كما ورد في قوله صلى الله عليه وآله: ﴿**تخلّقوا بأخلاق الله**﴾ وهو آخر الدّرجات لكلا العقلين: النّظري والعملي اللذين يتّحدان في هذه الغاية، وليس وراء عبّادان قرية.

والعقل الّذي هو عبارة عن الغريزة الإنسانيّة الّتي بها يمتاز الإنسان عن البهائم ليس أمراً متساوياً في أفراد النّاس كلّها، بل الحقّ أنّ جواهر النّفوس الإنسانيّة في أصل الفطرة مختلفة في الإشراق والكدورة والضّياء والظّلم؛ فبعض النّفوس في صفاء الجوهر وقوّة الذّكاء واستعداد الإستضاءة، بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نارٌ، نورٌ على نور، فلا يحتاج إلى معلّم

بشري لكي تستكمل ذاته بأنوار المعرفة والهدى، وبعض النفوس في كدورة الجوهر وخمود نور القريحة بحيث لا ينجع فيها تعليم ولا تأديب.

وزبدة المخض: إنّ العقل، بأيّ المعاني كان، يقع الاشتباه بينه وبين النّكراء والشّيطنة، ومنشأ الاشتباه هو أنّ كِلاَ العقلين يشتركان في جودة الرّوية وسرعة التعقّل في أمور وقضايا هي مبادئ آراء واعتقادات فيما يجب أن تُؤثر أو تُجْتَنَب، سواء كانت في باب الخير والآجل، أو في باب الشّر والعاجل، إذ إنَّ المتعلّق بالدّنيا في أعماله وحركاته الفكريّة لا يخلو من إفراط وتفريط واعوجاج وتشويش واضطراب وعجلة كالشّياطين وعبدة الطّاغوت، وأمّا الصّادر من عباد الرّحمان المتعلّق بأمور الدّين والعرفان فيكون في حالٍ من الإطمئنان والسكينة والاستقامة، وسلامة الأحكام وصحّة السير والسلوك إلى الله تعالى بقدم العبودية والطاعة.

وفائدة العقل العملي تكمن في قهره للقوى الثّلاث: الشّهويّة والغضبيّة والوهميّة، ويرجع العقل العملي ـ في سياسته للقوى المتقدّمة وضبطه لها ـ إلى إشارة العقل النّظري، لذا فإنّ سلامة القوّة الإدراكيّة تؤثر إيجاباً على القوى العمليّة، وتقَهْقُر القوّة الإدراكيّة إلى البلادة أو البلاهة والجربزة؛ ما يستتبع ضعف العمليّة وضمورها.

وبالجملة: لا ريب أنّ عقل النبيّ والوليّ (عليهما السلام) أرجح العقول لما يمتاز به من خصائص روحيّة راقية نتيجة قربه من المبدأ الفيَّاض، لا سيّما أنّ

كـلّ إدراك لا بـدّ فيـه مـن تجريـد، فالمـدركات العقليّـة باتفـاق المـتكلمين والفلاسفة الإلهيين مجرّدة عن المادّة، وكلّ إدراك يحصل به يعتبر نزعاً لحقائق الأشياء وأرواحها عن قوالب الأجسام وهياكل المواد، فالصّورة العقليّة منتزعة نزعاً تاماً من هياكل المادّة؛ لأنّ قوامها بهيئتها وصورها لا بمادتها؛ لكون العقل غير مقصود إدراكه لظواهر الشيء، بل يتغلغل ويغوص في ماهيّة الشيء وحقيقته، ويستنسخ منه نسخة مطابقة له من جميع الوجوه؛ فيصير هو هي بحقيقتها، وأمّا الإدراكات الحسيّة فإنها مشوبة بالجهالات ونيلها ممزوج بالفقدان، فإنّ الحسّ لا ينال إلا ظواهر الأشياء وقوالب الماهيات دون حقائقها وبواطنها، " فليس في العقل المحض تكثر البتة، ولا ترتب صورة فصورة، بل هو مبدأ لكلّ صورة يفيض عنها على النفس، وعلى هذا ينبغي أنْ يعتقد الحالّ في المفارقات المحضة في عقلها للأشياء؛ فإنّ عقلها هو العقل الفعّال للصّور والخلاق لها بقدرة الله تعالى [1]".

وإثبات العقل المحض ـ أو ما يعبّر عنه بالعقل البسيط ـ لا يمكن إلا بالقول باتحاد العاقل بالمعقولات على الوجه الّذي أقامه ملا صدرا القائل بإمكان صيرورة الانسان عقلاً بسيطاً فعالاً، فيه تتحد المعقولات كلّها ، فالنفس إذا خرجت من القوّة إلى الفعل صارت عقلاً بسيطاً تنطبع فيه كلّ الأشياء، فيمكن أنْ تتعقّل النفس حينئذٍ التعقلات الكثيرة دفعةً واحدةً، ولا يكون

[1] : أنظر: الأسفار الأربعة لملا صدرا ج ٤/ ٣٦١ .

ذلك إلا بالتعبد لله تعالى خالصاً من جميع الشوائب والصفات قصد القربة من الله تعالى والارتباط بالحضرة القدسية، ومعناه باللسان الواضح: تعرية النفس عن النقائص والأدناس، وإرادة ترقيها إلى مدارج مراتب التجرد والتخلص عن التعلقات المعنوية المنفرة عن الله تعالى، ولا طريق لذلك إلا الثبات في إطاعة الحضرة الأحدية، وهو ما أشار إليه مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام: « خَلقَ الإنسانَ ذا نفسٍ ناطقة، إن زكّاها بالعلمِ والعملِ فقد شابهتْ أوائلَ عللِها، وإذا اعتدلَ مزاجُها وفارقتْ الأضدادَ شابهتْ السبعَ الشّداد ». ولا يبلغ هذه المرتبة إلا الأولياء من آل محمد عليهم السلام الشهداء على خلقه تعالى، ولعلَّه كناية عن انتقاش قلوبهم الصافية المصقولة بنور اللَّه بما في اللوح المحفوظ وصيرورتهم العقل بالفعل وبلوغهم رتبة الشهود التام، وإلى قابلية الإنسان لهذه الرتبة أشار أمير المؤمنين صلّى الله عليه وآله وسلّم بقوله الشريف:

دواؤك فيك وما تشعر ❖ وداؤك منك وما تبصر

وتزعم أنك جرم صغير ❖ وفيك انطوى العالم الأكبر

وأنت الكتاب المبين الذي ❖ بأحرفه يظهر المضمر

توضيح ذلك: إنّ العِلْم والتعقّل ضربان من الوجود الذهني للأعيان الخارجية، والوجود متحد مع الماهية، والماهيّة في جميع حالاتها تابعة للوجود، وكلّ نحو من أنحاء الوجود تتبعه ماهية خاصة من الماهيات المعبّر

عنها عند بعضهم بالتعيّن، وعند بعضهم بالوجود الخاص، كتابعية الصورة الواقعة في المرآة للصورة المحاذية لها على نحو الحكاية والتخيّل وليس على نحو الأصالة والإتصاف بشيء منها في الحقيقة، فكذلك حال الماهية بالقياس إلى الوجود وتوابعه، فإن الماهية نفسها خيال الوجود وعكسه الذي يظهر منه في المدارك العقلية والحسيّة، فماهية كلّ شيء هي حكاية عقلية عنه وشبح ذهني لرؤيته في الخارج وظلّ له، وكذا العِلْم متحد مع المعلوم، وكما أنّ بعض الوجودات خسيسٌ ضعيف، وبعضه شريف قويّ، والخسيس قشر قليل المعاني مقصور على معنى واحد كالمقدار الواحد وإنْ عظمت سماكته وجُسِمَ انبساطه في الجهات، والشريف لبّ كثير الحيطة بالمعاني، وإنْ صغر مقداره، أو لم يكن له مقدار كالنفس الناطقة فكذلك العِلْم له أنواع كثيرة بعضها خسيس ضعيف كالحسّ فلا يمكن أنْ يحسّ بإحساس واحد محسوسات متعدّدة، وبعضها شريف كالتعقّل فإنّ العقل الواحد يكفي لإدراك معقولات لا تتناهى كما في العقل البسيط.

وبعبارةٍ أُخرى: كلما كان العِلْم أعلى وجوداً، كان أكثر حيطةً بالمعلومات وأشدّ جمعيّة للماهيات، فإذا عرفنا الشيء بحدّه التامّ عرفناه بتمام حقيقته، فلو استحال حصول العِلْم بشيءٍ بجميع أجزائه دفعةً واحدةً لاستحال العِلْم بكنه حقيقته في وقت من الأوقات؛ فبهذا يظهر إمكان حصول التصورات الكثيرة، وأما كيف يمكن حصول التصديقات الكثيرة؛ فلأنّ المقدّمة

الواحدة المنطقية – كالصغرى المنطقية – لا تنتج علماً بمفردها، بل لا بدَّ من ضم الكبرى إليها؛ فلو استحال العِلْم بالمقدّمتين معاً، لاستحال حصول العلم بالنتيجة، وأيضاً العِلْم بوجود المضافين حاصل معاً، وكذا العِلْم بوجود اللازم ووجود الملزوم، فعلم بهذا الدليل صحّة حصول العلوم المتعدّدة في آنٍ واحدٍ، ومما يؤكّد ذلك ويحقّقه؛ أنّ النفس العارفة بمعلومات كثيرة عند تحققها بمقام العقليّة وتجرّدها عن جلباب البشريّة لا يسلب منها علومها؛ بل يزيدها كشفاً ووضوحاً، ومع ذلك لما خرّجت عند ذلك من اختلاف الأوقات والأمكنة فتحضر معلوماتها بأسرها عندها دفعةً واحدة كالحالّ في علوم المفارقات في كون معلوماتها بأسرها حاضرةً معاً بالفعل بلا شائبة في قوّة.

(إنْ قيل): نحن نجد من نفوسنا أنّا إذا أقبلنا بأذهاننا على إدراك شيء تعذّر علينا في تلك الحال الإقبال على إدراك شيء آخر.

(قلنا): إنّ العِلْم كالوجود، يختلف في الكمال والنقص، فالعِلْم العقلي كالوجود العقلي مغاير للإدراك الخيالي والوجود الحسّي، فإنا إذا قلنا: الإنسان جوهر قابل للأبعاد نامٍ حسّاس ناطق، أحاط عقلنا بمفهومات هذه الألفاظ وظهر في خيالنا أثر مطابق لهذه المعقولات، فإذا قلبنا الجملة المتقدِّمة وقلنا: ناطق حساس ونامٍ قابل للابعاد جوهر؛ فالمعنى المفهوم عند العقل لا ينقلب لكنّ الصّور الخياليّة تنقلب وتنعكس، فإذا كان الأمر كذلك فربما

يساعد على القوة الخياليّة، ويصعِّب عليها استحضار أمور كثيرة وتخيلات مختلفة هي صور وحكايات لأمورٍ عقليّة تعقلها النفس بقوتها العقليّة، وأمّا العقل فإنه يقوى على ذلك، والّذي يجده الناس كالمتعذر على نفوسهم من إدراك تعقلات متعدّدة في وقت واحد منشأه تعصّي القوّة الخياليّة عن تصويرها دفعةً واحدةً، ومع هذا لا يصعب عليها إدراك التخيلات التي ليست تصويراً للمعقولات دفعةً واحدةً، ولذلك قيل: "شأن العقل توحيد الكثير، وشأن الحسّ تكثير الواحد".

وبتعبيرٍ آخر: إنّ هناك جهتين تمنعان استحضار القوّة الخياليّة لأمرين في وقتٍ واحدٍ:

(أحدهما): إنّ للقوى الخياليّة مظاهر ماديّة في البدن كالعين، والأذن، والأجزاء الدماغيّة؛ تعمل أعمالاً ماديّة توجب استعداد النفس لإدراكات مخصوصة، وعصيانها في الحقيقة يكون من دون القوى الماديّة دون القوى النفسانيّة المجرَّدة، من هنا تعالج الذاكرة بأكل الزبيب والكندر وما شابه ذلك.

(ثانيهما): إنّ القوى الخياليّة ـ وإنْ كانت مجرَّدة ـ عن المادّة، لكنها غير مجرَّدة من صفات المادّة كالكمّيّات وبعض الكيفيات، ولازم ذلك وقوع ترتيب ما بين المتخيلات، ولازم الترتيب عدم اجتماع الأجزاء في الجملة، فإذا تخيلنا طلوع الفجر ثمّ طلوع الشمس، فزوالها إلى غروبها، كان من

طبع مخيلتنا هذه أنْ تفرِّق بعض أجزائها عن البعض الآخر، حتى وإنّ فارق الجميع المادّة.

وبناءً عليه: فإنّ مبدأ العلوم كلّها من عالم القدس، لكنّ استعدادات النفوس متفاوتة، وعند تمام الاستعداد لا فرق في الإفاضة بين الأوليات والثانويات، فحال الإنسان في إدراك الأوليات، وكمالها بعد التفطن للحدود الوسطى في إدراك النظريات وكأنها تحصل بلا سبب، ووجود الشيء بلا سبب محال، لكنّ السبب قد يكون ظاهراً مكشوفاً، وقد يكون باطناً مستوراً، والملقي للعلوم على النفوس المستعدّة هو في الحقيقة سبب مستور عن الحواس، إنَّه معلّم شديد القوى بالأفق الأعلى، وفعله في النفوس في غاية الخفاء، ولكن قد يبرز من الباطن إلى الظاهر وقد يبرز من مكمن الغيب إلى عالَم الشهادة؛ والأوّل كما للأنبياء والثاني كما للأولياء.

إنّ باب الملكوت غير مسدود على أحد إلا لمانع من نفسه، وحجاب من غلظة طبيعته، فبقدر سعيه وحركة باطنه بتلطّف ذهنيّة قلبه ومقدحة طبعه، يستعدّ كبريت نفسه لأنْ ينقدح فيه شعلة من نار الملكوت أو نور من أنوار الجبروت، كيف لا؟ والإحساس بالجزئيات سبب لاستعداد النفس لقبول التصوّرات الكليّة، وحصول التصوّرات المتناسبة سبب لحكم الذهن بثبوت أحدهما للآخر، فكثيراً ما يقع للذهن التفاتٌ إلى تصوّر محمول بسبب الإحساس بجزئياته عند استحضار تصوّر موضوعه، وعند ذلك يترتّب

عليه؛ لا محالة، الجزم يثبوت ذلك المحمول لذلك الموضوع من غير استفادة من معلم أو راوية أو سماع من شيخ أو شهادة عدل أو تواتر، فظهر أنّ الإنسان غير المعصوم يمكنه أنْ يتعلّم غير الشرعيات من نفسه، وكلما كان كذلك فإنه يسمّى حدساً، وهذا الإستعداد القريب يتفاوت في أفراد الناس، فرُبّ إنسانٍ بالغ في جمود القريحة وخمود الفطنة، بحيث لو أكبّ طوال عمره على مسألة واحدة تعذّر عليه تحقيقها، وانصرف عنها بدون مطلوبه، ورُبَّ إنسانٍ يكون بضدّ ذلك، حتى أنه لو التفت ذهنه إليه أدنى التفاتة حصل له ذلك، ثمّ لّما كانت الدرجات متفاوتة والقلوب مختلفة صفاءاً وكدورةً وقوّةً وضعفاً في الذّكاء، وكثرة وقلّة في الحدس؛ فلا يبعد في الطرف الأعلى وجود نفس عالية شديدة قويّة الإستنارة من نور الملكوت، سريعة قبول الإفاضة من منبع الخير والرحمة، فمثل هذا الإنسان يدرك لشدّة استعداده أكثر الحقائق في أسرع زمان فيحيط عِلْماً بحقائق الأشياء من غير طلبٍ منه وشوقٍ؛ بل إنَّ ذهنه الثاقب يسبق إلى النتائج من غير مزاولة لحدودها الوسطى، وكذلك من تلك النتائج إلى أخرى حتى يحيط بغايات المطالب الإنسانيّة ونهايات الدرجات البشريّة، وتلك القوّة تسمّى قوّة قدسيّة، وهي في مقابلة الطرف الأدنى من أفراد الناس ومخالفتها لسائر النفوس بالكمّ والكيف، أمّا الكمّ فلكونه أكثر استحضاراً للحدود الوسطى، وأمّا الكيف فمن وجوهٍ هي الآتية:

(أحدها):إنها أسرع انتقالاً من معقولٍ إلى معقول، ومن الأوائل إلى الثواني، ومن المبادئ إلى الغايات.

(ثانيها):إنها تدرك العقليات الصّرفة من حيث إنياتها وهوياتها، لا من حيث مفهوماتها وماهياتها العامّة، فإنّ الوصول إلى حقائق تلك المعقولات هي العمدة في الإدراك من دون المعارف الكليّة، وإنْ كانت هي أيضاً وسيلة إلى ذلك الوصول إذا استحكمت ورسخت أصول معانيها في النفس، ولذلك قيل: "المعرفة بذر المشاهدة".

(ثالثها): إنّ سائر النفوس تعيّن المطالب أوّلاً، ثمّ تطلب الحدود الوسطى المنتِجَة لها، وأمّا النفس القدسيّة فيقع الحدّ الوسط لها في الذهن أولاً ويصل الذهن منه إلى النتيجة المطلوبة، فيكون الشعور بالحدود الوسطى مقدَّماً على الشعور بالمطالب كما هو عليه الأمر في نفسه في ذوات المبادي اللمّية.

زبدة المخض: إنّ عقل الحجج الطاهرين عليهم السلام أكمل العقول وأشرفها على الإطلاق؛ لأنّ نفوسهم القدسيّة بلغت الغاية في الاستنارة من نور الملكوت، فهي محلّ الفيض من منبع الخير والرّحمة، فمثلها تدرك كلّ الحقائق الشرعيّة والكونيّة من غير طلبٍ؛ بل لها الإحاطة بالحقائق والهيمنة على عوالم الملك والملكوت، فمثل هذه النفس لها قوّتان: عالِمة وعامِلة، والعاملة من هذه النفس لا تنفك عن العالِمة، وبعبارة أخرى: إنّ للنفس الناطقة قوتين:

أولاهما: قوّة الإدراك.

ثانيتهما: قوّة التحريك.

فقوّة الإدراك: يعبّر عنها بالعقل النظري، **وقوّة التحريك**: يعبّر عنها بالعقل العملي، فالنفس إذا ما اعتدلت قواها الشهويّة والغضبيّة لا يمكن أنْ تنال الحكمة بشطريها النظري والعملي، ويُراد من الحكمة النظريّة: معرفة حقائق الموجودات على ما هي عليه، والموجودات إنْ لم يكن وجودها بقدرتنا واختيارنا فالعِلْم المتعلّق بها هو الحكمة النظريّة، وإنْ كان وجودها بقدرتنا واختيارنا، فالعِلْم المتعلّق بها هو الحكمة العمليّة، ولا شكّ أنّ الحجج المطهرين عليهم السلام ممن يملكون الحكمتين معاً، فأيّة دعوى تنسب إلى الحجج المطَّهرين عليهم السلام الجهل بتصرفاته أو مصيره؛ فإنها لا محالة باطلة وذلك؛ لأنّ ما يتميّز به الحجج من قوّة الإدراك وقوّة التحريك تستلزم الإعتقاد بصوابيّة تحركاته وأفعاله.

وبالتقسيمات العقليّة التي أشرنا إليها سابقاً ندرك أنّ الحجج عليهم السلام يمتلكون أعلى مراتب العقل، بمعنى أنّنا عندما نقول إنّ النبيّ أو الولي لا يشتبه عليه شيءٌ، فذلك لأنّنا نعتقد ــ طبقاً للأدلّة ــ أنّه ذو قوّةٍ قدسيّة في عقله وروحه يستحيل من خلالها حصول الاشتباه في مطالبه أو تردّده فيها، لذا عُرّف العقل بأنّه "التمييز والإدراك والفهم"، وسمّي العقل عقلاً لأنّه يعقل صاحبه عن التورّط في المهالك والاشتباه في المطالب والتردّد في

التصديقات، لذا قيل: إنّ تعقلك للشيء يعني فهمك له ولحقيقته، لذا اصطُلح عليه في علم الكلام بأنّه قوّة إدراك الخير والشّر، والتمييز بينهما، والتمكّن من معرفة أسباب الأمور، وقد أسهبنا في بعض بحوثنا العقائدية السّابقة في الحديث عن حقيقة العقل[1].

من هنا قيل بوجوب انقياد العقل العملي للعقل النظري، ومثّلوا له بقوّتي الشّهوة والغضب الواقعتين تحت إشراف العقل العملي، وهو بدوره واقعٌ تحت سيطرة العقل النظري، فيستحيل انقياد القوّتين المذكورتين للعقل العملي من دون إشارة العقل النظري؛ فالعقل النظري هو المدرك للفضائل والرذائل؛ وذلك لأنّ النظري بمنزلة المشير الناصح، والعملي بمنزلة المنفّذ الممضي لإشاراته.

وبناءً على ما تقدَّم؛ فإن دعوى أنّ الحجج الطاهرين عليهم السلام يشتبهون في تشخيص الموضوعات مردودة على أصحابها لمنافاتها لما ذكرنا سابقاً.

الأمر الثاني: تكامل القوّتين " النظريَّة والعمليَّة " عند أهل البيت عليهم السلام:

اتّفق الحكماء على أنّ غاية السّعادة هي التّشبّه بالمبدأ؛ بمعنى أنْ يتمظهر الإنسان في صفاته بالمبدأ؛ فيصدر منه الجميل لكونه جميلاً، لا لغرضٍ آخر كجلب منفعة أو دفع مضرّة، ولا يتحقّق هذا إلا إذا صارت حقيقته ـ المعبَّر عنها بالنّفس النّاطقة ـ خيراً محضاً، فتتطهّر من جميع الخبائث الجّسمانيّة

---

[1] - راجع: (الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية): ج١ ص٣٦ - ٣٩.

والأقذار الحيوانيّة، ولا تحوم حول شيء من العوارض الطبيعيّة والخواطر النفسانيّة، وتمتلئ بالأنوار الإلهيّة والمعارف الحقيقيّة، وتتيقّن بالحقائق الحقّة الواقعيّة، فتصير عقلاً محضاً، بحيث تصير جميع معقولاتها كالقضايا الأوليّة، بل يصير ظهورها أشدّ، وانكشافها أتمّ، وحينئذٍ يكون له أسوة حسنة بالله سبحانه وتعالى وحججه الطاهرين عليهم السلام في صدور الأفعال وتصير أفعاله على مثال الأفعال الإلهيّة ـ أي شبيهة بأفعال الله سبحانه وحججه عليهم السلام ـ، يصدر منه الحسن لصرافة حسنه، ولمحض جماله يصدر منه الجميل، من دون داعٍ خارجيٍّ، فتكون ذاته غاية فعله، وفعله غرضه بعينه، وكلّما يصدر عنه بالذّات وبالقصد الأوّل فإنّما يصدر لأجل ذاته وذات الفعل، حتى وإنْ ترشّحت منه الفوائد الكثيرة على غيره بالقصد الثّاني وبالعرض، لذا قال الحكماء: إذا بلغ الإنسان هذه المرتبة فقد فاز بالبهجة الإلهيّة واللّذة الحقيقيّة الذّاتيّة، فيشمئزّ طبعُهُ من اللّذات الحسّيّة الحيوانيّة؛ لأنّ من أدرك اللّذة الحقيقيّة علم أنها لذّة ذاتيّة، والحسّيّة ليست لذّة بالحقيقة لتصرّمها ودثورها وكونها دفع ألم، لكن ليس معنى هذا أن يعرض السّالك عن ظواهر الشّرع بحجّة اللّذة الرّوحيّة، فإنّ الإعراض عمّا ذكرنا مخالف لظواهر الشّرع المبين، إذ إنَّ غاية ما أراده الحكماء هو أنّ على الإنسان أنْ يسعى نحو الكمال ويتشبّه به لا لشيء آخر دونه، فالقصد الأوّلي هو عين الكمال، واللّذة الحيوانيّة قد تكون مطلوبة له بالعرض؛ فتأمّل.

وحتى يشعر الإنسان باللّذة الرّوحيّة عليه أن يهذّب القوى النفسانيّة والعقليّة ؛ وهذه القوى هي أربعٌ :

١- قوّة نظريّة عقليّة.

٢- قوّة وهميّة خياليّة.

٣- قوّة سبعيّة غضبيّة.

٤- قوّة بهيميّة شهويّة.

ولكلّ واحدةٍ من هذه القوى لذّة وألم ، لأنّ اللّذة هي إدراك الملائم ، والألم هو إدراك غير الملائم ، فلكلٍّ من الغرائز المدركة لذّة ينالها صاحبها بحسب مقتضى طبعه الّذي خلق لأجله ، وألم هو إدراكه على خلاف مقتضى طبعه.

فغريزة العقل: إنما خُلِقَتْ لمعرفة حقائق الأمور ، فلذّتها في المعرفة والعلم ، وألمها في الجهل.

وغريزة الغضب: إنما خُلِقَتْ للتشفي والانتقام ، فلذّتها في الغلبة التي يقتضيها طبعها ، وألمها في عدمها.

وغريزة الشّهوة: إنما خُلِقَتْ لتحصيل الغذاء الّذي به قوام البدن ، فلذّتها في نيل الغذاء ، وألمها في عدم نيله ، وهكذا في غيرها ، فاللّذات والآلآم أيضاً على أربعة أقسام: العقليّة ، والخياليّة ، والغضبيّة ، والبهيميّة.

فاللّـذة العقليّـة كالابتهـاج الحاصـل مـن معرفـة الأشـياء الكلّيـة وإدراك الذّوات المجرّدة النّوريّة، والألم العقلي كالانقباض الحاصل من الجهل.

واللّـذة الخياليّـة كـالفرح الحاصـل مـن إدراك الصّـور والمعـاني الجزئيّـة الملائمة، والألم الخيالي كإدراك غير الملائمة منها.

واللّـذة المتعلّقـة بـالقوّة الغضـبيّة كالانبسـاط الحاصـل مـن الغلبـة ونيـل المناصب والرّياسات، والألم المتعلّق بـها كالإنقباض الحاصل من المغلوبيّة والمرؤوسيّة.

واللّذة البهيميّة هي المدركة بالأكل والجماع وأمثالهما، والألم البهيمي ما يُدرَك من الجوع والعطش والحرّ والبرد وأشباهها.

وهذه اللّذات والآلآم تصل إلى النّفس وهي المتلذّذة والمتألّمـة حقيقـةً. ثـمّ إنّ أقـوى اللّـذات هـي العقليّـة؛ لكونهـا فعليّـة ذاتيّـة غـير زائلـةٍ بـاختلاف الأحـوال، وغيرهـا مـن اللّـذات الحسّـية هـي انفعاليّـة عرضـيّة، ومنفعلة زائلة، وهي في مبدأ الحال مرغوب بها عند الطبيعيّين، وتتزايد بتزايد القـوّة الحيوانيّة، وتضغف بضعفها إلى أن تنتفي بالمرّة، ويظهر قبحها عند العقل، وأمّا العقليّة فهي في البداية منتفية؛ لأنّ إدراكها لا يحصل إلا للنّفوس الزّكيّة المتحلّية بالأخلاق المرضية، وبعد حصولها يظهر حسنها وشرفها، وتتزايد بتزايد القـوّة العقليّة إلى أن تنتهي إلى أقصى المراتب، حيث لا نقص ولا زوال.

وبناءً عليه: فلا تحصل السّعادة إلا بإصلاح جميع القوى والصّفات، ولا تحصل بإصلاح بعضها دون بعضها الآخر، أو في وقت دون وقت، تماماً كالصّحة الجسميّة وتدبير المنزل وسياسة المدن لا تحصل إلا بإصلاح جميع الأعضاء والأشخاص والطّوائف في جميع الأوقات، فالسّعيد المطلق هو من أصلح جميع صفاته وأفعاله على وجه الثّبوت والدّوام؛ بحيث لا يغيّره تغيّر الأحوال والازمان، فلا يزول صبره بحدوث المصائب والفتن، ولا يزول شكره بورود النوائب والمحن، ولا يتزعزع يقينه بكثرة الشّبهات، ولا يزول رضاه بأعظم النكبات، ولا يتأثر إحسانه بالإساءة، وبالجّملة لا يحصل التفاوت في حاله؛ حتى لو ورد عليه ما ورد على الصّابر وليّ الله الإمام سيِّد الشهداء أبي عبد الله الحسين بن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهم السلام لشهامة ذاته ورسوخ أخلاقه وصفاته، وعدم مبالاته بعوارض الطّبيعة وابتهاجه بشطر الحقّ، إذ كان عليهم السلام السّعيد الواقعي لتجرّده وتعاليه عن الجسمانيّات خارجاً بذلك عن تصرّف الطّبائع الفلكيّة، متعالياً عن تأثير الكواكب والأجرام الأثيريّة، فلم يتأثّر بسعدها ونحوسها، ولا بقمرها وشمسها، فأهل التّسبيح والتّقديس لا يبالون بالتّثليث والتسديس، وربّما بلغ تجرّدهم وقوّة نفوسهم مرتبة تحصل لهم ملكة الاقتدار على التصرّف في مواد الكائنات، ولو في الأفلاك وما فيها، كما حصل لفخر الأنبياء محمَّد

وسيّد الأوصياء والأولياء أمير المؤمنين عليّ (صلوات الله عليهما وآلهما) من شقّ القمر للأول وردّ الشّمس للثاني.

وقد ظهر ممّا تقدّم: إنّ من أصابه الجهل لا يسمّى سعيداً، ومَن جَزَعَ واضطرب بورود المصائب والكدورات الطّبيعيّة، فإنّه يُدخل نفسه في معرض شماتة الأعداء وترحّم الأحبّاء، فهو بهذا خارج من زمرة السعداء؛ لضعف غريزته وغَلَبَة الجهل والجبن على طبيعته.

ولنيل السّعادة لا بُدَّ من استصلاح الصّفات والقوى، وتعديل القوّتين النّظريّة والعمليّة الموجبتين للتّخلّق بالأخلاق الإلهيّة؛ فيشرق عليها نورُ الأزل فيلوح على هياكل التّوحيد آثاره.

وزبدة المخض: إنّ حقيقة الإنسان ليست إلا ذاته المجرّدة، وكلّ ذات إنّما يكون هلاكها في نقصها وضعفها وآفتها ومجاورة ضدّها، ويكون بقاؤها في كمالها وقوّتها وصحّتها ومجاورة أشباهها في الكمال والصّحة، وقد ثبت ـ في محلّه ـ أنّ لكلّ شيء كمالاً خاصّاً يخصّه لذاته، فكمال القوّة الشهوية نيل المشتهيات واللّذائذ الحسّية، وكمال القوّة الغضبيّة الظّفر بالإنتقام، وكمال القوّة الحسيّة إدراك المحسوسات، وكمال القوّة المتخيّلة تصوير المتمثلات، وكمال الواهمة الظّنون والرّجاء.

وهكذا النّفس الإنسانيّة فإنّ لها كمالاً في ذاتها يخصّها، ولها قوّتان، **إحداهما**: العاقلة النّظريّة، وهو - أي الإنسان - بهذه القوة متوجّه إلى الحقّ الأوّل، **وثانيهما**: العاملة المحرّكة للبدن المتوجّهة إليه.

فكمال النفس بحسب قوّتها النّظريّة إنّما هو بمعرفة حقايق الأشياء وكلّياتها والمبادئ القصوى في الوجود.

ومعرفة الحقّ الأوّل بما له من صفات جماله ونعوت جلاله، وكيفيّة صدور الأفعال منه ورجوعها إليه، ومعرفة كونه تعالى غاية الأشياء الّذي تتوجّه إليه الموجودات في بقائها كما يبتدي منه حدوثها، إلى غير ذلك من المعارف الحقّة التي كانت - النّفس - مستعدّة لها أوّلاً عند كونها هيولانيّة الذّات، يحصل لها بسبب حصول المقدمات صورها على نحو البرهان الدّائم اليقين، ثمّ ستصير المشاهدة إياها فائضة من الحقّ الأوّل، ثمّ تتّصل بها وتنخرط في سلكها مستغرقة في شهود مبدئها ومعادها بحيث لا تلتفت إلى ذاتها فضلاً عن غيرها، بل الاضمحلال في الجلال والجمال الإلهيّين يذهلها عن كلّ شيء حتى عن ذاتها، فاليقين الأوّل؛ أي: الصّور الحاصلة بنحو البرهان الدّائم اليقين هو العلم أي **علم اليقين**، والثّاني أي مشاهدتها فائضة من الحقّ الأوّل هو **عين اليقين**، والثّالث؛ أي: الإتّصال بها والاستغراق في شهود مبدئها هو **حقّ اليقين**، فهذا هو كمال النّفس بحسب قوّتها النّظريّة.

ولا يحصل هذا الكمال إلا بسبق معرفة الحقائق والعلم بالمعقولات، وحصول المعارف متوقف على وساطة الرّسولﷺ، ووساطته إنّما تحصل بإنزال القرآن العظيم، فقوله تعالى: ﴿ ..وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ... ﴿٢٥﴾ ﴾[1] إشارة إلى ما تستكمل به القوّة النّظريّة، ولا شكّ أيضاً في أنّ حصولها وتحصيلها من القرآن إنّما هو ببيان النبيّ والوصيّ (صلّى الله عليهما وآلهما) لتلك المعارف لنا، وبتصديقنا لهما ولأقوالهما، واتباعنا لهما قولاً وعملاً وحالاً وسلوكاً؛ تحصل تلك المعارف لنا، هذا كلّه بلحاظ كمال النّفس بحسب القوّة النّظريّة، وأمّا كمالها فيكون بحسب القوّة العمليّة...من هنا نقول:

إنّ النّفس لمّا كانت في أوّل نشأتها ناقصة ضعيفة القوام بذاتها، فلا محالة تحتاج في استكمالها ــ بالكمال الّذي سبق ذكره ــ إلى مادّة بدنيّة تفيض وتستفيد بواسطة الآلة الجسمانيّة ومشاعرها الإدراكيّة الخمسة مبادئ إدراكاتها التّصوّريّة والتّصديقيّة من الأوّليات الحاصلة من المشاركات والمبائنات الجسمانيّة.

وبتعبير آخر: إنّ النّفس في أوّل الاستكمال محتاجة إلى البدن وإلى قواه من المشاعر الخمسة، وبفقدان بعضها تفقد علماً وكمالاً؛ لذا قيل: " من فَقَدَ حِسّاً فَقَدَ عِلْماً ".

---

(١) سورة الحديد.

فالمتحصّل ممّا ذُكِر : أنّ استكمال النّفس متوقّف على بقاء البدن مدّة، وبقاء البدن متوقّف على قوى ثلاث :

١ – قوّة العلم للتّمييز بين الصّالح والفاسد.

٢ – قوّة الغضب لدفع المفسدة.

٣– قوة الشّهوة لجلب المنفعة.

ومباشرة النّفس لهذه القوى الثّلاث لاستكمالها من باب الضّرورة، وهي الكَوْن في البدن وبقاؤها ببقاء البدن مدّة، وليست هذه المباشرة هي الكمال المطلوب منها، بل كمالها في التجرّد عنها، وإنّما احتاج إليها، لكونها موجودة في البدن لأجل الاستكمال، فهي مرتبطة بالبدن في أيّام بقائها في الدّنيا.

ثمّ إنّ كمالها الحاصل في الدّنيا وفي مدّة بقائها في البدن إنّما هو باتّصافها بالأمر المتوسّط من هذه القوى الثلاث ـ أي : العلم والغضب والشّهوة ـ فإنّها وإن ابتلت في الدّنيا وفي البدن بصحبة الأخسّاء من الأضداد، إلا أنّه يمكن الخلاص منها بمخالفتها وترويضها بما ورد عن الحجج الطّاهرين عليهم السلام. فكمال النّفس عند استقلالها بالقوى الثّلاث، واستعمالها إيّاها إنّما هو توسّطها بين الإفراط والتّفريط في هذه القوى الثّلاث.

ونتيجة هذا التوسّط هو أنْ لا ينفعل عنها ولا يطاوعها في مآربها، بل يستعملها على هيئة الاستعلاء عليها لا الاستسلام أو الفرار منها، وهذه

النّتيجة إنّما تحصل بالتّوسّط فيها بالنّحو المذكور وإليه يشير ما عن " الغرر والدّرر " للآمدي عن أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام : « **إنّ هذه النّفوس طلعَةٌ** – أي كثيرة التطلع – **إنْ تطيعوها تنزع بكم إلى شرّ غاية** ».

وقال عليه السلام : « **إن طاعة النفس ومتابعة أهويتها أُس كل محنة ورأس كل غواية** ».

وقال عليه السلام أيضاً : « **إنّ مجاهدة النّفس لتزمُّها عن المعاصي وتعصمها عن الرّدى** ».

وعنه أيضاً عليه أفضل الصّلاة والتّسليم قال : « **إنّ هذه النّفس لأمّارة بالسّوء، فمن أهملها جمحت به إلى المآثم** ».

أمّا بيان كيفيّة تحصيل حال التوسّط في القوى الثلاث فبما يأتي :

أمّا قوّة العلم فتوسّطها واعتدالها بوقوفها على العقل العملي – وهو غير العقل النّظري الدّال على حقايق الأشياء فإنّه كلّما كان أوفر كلّما كان أفضل – ولا بدّ في العقل العملي من عدم الإفراط والتفريط ، إذ إنّ الإفراط بهذه القوّة يسمّى بالجربزة ؛ وهي المكر والخديعة ، والتفريط بها هو البلاهة والسّفاهة والغفلة ، وكِلاَ الطّرفين مذمومان ، والممدوح منها هو التوسّط

العلمي في العقل العملي وهو ما يسمّى بالحكمة الّتي عبّر عنها المولى عزّ وجلّ بقوله: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا.. ﴿٢٦٩﴾ ﴾[1].

وأمّا قوّة الغضب: فتوسّطها واعتدالها الشّجاعة وهي فضيلةٌ كالجود، وكِلاَ جانبيها ـ التّهوّر من طرف الإفراط، والجبن من طرف التّفريط ـ رذيلتان، كما أنّ طرفي الجود كالبخل والإسراف مذمومان لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ... ﴿٢٩﴾ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾[3] [الفرقان: ٦٧].

وأمّا قوّة الشّهوة: فتوسّطها واعتدالها هو العفّة، وطرفاها الشّرَه من طرف الإفراط، والخمود من طرف التفريط، وهما رذيلتان.

ثمّ إنّه من تركيب هذه القوى الثّلاث، وامتزاج أوساطها الثّلاثة تحصل قوّة أخرى لها توسّط هي الفضيلة المَعَبَّر عنها بالعدالة، والإفراط والتفريط بها يُعتَبَرُ جَوراً.

فالصّفات الأربع أصول الفضائل العلميّة وأطرافها الثّمانية هي الرّذائل، ومجموعها حسن الخُلُق، إذا صارت ملَكَة يناط بها خلاص الإنسان من

---

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة الإسراء.

(٣) سورة الفرقان.

ذمائم الأخلاق الموجِب لسخط الباري عزّ وجلّ وغضبه والتّعذيب بالاحتراق بالنّار بسبب الانحراف عن العدالة الّتي هي الصّراط المستقيم، وخير الأمور في العالم أوسطها.

وكما انّ نفس الطّريق المستقيم ليس مقصوداً بل جوازها يؤدّي إلى المقصود، فكذلك حسن الخلق ليس كمالاً بل الاتّصاف به يورِّث الخلاص من الجحيم، وإنّما الكمال الحقيقي والمقصود الأصلي هو معرفة الحق الأوّل، وما يليه من الصّفات الجماليّة والأفعال الإلهيّة التي تكمل بها النّفس وتقرّ بمشاهدتها العين السّليمة من الأمراض الباطنيّة.

ومن المعلوم أنّ قيام النّاس بالقسط واعتدال نفوسهم إنّما تجمعها وتؤدّيها الأخلاق الحسنة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾[1].

وللنّفس التي هي باطن الإنسان، وجه إلى الخلق ووجه إلى الحقّ، ووجهها الّذي يلي الحقّ هو جهة وحدتها وبساطتها؛ ووجهها الذي يلي الخلق جهة تركيبها من الأخلاق؛ وللأخلاق أركان وأصول، فلا بدَّ من حسن تدبيرها جميعاً حتى يحسن الخلق، ولهذا جاء في الدّعاء: ﴿ **اللّهمّ حسّن خلقي** ﴾؛ فهو طلبٌ منه تعالى لتحسين الوجه العملي للسالك، إذ

(١) سورة الشمس.

بحسن الخُلُق يحسن العمل، ويقع على أحسن الوجوه والتدابير كما في قوله صلى الله عليه وآله قال: ﴿ **اللّهمّ أرني الأشياء كما هي** ﴾؛ إذ إنّه طلبٌ منه تعالى لحسن الوجه العملي الشّهودي، إذ بمشاهدة الأشياء كما هي، يحصل حسن العلم بها من دون حجاب موجب للإشتباه.

إذا توضّح ما مرَّ، فاعلم: أنّ الإنسان بذاته طالب للكمال والكامل، ومعلوم أنّ الكمال الأتمّ والتّمام بل وفوق التّمام هو الواجب تعالى، فكلّ موجود يطلبه بغريزة شوقه، ويشتاق إليه ويعشقه عشقاً إراديّاً أو طبيعيّاً، لذا قيل بسريان العشق في جميع الموجودات على تفاوت طبقاتها، ولكلّ منها شعورٌ وعلمٌ مستدلّين لهذا بقوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ... ﴿١٤٨﴾ ﴾[1] [البقرة:١٤٨] وقوله تعالى: ﴿..وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ...﴿٤٤﴾ ﴾[2].

فكلّ موجود بحسب ذاته يطلب الوصول إليه تعالى بنار الشّوق والعشق، فهو تعالى غاية الغايات كما هو مبدأ المبادئ، فكلّ من كان أقرب إليه تعالى فلا محالة يكون أشبه به تعالى صفةً، فلا محالة يكون متلذذاً بمعرفته عزّ وجلّ ومظهراً لصفاته.

---

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة الإسراء.

وبما أنّ الله تعالى واحدٌ أحدٌ، والأحدُ جلّ شأنه كاملٌ بالفعل، وما دونه ناقصٌ لكونه محتاجاً إلى جنابه الأقدس، والنّاقص لا يكون أحداً؛ لأنّه محدود بالفقدان، فإنّه يملك شيئاً ويفقد شيئاً آخر فيصير متعيّناً بما يملكه فلا يكون واحداً أحداً، وأمّا الّذي يجمع جميع الكمالات بما لا يتناهى فهو الأحد الّذي لا يتناهى، ولا بدّ أن تكون كمالاته جميعها بالفعل؛ فإنّ القوّة لا تكون كمالاً إذ هي الفقدان والعدم، هذا بالإضافة إلى أنّ القوّة شأن الإمكان، والإمكان حادث محتاجٌ، والله تعالى منزّه عن ذلك؛ فهو الغنيّ القديم، وعليه فلابدّ من الإقرار بكماله تعالى الّذي هو عين الذّات من جميع الجهات، وغير الذّات ولو من جهة ما، فإن كان عينها من جميع الجهّات فهو هي، فأين الكمال؟ ولا شيء إلا الذّات، وإن كان غيرها ولو من جهةٍ ما، فهو خالقها ولا يجتمع معها بالأدلّة والبراهين الكلاميّة، فلا بدّ من القول بأنّ ظهور كماله إنما يكون في غير ذاته، إذ الكمال أثر، ألا ترى أنّ أوّل الكمال هو الحركة الإيجادية، وهي غير الذّات، فما دونها غيرها بطريق أولى، فظهوركماله عزّ وجلّ إنما هو في خلقه، وأكمل الخلق بالصّفات الكماليّة أولى بالدّلالة على الكامل المطلق من النواقص، فالكامل الّذي لا نهاية لكماله إذا لم يخلق خلقاً كاملاً لا يعتبر حينئذٍ كاملاً، بل يدلّ خلقه النّاقص على نقصان كماله، فلا بدّ من وجود كاملين، لأنّ عدم إيجادهم نقصٌ في القادريّة يتنزّه عن الباري عزَّ وجلَّ.

وبالجملة: فإنّ من فضل الله تعالى على العباد أن خلق جماعةً جعلهم أبوابَه وصراطَه، وبهم يكمل عباده، فيفتح عليهم أبواب نعمته، وغير ذلك ممّا يترتّب على وجودهم من الآثار العظمى والألطاف الكبرى، أمثال الأولياء والأنبياء عليهم السلام قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤ ﴾[1] فصاحب الفضل العظيم لا يخلُّ بهذا الفضل البتة، ولا يمنعه؛ وذلك لأنّ فضله عزّ وجلّ لا يتناهى، فلا بدّ من ظهور فضله بما لا يتناهى، ولو لم يخلق ما هو من أعظم الفضايل لكان نقصاً في الفضل، وهو تعالى منزّه عن ذلك.

وبوجه آخر نقول: إنّ الله حكيم، والحكيم لا يعبث ولا يلهو ولا يلعب، فلم يخلق الخلق عبثاً ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا... ۝١٩١ ﴾[2] ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾[3] أي: ليعرفون، فالعلّة الغائيّة معرفته وتوحيده وذلك في قوّة العباد لا فعليتهم كما هو مشهور، ووجه ذلك أنّه تعالى خلقهم من غاية البعد الأبعد ليسافروا في سيرهم إليه في جميع أطوار

(١) سورة الجمعة.

(٢) سورة آل عمران.

(٣) سورة الذاريات.

وجودهم، ويشاهدوا كلّ الأنوار، وغاية البعد ظاهر الإمكان وفي قوّته جميع الأكوان، والله تعالى خلقهم منه للوصول إلى أعلى درجة العرفان، وذلك لا يمكن لهم بأنفسهم؛ لنقصان القوابل والماهيات، فإنّ العادم للشّيء لا يصير باعثه، وذلك ظاهر لمن كانت له عينان، ولو أمكن ذلك لأصبح الشّخص نفسه؛ وذلك ممتنع إذ فاقد الوجود لا يكون موجداً؛ فتأمّل.

فلا بدّ في الحكمة من وجود مكمّلين في صفة المعرفة والتّوحيد، ولا شكّ أنّ المكمّل لشيء لا يكون مكمّلاً إذا كان محتاجاً فيه إلى الناقصين، فإنهم فاقدون له وهو واحد، فلا بدّ وأن يكون المكمّل في صفة المعرفة غنيّاً عن جميع الخلق عالماً بنفسه، وهذا العالِم هو النبيّ والوليّ عليهما السلام، لأنّ غيرهما لا يكون بهذه الصّفة، فلا يجوز في الحكمة الإخلال بوجود هكذا أشخاص.

هذا مضافاً إلى أنّ النّاس مخلوقون لغايةٍ، ولحصول الغاية لا بدّ من تمدّنهم فإنّهم لو تفرّقوا في البراري والفلوات ورؤوس الجبال والجحور والكهوف لما حصلت هذه الغاية العظيمة منهم؛ بل استحال عادة أن يكونوا متمكّنين من ذلك لكثرة حوايجهم، فإنّ ساير الحيوانات ليسوا بحاجة إلى غير ربّهم، وإنّ الله خلق لهم ما يكتفون به في عيشهم، بخلاف الإنسان فإنّه في جميع أموره يحتاج إلى غيره، وكلّ واحد منهم بنفسه لا يقدر على سدّ جميع حوايجه ورفع مهماته فلا بدّ من اجتماعهم في القرى والبلدان لرفع الحوائج وإنجاح

المطالب، ولأجل ذلك خلقهم الحكيم مختلفي الطّبايع ليذهب كلٌّ إلى سبيل، ويكسب أمراً خاصاً بطبعه ويرفع حوائج أبناء جنسه، ولو لم يجعل ذلك من طبعهم لما أحكموه، وبما أنّ الطّبايع مختلفة، ومع اختلافها يكثر النّزاع بينهم؛ لذا كان لا بدّ من أن يجعل الحكيم ـ الّذي لم يخلَّ في جزءٍ من الجزئيّات ــ رئيساً حاكماً عليهم حتى يرفع ما وقع بينهم من التّشاجر والنّزاع، ويضع كلّ شيء في موضعه، وكذلك لا بدّ من أن يكون هذا الحاكم خارجاً من حدّ الطّبايع؛ إذ لو كان مقهوراً مثلهم للطّبايع لصار كأحدهم، ولا بدّ لهذا الحاكم أن يكون فوقهم لا من جنسهم، وكذلك لا بدّ من علمه وحكمته، فإنّ الجاهل لا يقدر على الحكومة، وغير الحكيم لا يعرف السّياسة، ولا يضع كلّ شيء موضعه، كما لا يمكنه إصلاح أمر النّاس، كما لا بدّ أن يكون عالماً بالضّمائر، مطلعاً على السّرائر، فإنّ الجاهل لا يقدر على الحكومة بالحقّ..!؛ ألا ترى أنّ الحكّام والسّلاطين الجهلة لعدم اطّلاعهم على البواطن ينصّبون في المحلات والشّوارع عيوناً ليخبروهم عن حالات رعيّتهم ومع ذلك تشتبه عليهم أمور كثيرة كما لا يخفى، والحاكم الحقيقي الخبير العليم يطّلع على الغيوب، ويقف على المحاسن والعيوب، وكذلك لو كان بنفسه عاصياً مثل الرّعية لَما صار أمين الله في أرضه، ولعجز عن الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ويتعذر عليه الوصول إلى مقام الفعليّة، في ظلِّ نقصان الخلق وهو عصيانهم، ولو كانوا

برمّتهم متقين لصاروا كاملين، فالحاكم الكامل هو المعصوم المطهّر من الذنوب والمبرأ من العيوب؛ وسلاطين الجور لا يختارون للحكومة المغصوبة من كان متجاهراً بالفسق؛ فالحاكم الخليفة، المنصوب من قِبَل الله تعالى، معصوم لا محالة، غاية الأمر أنّ الحاكم الكلّي معصوم، والجزئي ـ أي: الذي ينصّبه الحاكم الكلّي بالتنصيب الخاص طبقاً لشروط خاصة مقررة ـ معصوم جزئي فيما يؤديه عن الحاكم الكلّي، وكذلك لا يجوز أن يكون ساهياً إذ يُحتمل مع جواز سهوه أنْ يسهو في الأحكام وحفظ الأنام، ومن جمع هذه الشّروط يكون نبيّاً أو وصيّاً، فمن الحكمة نصب الأنبياء والأولياء بين النّاس، مسددين بالحكمة وعلم الغيب، فافهم.

وببيان آخر نقول:

إنّ الله سبحانه وتعالى بذاته بعيدٌ عن حدّ إدراك الخلايق، فإنّ الأدوات تحدّ أنفسها والآلآت تشير إلى نظائرها، والله سبحانه وتعالى فوقها جميعاً بما لا يتناهى، ولذلك اختار لنفسه مظاهرَ في الكون والشّريعة، يتمكن الخلق من إدراكهم وأخذ الأوامر الكونيّة والشّرعيّة منهم، أمّا كونهم مظاهره في الأكوان بحسب شأنها، وفعليّتها محال مشيئته وألسن إرادته، فيؤدّون إلى الخلق أوامره ونواهيه الكونيّة المتعلقة بأكوان الخلق، ولمّا كانوا برمّتهم آياته ومقاماته وعلاماته صارت طاعتهم عليهم السلام طاعته عزَّ وجلَّ، ولولاهم لما ظهر أمر الله وما سطع نوره وما عرفه أحد من خلقه، فالسّماء مثلاً مظهر

أمر الله سبحانه وتعالى بإقبال العقل من البُعد الأبعد الذي سار إليه في نزوله إلى القرب الأقرب، وهو يؤدّي عن الله سبحانه أمره، فكلّ من أطاعه يُعدّ مطيعاً لله تعالى، وكذلك في الشّرع خلق لنفسه أولياء جعل طاعتهم طاعته بظهوره لهم فيهم، فكلّ من أطاعهم أطاع الله وهم الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم أجمعين، فهم ألسنة إرادة الله تعالى، بل هم أسماؤه وصفاته التي ظهرت في الأكوان لمّا صاروا بأنفسهم مطيعين لله بحيث صارت أنفسهم فانية في جنب الله وباقية به، أمروا غيرهم أن يدعوه بهم كما قال عليه السلام: ﴿**نحن والله الأسماء الحسنى التي أمر اللهُ أن تدعوه بها**﴾. وفي الزّيارة أيضاً: ﴿**السّلام على اسم الله الرّضي ووجهه المضيء**﴾. فالحجج الطاهرون (صلوات الله عليهم) صاروا أسماءَه المعبِّرة عن ذاته وصفاته، وذلك شأن كلّ فانٍ في جنب المفني فيه، إذ يصير منبّئاً عنه لا عن نفسه، والإسم ما أنبأ عن المسمّى، فإذا أفنى أحدٌ نفسَه في جنب الشّيطان يصير اسمه، وإذا صار أحدٌ فانياً في جنب الرّحمان يصير اسمه بل صفته المعبِّرة عن صفاته الربانية ونفسه الصمدانية كما في قوله عليه السلام: ﴿ **أنا الذّات، أنا ذات الذّوات للذّات** ﴾.

فإذا صار بهذه المنزلة، تصير كلّ معاملة معه معاملة مع الله تعالى، بل يصير الله ناطقاً من لسانه كما قال عزّ وجلّ في الحديث القدسي: ﴿**ما يزال يتقرّب إليّ العبدُ بالنّوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببته كنتُ بصرَه الّذي**

يبصرُ به، وسمعَهُ الّذي يسمعُ به، ويدَه الّتي يبطش بها، إنْ دعاني أجبته وإنْ سكت عنّي ابتدأته ﴾.

والحديث المتقدِّم نظير الأحاديث القدسية الأُخرى التي تدل على أن المؤمن ينظر ويسمع وينطق بنور الله تعالى، وهي أحاديث ذات مضامين عالية تكشف عن عظمة المؤمن العارف بالله تعالى وحججه الطاهرين (سلام الله عليهم أجمعين)، معبّراً عنه بالنور الَّذي خلق منه؛ والله تعالى يمدّه بعلمِه، وعلمُه بنوره وقدرته، ويفجّر من لسانه ينابيع الحكمة بذلك أبداً، فيظهر ما في قوّته عبر فعله، فهم (سلام الله عليهم) لا يشاؤون الَّا ما يشاء الله؛ فقلوبهم وكر مشيئة الله تعالى: ﴿ **لا يَسْبِقُونَه بِالْقَوْلِ وهُمْ بِأَمْرِه يَعْمَلُونَ** ﴾ أبداً في كلّ حال.

فهو تعالى ـ بهذا الاعتبار ـ عينهم وسمعهم ويدهم ولسانهم إلى آخره.. فأمرهم أمر الله، ونهيهم نهي الله، فطاعتهم طاعته، ومعصيتهم معصيته؛ وذلك كلّه على سبيل الحقيقة، وليس فيه تجوّز بوجه، وهم عليهم السلام عينه التي ينظر بها عباده نظرة الرحمة، بل والنقمة، ويده المبسوطة على بريته بالجود، بل وبالقهر والبطش، ولسانه المعبّر عنه بالحقّ إلى خلقه.

وبالجملة؛ فهم عليهم السلام بابه الأعظم، وسبيله الأقوم لجميع خلقه، فلا وجود ولا كمال ولا جود مطلقاً إلَّا وهم بابُه وسبيلُه وواسطتُه وشفعاؤه إلى الله تعالى، وهم هداة الخلق إلى كلّ الكمال والجمال والجلال، فلهم

النعمة على جميع الخلق، حتّى في أصل وجود ذاتهم، وبقائهم، ورزقهم، وحياتهم، وموتهم، ومبدئهم، ومعادهم.

فكلّ من امتثل لأوامر المشرّعين المطهّرين عليهم السلام ومن روى عنهم، وقام مبلّغاً عنهم معالم دينهم الحنيف يُعدّ عابداً لله سبحانه وتعالى، وكلّ من خالفهم يصير مخالفاً لله تعالى، فمن كفر بهم فقد كفر بالله، ومن أشرك أحداً معهم فقد أشرك بالله، فالموحّد من أخلص في مودّتهم وطاعتهم، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ... ٨٠﴾[1]؛ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ... ٣١﴾[2]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ... ٧﴾[3]؛ وورد عنهم عليهم السلام قولهم: «**بنا عُبد الله، وبنا عُرِفَ الله، وبنا وُحِّدَ الله تبارك وتعالى**».

وقولهم عليهم السلام: «**بعبادتنا عُبد الله ولولا نحن ما عُبد الله**»؛ و«**بعبادتنا عُبِدَ الله عزّوجلّ، ولولانا ما عُبِدَ اللهُ**».

معنى الحديث الشّريف: إن العبادة متفرعة من المعرفة، ولولا النبيُّ وعترته الطاهرة عليهم السلام ما عرف أحدٌ اللهَ حقيقةً، فهم السّبيل لعبادته ومعرفته تبارك اسمه، بل هم الصّفات الدّالة على الذّات، وإليه يشير قول مولانا الإمام الصّادق عليه السلام: «**مَن عبد الله بالتوهّم فقد كفر، ومَن عبد**

(١) سورة النساء.

(٢) سورة آل عمران.

(٣) سورة الحشر.

الإسم ولم يعبد المعنى فقد كفر، ومَن عبد الإسم والمعنى فقد أشرك، ومَن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرائره وعلانيته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ﴾؛ وفي حديث آخر: ﴿ **أولئك هم المفلحون** ﴾.

وسأل هشام مولانا الإمام الصّادق عليه السلام عن أسماءِ الله واشتقاقها: "الله " ممّا هو مشتقّ؟

فقال عليه السلام: ﴿ **يا هشام! الله مشتقّ من إله، والإله يقتضي مألوهاً، والاسم غير المسمّى، فمن عبد الإسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى فقد كفر[1] وعبد الإثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التّوحيد، أفهمت يا هشام؟** ﴾.

قال: قلت: زدني.

قال عليه السلام: ﴿**لله عزّ وجلّ تسعة وتسعون اسماً، فلو كان الاسم هو المسمّى لكان كلّ اسم منها إلهاً، ولكنّ الله معنىً يُدَلُّ عليه بهذه الأسماء، وكلّها غيره. يا هشام: الخبز اسمٌ للمأكول، والماء اسمٌ للمشروب، والثّوب اسمٌ للملبوس، والنّار اسمٌ للمُحْرِق، أفهمت يا هشام فَهماً تدفع به وتناضل[2]** [ن التوحيد: **وتنافر]** **به أعداءنا المتّخذين مع الله عزّ وجلّ غيره؟** ﴾، قلت: نعم، فقال عليه السلام: ﴿ **نفعك الله به**

[1] :في نسخة "التوحيد ورد هكذا:" فقد أشرك".
[2] : في نسخة "التوحيد" للصدوق ورد هكذا:" وتنافر به أعداءنا".

وثبّتك يا هشام ﴾. قال: فوالله ما قهرني أحدٌ في التّوحيد حتى قمت مقامي هذا.

واعلم ـ أخي القارئ ـ أنّ مراده عليه السلام من العبادة بالوهم أن يكون الله صورة أو جسماً كما جرى عليه بعض الخلق ممن يزعمون أنَّ ربّهم شخصٌ كمثل خلقه، ويتوهّمون أنّه بمكانٍ في السّماء أو فوقها فيخاطبونه كما لو خاطبوا واحداً منهم من وراء حجاب، فمن اعتقد أنّ ذاته تعالى محدودة فقد كفر لأنّه تعالى أحد لا يحد بالعابد والمعبود، بل الكلّ نوره، وأمّا عبادة الاسم من دون المعنى فعبادة لغير الله، وهو كفر؛ لأنّ الاسم اسمٌ إذا كان حاكياً عن المسمّى، كالشّعلة في حكايتها عن النّار الغيبيّة، ولا يكون ذلك إلا بعد الفناء التّام في المسمّى، فإذا صار فانياً هكذا لا يرى بالإسميّة، فإذا رآه العبد عَرَّفَهُ بوصفٍ غير وصف المسمّى لا يكون اسماً وعبادته كفر، ومن هذا القبيل عبادة الصّوفيّة الملاحدة إذ يقولون بتصوّر صور أساتذتهم ومرشديهم في القلب ومخاطبتهم إيّاهم بما يخص الذّات الصّمديّة، فهؤلاء وقعوا في الكفر؛ وذلك لأنّ المرشد لا يكون اسماً إلهيّاً، وعلى فرض كونه من أسماء الله وصفاته كالأنبياء والأولياء، فإذا عرفته بشخصه خرجت عن ملاحظة الاسم إذا لم يرَ ولم يعرف إلا بظهور المسمّى، فتكون العبادة له حينئذٍ عبادة لغير الله سبحانه وتعالى.

وقوله الشريف: ﴿**من عبد المعنى فقد دلّ على غايب**﴾؛ إشارة إلى ظهور المعنى في الإسم، فأمّا في الكون فجميع الملك أسماء وصفات، وأمّا في الشّرع فاختار الله لنفسه أسماء الكمال والجمال والجلال ولا يليق به غيرها، فظهوره في المنزلتين في أسمائه لا غير، وفي غيرها لا ظهور له، كما ترى في نفسك إذ هي آيته، حيث إنّ ظهورها إنّما هو في بدنك لا غيره من الأبدان، فمن دعاك في غير بدنك لم يجدك أبداً إلا في الصّلاح والقوّة، ومن دعاك من غير بدن دعا من لم يدركه، وقد أحال على غايب، وعلى فرض كونك مدركاً سامعاً لدعوته لا يكاد يجدك كمن يدعو ميتاً آدميّاً على قبره؛ فإنه وإن كان يسمع دعاءه إلا أنّه - أي الدّاعي - لا يدركه، والآثار مترتّبة على الإدراك لا على الألفاظ، فمن دعاه من غير سبيل أسمائه فكأنّه لم يعبد شيئاً ولا ينتفع به في آخرته وإن أجزأه في ظاهر الشرع، وهذه عبادة أكثر الفقهاء القشريّين الّذين لم يعرفوا ربّهم حقيقة المعرفة، رغم أنَّهم أصلحوا ظاهر أعمالهم، ومن هذا القبيل الذين لم يعرفوا الأئمّة عليهم السلام تكون أعمالهم وعباداتهم ظاهريّة، ولا تفيدهم بشيء؛ لأنّهم لم يعرفوا إمامهم إلا بما توهّموه، فلم يعبدوا الله كما أراد، بل عبدوه كما أرادوا، والله تعالى يقول: ﴿ ..وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا... ﴿١٨٩﴾ ﴾[1].

(١) سورة البقرة.

وقوله: ﴿ **من عبد الإسم والمعنى فقد أشرك** ﴾؛ واضحُ الدلالة على أن مَنْ فرّق بين الاسم والمعنى وعبدهما معاً فقد أخطأ ودعا مع الله إلهاً آخر وذلك في الظّاهر، وأمّا في الحقيقة، فالاسم إذا عُدّ مع المسمّى لا يكون اسماً، والمعنى لا يظهر إلا من الاسم، فهو إذا وجد الاسم والمعنى اثنين فقد عبد اثنين ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ... ﴿٧٣﴾ ﴾[1].

وقوله الشريف: ﴿**من عبد المعنى بوقوع الإسم عليه...**﴾، يفرض عليك أن تنظر إلى الاسم كونه كاشفاً سبحة الأحديّة، فتشاهد منه المسمّى لا غير؛ لأنّه لا ينبئ إلا عن مسمّاه، ففعلك يصير حقّاً لمطابقته لجعل الله؛ كما أنّك تنظر إلى الشّعلة وترى النّار فذلك إيقاع الاسم على المعنى فتقول بلسانك: يا الله، وتعتقد في ضميرك المعنى به وهو الّذي تحيَّر فيه الخلائق؛ كما تقول بلسانك: "زيد"، وتعتقد في ضميرك شخصه.

الأمر الثّالث: الإمام عليه السلام هو قطب جميع الكائنات وقلبها:

إنّ الولايتين ــ المحمّديّة والعلويّة ــ الخاصّة والمطلقة هي التي ظهرت بأوصاف كمال الله تعالى ونعوت جماله، وهي الجّامعة للأسماء الإلهيّة، بل هي باطن الأُلوهيّة، وهي في رسول الله مع الرّسالة، وفي الوصيّ مع الإمامة، وحيث إنّ صاحبها فانٍ عن نفسه وباقٍ بربّه، فلا محالة تكون الولايةُ الكائنة فيه بأوصافها ولايةَ الله تعالى.

(١) سورة المائدة.

أقسام الولاية ،وبيان ملاك اختلاف مراتبها:

إن الولاية تنقسم إلى المطلقة والمقيّدة، لأنها من حيث هي هي صفة إلهيّة مطلقة ثابتة للذات الربوبيّة المقدّسة، بمقتضى ذاته المقدّسة، ولكنّها من حيث استنادها إلى الأنبياء والأولياء، كلٌّ على حسب قربهم منه تعالى، تكون مقيّدة، ومن معلوم بالضرورة أن المقيَّد متقوّم بالمطلق، والمطلق ظاهرٌ في المقيّد ؛ فالولاية الثابتة للأنبياء والأولياء ـ من غير آل محمّد عليهم السلام ـ جزئيّات الولاية المطلقة الإلهيّة الكليَّة الخاصة بالنبي وآله الطيبين عليهم السلام، فالأنبياء والأولياء لهم القرب إلى الأشياء بالولاية الإلهية بحسب سيرهم في ولاية آل محمّد عليهم السلام، حيث إن ولايتهم مظاهر الولاية الكليّة الإلهيّة، وجزئيات ومصاديق للولاية الإلهيّة الكبرى: ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ .

وبعبارةٍ أُخرى: لا ريب في أنّ حقيقة هذه الولاية لا تمكن الإطاعة بها ذاتاً، بل هي مختصّة بهم عليهم السلام، وبما أنّها من حقيقتهم، فهم يعلمونها بالعلم الحضوري، فبإمكانهم بيان آثارها لا بحقيقتها، بل بمقدار ما يمكن تفهيمها لغيرهم، وكيف يمكن معرفة كنه الولاية الإلهيّة من حيث هي صفة إلهيّة مطلقة ثابته للذّات الرّبوبيّة المقدسة ولهم عليهم السلام بالقياس إلى غيرهم من الأنبياء والمرسلين، ومقيّدة بالقياس إلى الله عزّوجلّ، وحيث إنَّ المقيّد متقوّم

بالمطلق، والمطلق ظاهر في المقيّد، فالولاية الثّابتة للأنبياء والأولياء جزئيّات الولاية المطلقة الإلهيّة المتمثلة بآل محمَّد عليهم السلام، فالأنبياء والأولياء عترة رسول الله عليهم السلام لهم القرب المطلق إلى الأشياء بالولاية الإلهيّة، حيث إنّ ولايتهم مظاهر الولاية الكليَّة الإلهيّة، وجزئيّات للولاية الإلهيّة، فلها من آثار السلطة والتولية الكليَّة ما للولاية الإلهيّة منها كما لا يخفى عند العارفين بمقامات آل محمَّد عليهم السلام، وإليه يشير ما في "بصائر الدّرجات" من قوله عليه السلام: ﴿ **ولايتنا ولاية الله تعالى** ﴾، وهذا نظير ما قيل من أنّ نبوّة الأنبياء هي جزءٌ من النّبوة المطلقة المحمّدية، من هنا ورد عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام حيث قال: ﴿ **يا جابر عليك بالبيان والمعاني** ﴾، فقلت: وما البيان والمعاني؟، فقال عليه السلام: ﴿ **أمّا البيان فهو أن تعرف أنّ الله سبحانه ليس كمثله شيء فتعبده ولا تشرك به شيئاً، وأمّا المعاني فنحن معانيه ونحن جنبه ويده ولسانه وأمره وحكمه وكلمته وعلمه وحقه وإذا شئنا شاء اللّه، ويريد اللّه ما نريده، ونحن المثاني التي أعطانا اللّه نبينا، ونحن وجه اللّه الذي يتقلّب في الأرض بين أظهركم، فمَن عرفنا فأمامه اليقين ومن جهلنا فأمامه سجّين، ولو شئنا خرقنا الأرض وصعدنا السماء، وإن إلينا إياب هذا الخلق ثم إنّ علينا حسابهم** ﴾.

وفي حديث آخر عبّر مولانا الإمام الصادق عليه السلام عن هذه المقامات بأسماء أُخر حيث قال: ﴿ **إن أمرنا هو الحق وحق الحق، وهو الظاهر وباطن الظاهر وباطن الباطن، وهو السر وسرّ السر وسر مستسر وسرٌّ مقنّع بالسر** ﴾.

وآل محمّدٍ عليهم السلام في حقائقهم علّة جميع الكائنات، ومقام أشخاصهم وذواتهم المباركة أصفى وأعدل من جميع المقامات والقوابل، فنور البيان فيهم أظهر وأسبق وأولى وأعلى من جميع الخلق، فكلُّ بيان في الخلق، إنَّما هو من فرع بيانهم، وذلك قوله عليه السلام: ﴿ **نحن أصل كل خير ومن فروعنا كلّ بر، ومن البر التوحيد** ﴾. وفي الزيارة الجامعة الكبيرة: ﴿ **من أراد اللّه بدأ بكم، ومن وحدّه قبل عنكم، ومن قصده توجه بكم** ﴾.

من خلال ما ذكرناه آنفاً: يتضح لدينا بأنّ الإمام عليه السلام هو قطب جميع الكائنات وقلبهم، وكلّ فيضٍ يصل إلى الخلق يصل إلى القلب أولاً ومنه ينتشر في ساير الخلق، والقلب في الإنسان أوّل ما يحيى وآخر ما يموت، فإنّ النطفة بعدما وقعت في الرحم يتولّد منها أولاً قلب المولود ثمّ تشعّب منه العروق والشرايين إلى الأطراف وتنعقد حولها الأعضاء، وبعد تولّد المولود كامل الأعضاء تتولّد الروح أولاً في قلبه ويحيى بأمر اللّه ومنه يجري دم الحياة في كلِّ البدن، بل المشرّحون من الأطباء يقولون إنّ الأوردة والشرايين كلّها ناشئة من القلب، والدم الوريدي والشرياني يقسم منه إلى البدن.

وبالجملة: إن أوّل مخلوق من البدن القلب، وأوّل حي هو القلب، وكذلك آخر ميّت من البدن هو القلب، وجميع البدن يدور على القلب ويستفيض منه دائماً وهو يفيض دائماً، وكذلك الأمر في الملك ﴿ ..مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ... ﴾ (١)؛ وذلك لأنّ الشيء كائناً ما كان مركّب من وجود وماهية أو مادة وصورة، والصورة والماهيّة هما حدود الوجود والمادة ونهايتهما، والشيء هو شيء بهذه المادة والصورة، وجميع ما يترتب عليه من الصفات كلها أمثلة هذه النهاية والحدود التي هي المثال والشبح المتصل كما ترى أنّ لوجهَك مثلاً مادة وصورة هي مثاله المتصل، وجميع الصفات المترتبة على مثال وجهك كلها راجعةٌ إليه وعلى هيئته، ومنها الأمثلة الملقاة في الأجسام من وجهك، وترى عياناً أن مثال وجهك في الأجسام الصقيلة على شكلك، وكذلك ساير الصفات كلها راجعة إليه، فصفة كلّ شيء تابعة لصورته، وآثاره مترتبة عليها، ومحال في الحكمة أن تتخلّف صفة عن موصوفها من حيث الصدور إلا ما اختلف في القوابل، كما أنّه من المحال أن يقتضي أحد شيئاً إلا مما على صفته وهيئته ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ... ﴾ (٢)، وما نراه من اختلاف القوى في الأشياء فذلك بحسب الفعليات التي عليها، لا بحسب نفس المادة من حيث هي

---

(١) سورة الملك.

(٢) سورة الإسراء.

بالذات، والوجود الجايز (أي: الإمكان الراجح) لا فعليّة له سوى صلاح الانفعال، فاقتضاء الإمكان هو صلوحيٌّ من باب كونه صفةً، والصفة على طبق الموصوف، فبنفسه لا يقتضي سواه، ولا يكاد يخرج من قوته شيء إلا بمرجح خارجي يقتضي أمراً خاصاً، ألا ترى أن المداد ـ من حيث نفسه ـ لا يقتضي التصوّر بصورة كلمة من دون كلمة أُخرى إلا إذا أخذ الكاتب منه شيئاً بالقلم ونقشه بصورة الحروف على حسب ميله وما يرجحه هو؛ فافهم.

وهنا نسأل: ما المرجّح للصور الخاصة..؟ هل هو الله وهو الغني المطلق الذي لا يحتاج إلى شيء ولا يميل إلى شيء من باب الاحتياج والافتقار؟ أو هو فعله الذي لا كيف له، كما لا كيف لذات اللّه تعالى؟ فما السبب ـ إذاً ـ في خلق الخلق، وسَوْق الوجود إلى كلِّ قابلٍ؟ فإنْ كنت مؤمناً بالله ورسوله والحجج الطاهرين عليهم السلام تعرف أنّ المخصِّص والمرجّح هو القلب؛ وهو آدم الأوّل، كان في جنان الكينونة، فأنزله الله في أرض الجرز وخلقه منها بيده ـ بإرادته ـ على حسبها، وأحدثه على طبق مشيئته، ثمّ خلق ساير الخلق به، ولقد خلقه بلا كيف ـ أي: متعالياً عنن البسايط ـ كما أن مشيئته تعالى بلا كيف.

وبناءً عليه: فإنّه بعدما خلق العقل ـ وهو القلب والقطب لجميع المُلْك ـ صار مرجِّحاً لخلق ساير الأشياء بالإرادات الخاصّة وهي لا تضرّ بالقلب،

والخلق في كلّ مقام يحتاجون إلى لسان مترجم من الله تعالى يبيّن لهم الأمر الكوني والشّرعي، ففي عالم الذّوات، خلق الله أوّلاً قلبها وقطبها، وخلق به غيره، وفي عالم الأرواح والنّفوس والطّبايع والأمثلة والأجسام هكذا، وكلّما تراه من بسايط العوالم كلّها مخلوقة بسبب قلبها، وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام ذلك القلب في كلّ عالم غير مخلوق من عناصر هذا الملك وبسائطه ولو كان مخلوقاً منها للزم محذور الدور، بل هو مخلوق من عالم الملكوت الأعلى؛ فإنّ كلّ شيء قبل خلقه في الإمكان، ولا يخرج منه إلا بمرجِّح، والمرجِّح هو القلب، فكيف يمكن ـ حينئذٍ ـ أن يكون القلب مخلوقاً من العناصر والبسايط التي لا بدّ من خروجها من القوّة بواسطته، فتدبّر.

فالقلب في كلّ مكان مخلوق بنفسه ــ خلقه الله متعالياً عن البسايط والعناصر ـ قبل أجزاء ملكه، وكلّ شيء من أعراض المَلِك له قلب هو الحاكي للقلب الرّوحي الأعلى منه لا أنّه حقيقته، من هنا قيل: إنّ نسبة النّفس الكلّية الدّهريّة إلى النّفوس الجزئيّة كنسبة الجسم المطلق إلى الأجسام وما كان من النّفوس كالكرسي الجامع للكلّ يحكي النّفس الكلّية ويصدق عليه اسمها؛ مع أنّ النّفس الغيبيّة غيرها، ونفوس الأشياء هي صور النّفس الكلّية، فصورة الجماد مثلاً نفسه، وصورة النّبات نفسه، وهكذا صورة الإنسان والحيوان وغيرها من البسايط والمواليد، وكلّها أفراد المطلق الأعلى وهو النّفس الكلّية المحيطة بها وهي مبدأ الكلّ ومنشأ الجميع، فإنّ جميع

أفراد المطلق ظهورات المطلق الأعلى وتجلّياته، فإنّ أفراد الحديد هي ما ظهر من أشعّته فيما صيْغ من العناصر بصورة قابلة لحكايتها والأشعّة تصدر من الحديد بصورة واحدة إطلاقيّة إذا هي كماله وعلى حسبه، وتظهر في السّيف والوتد كلّ بحسبه، والحديديّة هي الحديديّة، والأشعّة الظّاهرة في أفراده جميعها بدؤها من الحديد وعودها إليه، وكذلك الأمر بالنّسبة إلى النّفس الكلّيّة، فجميع ما يظهر من الأفراد يرجع وينسب إليها، وقد يستشكل بجواز نسبة صفة النّفس المطلقة إلى شخص يحكيها أو لا ؛ ولكنّه مردود من حيث إنّ الفرد يحكي المطلق بحسب شأنه لا بحسب شأن المطلق، وذلك أيضاً ليس من حيث فرديّة الفرد بل من حيث حكاية البدن العنصري ؛ فإنّ الفرد بنفسه شعاع المطلق وأثره ولا يخالفه ولكنّه يظهر في المرآة بحسبها، فإنْ كانت المرآة صالحة لحكاية الشّعاع على ما هو عليه فلا تخالفه، مثاله : الحافظة عند الإنسان فإنّ الحفظ من لوازم الحافظة لا يفارقها، ولكنّ البدن ربّما يحكي الحفظ وربّما لا يحكي، وذلك بحسب غلبة الرّطوبة على دماغ الإنسان وعدمها كما هو ظاهرٌ، فإنْ كان البدن صالحاً لحكاية الحفظ يحكيه، وإلا فلا، وكذلك الكلام في ساير قوى الإنسان، ومن لا يحكي جميع قوى الإنسان لا يسمّى إنساناً على الحقيقة، نعم يكون إنساناً ظلّيّاً، وهكذا السّماء تحكي سماويّتها من دون أرضها، والأرض تحكي أرضيّتها دون غيرها، لذا لا يصدق على واحدة منهما اسم حقيقة النّفس بالكلّيّة،

وكذلك الأمر في الأبدان الشّخصيّة، فالنّجيب الجزئي مثلاً ـ وإنْ ظهر فيه شعاع النّفس ـ لم يجمع جميع ما يشترط في حكاية النّفس، ولذا لايصدق عليه اسمها على الحقيقة، من هنا أيضاً لا يسوغ أن يقال لمرآة لا تحكي جميع النّفس بكمالاتها أنها نفس بل هي عضو لها، ففلك القمر لا يكون نفساً - لأنّه لا يحكي كلّ ما في القمر - ولكنّه قمر النّفس الكلّية، والزّهرة لا تكون نفساً ولكنّها زهرة النّفس يعني النّفس الظّاهرة فيهما زهرةً وقمراً، ولكنّ الكرسيّ الجامع للكلّ ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ.. ﴿٢٥٥﴾ ﴾[1] الّذي وسع الأفلاك كلّها يحكي النّفس فيصدق عليه اسمها ويظهر منه أثرها، وهو بمنزلة البدن الكامل لزيد والشّعلة للنّار، وهو إمام السّماوات والأرض، والكلّي الحاكي عن الغيب وباب الإشارة، ومحلّ العبارة والدّليل والأمارة وصاحب الوساطة والسّفارة وهو النّفس الكلّية فيصدق على هذا البدن اسم الكلّي، مع أنّ النّفس الغيبيّة غيره، ونسبتها إليه وإلى ساير السّماوات والأرض سواء.

وبتعبيرٍ آخر: إنّ الشّيعة المخلصين (رضي الله تعالى عنهم) فروع آل محمّد عليهم السلام، إذ هم أنوارهم وأشعّتهم عليهم السلام، والنّور لا يملك لنفسه شيئاً لا يكون من مولاه ومؤثره، فإنّ جميع ما منه يرجع إليه، ألا ترى نور السّراج؟ فإنّه لا يثبت للنّور شيء إلا وهو راجع إلى السّراج وينسب إليه،

---

(١) سورة البقرة.

وكيف لا يكون هكذا؟ وحقيقة النّور من المنير، وأصل وجوده يرجع إليه وفي نفسه فقير محتاج إليه، ولذلك فإنَّ جميع ما يثبت للشيعة من الفضايل يثبت لهم أصالةً، ولشيعتهم تبعاً، وذلك قوله عليه السلام: « **نحن أصل كلّ خير ومن فروعنا كلّ برّ** ».

فهنا نلاحظ أن الإمام عليه السلام نفى صدور المعجزات عن الشّيعة اتكالاً منهم على أنفسهم بما هي بالعنوان الأولي، وقال إنّها للإمام عليه السلام يجريها على أيديهم، وبهذا المعنى إذا قلت إنه لا علم للشّيعة ولا حلم ولا كمال أبداً إلا مما أظهره آل محمّد منهم لكنتَ صادقاً في قولك، فإنّ الشّبح في المرآة حسنه للشّاخص، ومنه لا له ولا للمرآة، ففضايل الشّيعة أظهرها الإمام عليه السلام وأجراها من قوابلهم الّتي تعكس عن ذواتهم المقدّسة ولو انعكاساً جزئيّاً؛ لأنّ الانعكاس الكلّي لا يمكن صدوره من النّفوس الجزئيّة حتى ولو اجتمعت متكاملة ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[1]، وقال عليه السلام: « **إنّ حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله ملك مقرّب ولا نبيّ مرسَل ولا مؤمن ممتحن** »، قيل: فمَن يحتمله؟ قال: « **نحن** ».

فذلكة الكلام: بعد هذا العرض العلمي المسهَب حول إثبات تكامل القوّتين عند أهل البيت عليهم السلام وكونهم قطب جميع الكائنات، لا يمكن

(١) سورة الكهف.

الرّكون إلى ما ظنّه بعض العلماء القشريين من أنّ الأئمّة الطاهرين عليهم السلام لم يكونوا مطّلعين على مجريات الأمور، وأنَّهم لا يعلمون شيئاً عن عوالم الغيوب إلا بالعلم الوراثي؛ رغم ما ورد في الأخبار المتواترة من أنهم أوّل الخلق ومبدؤه ومنتهاه ...فكيف يصيبه الخطل في الرّأي وحاله هكذا... ؟! وهل تراه يصحّ القول بأنَّه يعلم شيئاً من عوالم الغيوب إلا إذا أعلمه النبيّ فورثه علماً مكتوباً أو وصايا منقولة من وصي إلى وصي، ومن وليّ إلى وليّ، دفعاً لاشتباهه ونسيانه في غير التبليغ؟ كلا وألف كلا! ذلك لأن عقولهم الشريفة محيطة بعوالم التكوين ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[1]. وهم مباركون في علومهم حيثما حلوا وأينما كانوا ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ... ﴿٣١﴾ ﴾[2].

ويشهد لما قلنا ما ورد في صحيحة محمّد بن مسلم عن مولانا أبي جعفر عليه السلام قال: « **لمّا خلق الله العقل استنطقه ثمّ قال له: أقبِل فأقبَل ثمّ قال له: أدبِر فأدبَر ثمّ قال: وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليَّ منك ولا أكملتك إلا فيمن أحبّ، أما إنّي إيّاك آمر، وإيّاك أنهى، وإيّاك أعاقب وإيّاك أثيب** ».

---

(١) سورة إبراهيم عليه السلام.

(٢) سورة مريم.

والمراد بالعقل هنا هو العقل الكلي وهو نور رسول الله صلى الله عليه وآله ومنه انشعبت أنوار الأئمّة عليهم السلام، واستنطاقه على الحقيقة بجعله محلاً للمعارف اللامتناهية، والمراد بالأمر بالإقبال ترقّيه في مراتب الكمال، وجذبه إلى أعلى مقام القرب والوصال، وبإدباره إمّا إنزاله إلى البدن، أو الأمر بتكميل الخلق بعد غاية الكمال، فإنّه يلزمه التنزُّل عن غاية مراتب القرب بسبب معاشرة الخلق، ويومئ إليه قوله تعالى: ﴿ ..قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ... ﴿١١﴾ ﴾[1]، أو أن يكون المراد بالإقبال، الإقبال إلى الخلق، وبالإدبار الرّجوع إلى عالم القدس بعد إتمام التّبليغ.

والمراد بقوله تعالى في الحديث القدسي المتقدِّم ﴿ **ولا أكملتك** ﴾؛ هو أني لا أكمل محبّتك والارتباط بك وكونك واسطة بينه وبيني إلا فيمن أُحبّه، أو أن يكون الخطاب مع روح آل محمّد ونورهم عليهم السلام، والمراد بالإكمال إكماله في أبدانهم الشّريفة؛ أي أن هذا النّور ـ بعد تشعّبه بأيّ بدن تعلّق به وكمل فيه ـ يجعل ذلك الشّخص أحبّ الخلق إلى الله تعالى.

وقوله: ﴿ **إيّاك آمر** ﴾ يفيد التخصيص؛ إمّا لكونهم **(صلوات الله عليهم)** مُكلّفين بما لم يُكلّف به غيرهم، ويتأتّى منهم من حقّ عبادته تعالى ما لا يتأتّى من غيرهم، أو لاشتراط صحّة أعمال العباد بولايتهم والإقرار

---

(١) سورة الطلاق.

بفضلهم، وبهذا يجمع بين ما رُوي عن النّبيﷺ: ﴿ **أوّل ما خلق الله نوري** ﴾، وبين ما رُوي من أنَّ: ﴿ **أوّل ما خلق الله العقل** ﴾.

ويؤيّده ما رُوي عن سلمان الفارسيرضي الله عنه قال: سمعت حبيبي محمّدﷺ يقول: ﴿ **كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله عزّ وجلّ يسبّح اللهَ ذلك النّور ويقدّسُهُ قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خُلق آدم أُودع ذلك النّور في صلبه، فلم يزل أنا وعليّ شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطّلب، ففيّ النبوّة وفي عليّ الإمامة** ﴾.

وفي أخبار أُخَر: ﴿ **افترقنا في صلب عبد المطّلب فجزء أنا وجزء عليّ** ﴾.

وكون النّبيﷺ أوّل ما خلق الله تعالى، وقد أصبح هذا الإعتقاد من الضّروريّات في حوزة الإسلام الشيعية، بل إنّ جميع الملّيّين متفقون على ذلك، وإنْ لم يعرفوا شخصه المبارك، ألا ترى أنهم كلّهم يقرّون ويعترفون بأنّ رسول الله محمّداً خاتم النّبيين، وقد أخذ الله على الأنبياء (سلام الله عليهم) ميثاق ولايته والإقرار بنبوّته؛ غاية الأمر أنّ بعضهم أقرّ بشخصه الكريم، وبعضهم انتظر أمر ظهوره، ولكنّهم ـ أي: أتباع الأديان السماوية ـ لا ينكرون فضله على جميع الأنبياء، ولا شكّ أنهم السّابقون فهو أسبق السّابقين.

وبالجملة: لا شكّ في أنّه أوّل ما خلق الله سبحانه وتعالى، وقد نطق بذلك كتاب الله جلّ جلاله حيث قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾(1).

فقوله: ﴿ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ يُراد به أنّه ﷺ أوّلُ خلقِ اللهِ عَبَدَ الله تعالى؛ بناءً على حمل "إنْ" على النفي، والمعنى هكذا: ما كان للرَّحمان ولدٌ، لأنني أول العابدين لله تعالى المقرين بذلك، ولكنّه حملٌ بعيدٌ.

وبتعبير آخر أدق: إنْ كان للرَّحمان ولدٌ ـ حسب زعمكم أيها المشركون ـ فأنا أوّل العابدين لهكذا إله على فرض وجوده، لأنني أوّل من عبد الله وحده، فقد دفع أنْ يكون له ولد، والمعنى: أنا أوّل الموحّدين لله تعالى، والمنكرين لقولكم.

تقرير ذلك: لا شكّ أنّ جميع الخلق عبيدٌ لله عزّ وجلّ: ﴿ ..وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ... ﴿٤٤﴾ ﴾(2) ﴿ وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾(3) ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾(4).

---

(1) سورة الزخرف.

(2) سورة الإسراء.

(3) سورة البقرة.

(4) سورة مريم عليها السلام.

وفي الدّعاء: ﴿ **أنت إله كلّ شيء، وكلّ شيء يعبدك ويسبّح بحمدك ويسجد لك** ﴾. ومن الدّعاء أيضاً: ﴿ **انتهى كلّ شيء إلى أمرك** ﴾.

فلمّا كان رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله) أوّلَ العابدين دلّ على أنّه أوّل خلق الله تعالى، وإذا دلّ صريح الكتاب على شيء ووافقه الخبر الصّحيح مع الإجماع الضّروري؛ فالإقرار به حينئذٍ إيمان، وإنكاره كفر لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[1]؛ فلا ريب أنّ جميع الخلق أسلموا لله كوناً وقهراً كما قال تعالى: ﴿ ..وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... ﴿٨٣﴾ ﴾[2] ﴿ ..قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ ولا تكونن من المشركين ﴿١٤﴾ ﴾[3] هذا ﴿ ..إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ... ﴿١٩﴾ ﴾[4] ولا دين سواه، وجميع خلقه دان له بالعبوديّة، فكلّهم مسلمون تكويناً وبالفطرة وهو صلّى الله عليه وآله أوّل المسلمين وكذلك قال تعالى: ﴿ قُلْ

(١) سورة الأنعام ١٦٢.

(٢) سورة آل عمران.

(٣) سورة الأنعام.

(٤) سورة آل عمران.

إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[1].

ولا يعارض هذه الآية قول النبيّ موسى عليه السلام لّما طلب قومه رؤية الله تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾[2] فإنّ مرده أوّل من آمن من بني إسرائيل بأنّك لا تُرى، وهذا نظير قول السّحرة: ﴿ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾[3]، يعنون بذلك أنهم أوّل من آمن في ذلك المشهد قبل خلق غيرهم، لا أوّل من آمن من الموجودات، وكما يُقال بأنّ حمزة سيّد الشّهداء مع أنّ مولانا الإمام الحسين عليه السلام سيّد شهداء العالم، فبينهما فرقٌ كبيرٌ، كما لا شكّ أنّ النبيَّ إبراهيم الخليل عليه السلام خير من النّبي موسى عليه السلام، فقوله ﴿ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ ليس على عمومه، وكذلك النبي نوح عليه السلام خير منه وكذلك نبيّنا الأعظم صلى الله عليه وآله خير منه بالإجماع، هذا وقد قال الله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ... ﴿٦﴾ ﴾[4] فإذا كان موسى أوّل المؤمنين فالنبيُّ محمّد صلى الله عليه وآله أولى بالإيمان منه، فهو الأوّل وليس النبيّ

(١) سورة الزمر.

(٢) سورة الأعراف.

(٣) سورة الشعراء.

(٤) سورة الأحزاب.

موسى عليه السلام لكون الثّاني من المؤمنين، والنّبي الأعظم صلى الله عليه وآله، له ولاية عليه وعلى عامة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، فتدبّر.

وهذه الآية المباركة ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ... ۝٦ ﴾ أيضاً إحدى الشّواهد من كتاب الله تعالى على ولايته المطلقة على عامّة المؤمنين الأوّلين والآخرين إلى قيام يوم الدّين، فكلّ ما دون الله تعالى من الحجر والمدر والنّبات والحيوان والجنّ والإنس والملائكة، مؤمن به وبمشيئته سبحانه تكويناً، والجمع المحلّى في قوله: ﴿ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾ يفيد العموم ولا مخصّص في المقام، حتى يُقال بأنّ المراد هم المؤمنون الشّرعيّون، فالمراد جميعهم، والنّبي أولى بهم جميعاً، وإذا كان المراد من "المؤمنين" الكونيّين والشّرعيّين، فالأولويّة أيضاً كونيّة وشرعيّة، لا محض الحكم الظّاهري كأولويّة الأب والسّابق إلى مكان في المسجد وأمثالهما، بل الأولويّة الّتي لا تثبت إلا للمحيط بما دونه، يعني أنه أوجد في مكانه منه، وأظهر من وجهه منه وأقدر منه عليه، فصدر الآية المباركة دلالة قاطعة على ولاية النّبيّ التامّة على المؤمنين، وذيلها﴿ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ... ۝٦ ﴾ دلالة على آل بيته بحسب التأويل والوجوه الباطنيّة للقرآن الكريم من حيث إنّ المراد من الأزواج أولياؤه، فإنه لا قرين له غيرهم فإنّ الزّوجة مخلوقة من نفس الزّوج كما قال تعالى: ﴿ ..خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا... ۝٢١ ﴾[1] وأُمنا حوّاء عليها السلام

---

(١) سورة الروم.

خُلقت من طينة أبينا آدم عليه السلام – وكما جاء في الرّواية من ضلعه الأيسر أي نفسه أو طينته – ولم يُخلق من نفس رسول الله إلا الأئمّةعليهم السلام والصّدّيقة فاطمة الزّهراء عليها السلام وذلك لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[1] والمراد من قوله: ﴿ أَنفُسِكُمْ ﴾ هم أهل البيتعليهم السلام بقرينة قوله تعالى: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فإنّه لو كان المراد من الأنفس المؤمنين، لما كان حاجة إلى تكراره، وكان يكفي قوله: { بكم رؤوف رحيم }.

وإن كان المراد من ﴿ أَنفُسِكُمْ ﴾ جميع الخلق، وكانت رأفته مخصوصة بالمؤمنين؛ لزم كونه من أنفس الكفّار والمنافقين وهو باطل عقلاً ونقلاً، وقد قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ... ﴿٤٠﴾ ﴾[2] ولو كان من أنفسهم لكان أباهم بالبداهة، إذ ليس المراد نفي الأبوّة الظّاهرية؛ فإنّ ذلك أمر ظاهر مع أنّ نفي الأبوّة الظّاهرية ليس مقدّمة لإثبات الرّسالة، فسياق الكلام يشهد على أنّ المراد نفي الأبوّة الباطنيّة وهي مرتفعة لعدم كونهم من نفسه، ولو كانوا من نفسه لكانوا ولده؛ فإنّ الولد جزء من الوالد، فالمراد من ﴿ أَنفُسِكُمْ ﴾ آل محمّد (سلام الله عليهم)؛ ولا يشمل الخطاب في الآية المتقدّمة نساء النبيّ الأعظم (صلى الله

---

(١) سورة التوبة.

(٢) سورة الأحزاب.

عليه وآله) كما يتوهم البعض اغتراراً بقوله تعالى في سورة الروم ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ؛ بل الصحيح أنَّ أزواجه في عالم الحقيقة هُنَّ من كُنَّ من طينته ونفسه ولا يشاركه فيها من نسائه سوى مولاتنا المعظمة سيّدتنا خديجة (عليها السلام) وبقية أهل بيته الطاهرين من الأئمّة وسيّدة نساء العالمين وبناتها المطهرات صلوات الله عليهم أجمعين.

ونحن لا ننفي المعنى الظاهري لمفهوم الأمومة لأكثر نساء النبيّ باعتبار حرمة الزواج منهنَّ، فهنَّ بعد موت النبيّ الأعظم(صلّى الله عليه وآله) بمثابة الأمهات من حيث حرمة مقاربتهنَّ، فأزواجه ـ أي نظائره ـ الأئمّة، هم أمّهاتهم أي: مبادئ الأمّة وأصولها، فلهم الولاية عليهم، فإنّ الأمّ لها الولاية في عالم الحقيقة ـ وإنْ لم تكن لها الولاية في الأمر بحسب ظاهر الشّرع ـ ؛ وقد سلب الله عزّ وجلّ الولاية عن الأمّهات الظّاهريّات لنقصان عقولهنّ، فإنّهنّ نواقص العقول والحظوظ، ونواقص الإيمان، ولو ثَبُتتْ لهنّ ولاية الأولاد لربّما أوقعنهم في المهالك، كيف وقد سلب الله عنهنّ الاختيار في أنفسهنّ وأموالهنّ، فكيف يثبت لهنّ الولاية على غيرهنّ، فبحكم العرض الظّاهري، سلب الإختيار منهنّ مع أنّ الولد جزؤهنّ ومن فاضل طينتهنّ، وأمّا الأمّهات الواقعيّات فلا يجري عليهنّ هذا الحكم، فهنّ أولى بالمؤمنين وذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ ﴿٥٥﴾﴾[1] وهم الأئمّة الأطهار عليهم السلام وكذا قوله تعالى: ﴿..وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ... ﴿٦١﴾﴾ وكذا قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾[2]، فقوله في الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مطلق يشمل جميع المؤمنين من الأوّلين والآخرين وقد نهاهم الله عن التّقدّم بين يدي الله ورسوله، وذلك لسيادته صلى الله عليه وآله على عامّة الخلق قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾[3] والعالمون جمع محلّى باللام وهي تفيد العموم، فهو نذير الله في جميعها، والنّذير أشرف من المنذرين (على صيغة إسم المفعول) لأنّه حجّة الله عليهم فهو أشرف منهم لا محالة.

وكذا قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾﴾[4]، يدلّ على أنّ الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله كان في عالم الذرّ نذيراً من النذر الأولى، والنذر هم آل محمّد عليهم السلام، روى العلامة المجلسي عن بصائر الدّرجات: بإسناده إلى عليّ بن معمّر، عن أبيه، قال: سألتُ الإمام أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك

---

(١) سورة المائدة.

(٢) سورة الحجرات.

(٣) سورة الفرقان.

(٤) سورة النجم.

وتعالى: ﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝٥٦ ﴾. قال عليه السلام: ﴿ **يعني به محمّداً حيث دعاهم إلى الإقرار بالله في الذرّ الأوّل** ﴾.

هذه نبذة من الآيات ـ كافية بحمد الله تعالى ـ لإثبات كونه صلى الله عليه وآله أوّل ما خلق الله تعالى، وأمّا الأخبار فكثيرة نكتفي بذكر حديثين:

الأوّل: عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله أوّل شيء خلق الله تعالى ما هو؟، فقال: ﴿ **نور نبيّك يا جابر، خلقه الله، ثمّ خلق منه كلّ خير، ثمّ أقامه بين يديه في مقام القرب ما شاء الله، ثمّ جعله أقساماً، فخلق العرش من قسم، والكرسي من قسم، وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم، وأقام القسم الرّابع في مقام الحبّ ما شاء الله، ثمّ جعله أقساماً، فخلق القلم من قسم واللوح من قسم، والجنة من قسم، وأقام القسم الرّابع في مقام الخوف ما شاء الله، ثمّ جعله أجزاءاً، فخلق الملائكة من جزء، والشمس من جزء، والقمر من جزء، وأقام القسم الرّابع في مقام الرّجاء ما شاء الله، ثمّ جعله أجزاءاً، فخلق العقل من جزء والعلم والحلم من جزء والعصمة والتّوفيق من جزء، وأقام القسم الرّابع في مقام الحياء ما شاء الله ثمّ نظر بعين الهيبة فرشح ذلك النّور وقطرت منه مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة، فخلق من كلّ قطرة روح نبيّ ورسول، ثمّ نفست**

أرواح الأنبيـاء، فخلـق اللـه مـن أنفاسـها أرواح الأوليـاء والشّـهداء والصّالحين ﴾.

يظهر من الحديث المبارك أنّ رسول الله محمَّد (صلى الله عليه وآله) كان قبل جميع الكائنات.

الثّاني: ما عن (العوالم) للبحراني في تفسير قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ... ﴿١١٠﴾ ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**أوّل ما خلق الله نوري، ابتدعه من نوره، وأشعّة من جلال عظمته، فأقبل يطوف بالقدرة حتى وصل إلى جلال العظَمَة في ثمانين ألف سنة ثمّ سجد لله تعظيماً، ففتق منه نور عليّ عليه السلام فكان نوري محيطاً ونور عليّ عليه السلام محيطاً بالقدرة ﴾.**

وما ثَبُتَ لرسول الله، ثابت لعترته الطّاهرة عليهم السلام؛ لأنهم منه بلا ريب، وذلك أمر واضح نطق به الكتاب والسّنّة وتؤيدهما الأدلّة العقليّة الكثيرة، أمّا من الكتاب فقوله تعالى حكاية عن النبيّ إبراهيم عليه السلام: ﴿ ..فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ... ﴿٣٦﴾ ﴾[1].

ولا شكّ أنهم (صلوات الله عليهم) اتّبعوه بحقيقة المتابعة حيث لم يخالفوه في صغير الأمور وكبيرها، إذ كانوا معصومين بنصّ آية التّطهير، وإذا كانوا متابعين له على الحقيقة فهم منه، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ

(١) سورة إبراهيم عليه السلام.

وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ... ﴿٢١﴾ ﴾[1] ؛ فلا يلحق به إلا من كان من جنسه، فآله الميامين من جنسه لا محالة وإلا لم يلحقوا به صلى الله عليه وآله، هذا مضافاً إلى أنّ الولد جزء الوالد، ولا ريب أنّ الأئمّة أولاد النّبي حقيقةً، فهم جزؤه، والجزء حكمه حكم الكلّ لا محالة، وكذلك قال تعالى في صفة الذّريّة: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ... ﴿١٧٢﴾ ﴾[2] ولا يمكن ذلك إلا بأن يكونوا من طينة الآباء، والأئمّة لكونهم ذريّة النّبي يلحقون به ويكونون من جنسه، وهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهكذا هم أيضاً أولى بهم، وأولو الأرحام بعضهم أوْلى ببعض، كما أنّ قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾[3] يؤكّد أنهم نفسه للأحاديث المتواترة الدّالة على ذلك. ففي الخبر حسبما جاء في البخاري وغيره قال النّبي صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام: «**أنت منّي وأنا منك**». وقال عن سيّدة النّساء مولاتنا فاطمة لعن الله من ظلمها: «**فاطمة سيّدة نساء أهل الجنة، وفاطمة**

---

(١) سورة الطور.

(٢) سورة الأعراف.

(٣) سورة آل عمران.

بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني ﴾. وقال ﷺ: ﴿ **حسنٌ منّي وأنا منه** ﴾.

وروى أنس بن مالك عن النّبي ﷺ قال له لمّا أراد أن يميط عنه الإمام الحسن عليه السلام: ﴿ **ويحك يا أنس دع أبني وثمرة فؤادي فإنّ من آذى هذا فقد آذاني** ﴾. وقال ﷺ: ﴿ **أنا من الحسين والحسين مني** ﴾.

وقال عنهم جميعاً: ﴿ **إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السّماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فأنظروا كيف تخلفوني فيهما** ﴾.

وقال ﷺ: ﴿ **مَن سرَّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي، فليوال عليّاً من بعدي، وليوال وليّه وليقتدِ بأهل بيتي من بعدي فإنّهم عترتي، خلقوا من طينتي ورزقوا فهمي وعلمي فويل للمكذّبين بفضلهم من أمّتي القاطعين فيهم صلتي لا أنالهم الله شفاعتي** ﴾.

وفي الخبر أيضاً: ﴿ **أوّلنا محمّد وأوسطنا محمّد وآخرنا محمّد** ﴾.

وفي الزّيارة الجامعة الكبيرة الشريفة: ﴿ **أشهد أنّ أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض** ﴾.

وعن مولانا الإمام علي بن الحسين عليهما السلام : ﴿ **إنّ الله عزّ وجلّ خلق محمّداً وعليّاً والأئمّة الأحد عشر من نور عظمته أرواحاً في ضياء نوره يعبدونه قبل خلق الخلق يسبّحون الله عزّ وجلّ ويقدّسونه وهم الأئمّة الهادية من آل محمّد صلوات الله عليهم** ﴾.

وكونهم عليهم السلام من نور واحد وطينةٍ واحدة وأوّل ما خلق الله هو من ضروريّات الشّيعة ، ولا يشكّ أحد في هذه المسألة إجمالاً وإن كانوا جاهلين بتفاصيلها ونتايجها.

والأسبقيّة في الخلق تستلزم القول بأفضليّتهم على سائر الخلق ، وللقرائن الأخرى الدالة على ذلك ، منها : كونهم أولياءه ، والولاية صفة إلهيّة ، وشأن من الشّؤون الذّاتيّة التي تقتضي الظّهور المستمدّ من ولايته عزّ وجلّ ﴿ ..وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾[١] ، وهذه الولاية مرجعها إلى القرب ، إمّا بلحاظ قربه تعالى إلى الأشياء ، وإمّا بلحاظ قرب العبد إليه تعالى الموجب لكونه ـ أي : العبد ـ وليّاً لله تعالى على حسب درجته واتّصافه بالأسماء ، فأيّما عبد اتّصف بالمظاهر الإلهيّة تجلّى باسمه في حقيقته وقلبه ، صار قريباً منه تعالى ، فإذا كان التّجلي بجميع الأسماء ، فلا محالة يكون العبد أقرب ، وإذا كان ببعض الأسماء ، فالقرب على حسبه حسبما قلنا ، فالفناء الحاصل للعبد إنّما هو بتجلّي الأسماء فيه كمّاً وكيفاً بحسب ما يملك من القابليّات ،

---

(١) سورة الشورى.

فكلّما اتّسعت القابليّة تجلّى على ذاته شيءٌ من مظاهر الذّات المقدّسة، وذلك لأنّ جميع الآثار والصفات تحكي عن المؤثر، فإنه حقيقتها، ولكنّ الصفات لبُعد بعضها عن المؤثر، تغيّرت فطرتها الأوليّة فلا تحكي عن جميع شؤون المؤثر على ما ينبغي، وبعضها أقرب، فشباهته بالمؤثر أكثر، وحكايته لشؤونه وكمالاته أشدّ، وإن شئت أن تعرف مثال ذلك على الحقيقة: أنظر إلى الشّمس وأنوارها السّاطعة فإنّ ما في الهواء نورها، وما في الأرض نورها، وما في الصّحن بلا حجاب نورها، وما في الأظلال نورها، فإنّه لولا النّور لما ظهر الظّل أبداً، فلا ترى في الظّل، ولا تستطيع قراءة السطور في الكتاب، فذلك كلّه من نور الشمس لا نفس الظلّ، فإنه نفسه ـ أي الظّل ـ ظلمة غير مرئيّة ولا مُظهرة للغير، ولكن مع ذلك تسمّى النّور الظّاهر في الصّحن بالشّمس، والنّور الظّاهر في الظل بلون الظّل ولا تسمّيه باسم الشّمس، وليس ذلك إلا لتغيّر لونه وصفته، وكذلك أفراد الإنسان المطلق جميعهم أنواره، ويُسمّى الكلّ باسم المنير إذا حكى بعض كمالات المؤثر الذّاتيّة وشؤونه، وأمّا إذا كان أحد فاقداً لجميع الكمالات إلا في ما يتعلّق بالشّباهة الصّوريّة العرضيّة فلا يُسمّى بالإنسان حقيقةً، لذا فإنّ الله تعالى أخرج جماعة من حدّ الإنسانيّة، وتتفاوت مراتب الإنسانيّة في الأفراد بحسب اختلافهم، لذلك نقول إنّ الإنسانيّة تقبل الاشتداد والضّعف، فزيد أكثر إنسانيّةً من عمرو، وعمرو أقلّ إنسانيّة من زيد، مع أنّ الحقائق بأنفسها فوق

الإشتداد والضّعف بل الوجود بهذا المعنى أيضاً يقبل الضّعف والاشتداد فإنّ الموجود من حيث وجوده - بما هو هو - أضعف من الموجود من تينك الحيثيتين المتقدمتين فأفهم وتدبّر، وكذلك الأمر في المقام فإنّ الكلّ آثار للكينونة الأولى، ولكنّ بعضهم في غاية البعد، فلم يحكوا عنه إلا صرف الوجود، وفقدوا سائر الصّفات، وأمّا من كان حاكياً لكمالاتها وصفاتها يُدعى باسمها ولكن بحسب كمالاتها وحكايتها.

والأثر الكامل هو من كان حاكياً لجميع كمالاتها وصفاتها غير فاقدٍ لشيءٍ منها، وإذا بلغ هذه المنزلة ينسب إليه جميع ما ينسب إلى المؤثّر، فيوصف بجميع ما وصِفَ به المؤثّر.

فهل يمكن لكلّ النّفوس أن تحكي كل ما يُنسب إلى المؤثّر أم أنّ ذلك شأن خاصّ ببعضها؟.

الحقّ هو الثّاني؛ وذلك لأنّ التجلّي الأعظم لو كان على كلّ النّفوس بمستوىً واحدٍ لما حصل تفاوت في الأفراد من حيث الإيمان والكفر، ولما استتبع ذلك إرسال الأنبياء والحجج عليهم السلام، لذا فإنّ النّور الأعلى الأوّل والتّجلّي الأعظم الأجلّ إنّما هو لأوّل خلقه الخاتم لملك الله والأوّل والآخر والظّاهر والباطن وهو حقيقة آل محمّد عليهم سلام الله، فابتدأ الله بهم خلقه وسوف يختم؛ فهم الآخرون حيث ستكون ولايتهم آخر الظّهورات الإلهيّة تماماً كما كانت أوّل الظّهورات، وهم ظاهر الرّسالات، وباطن الولايات

الإلهيّة ، كيف لا؟ ، وجميع الخلق آثارهم وأنوارهم وأشعّتهم (صلوات الله عليهم)، قائم بهم ، صادر منهم ، ففي الزّيارة الجامعة الخامسة : ﴿ **أشهد أنكم أبواب الله ومفاتيح رحمته ومقاليد مغفرته وسحائب رضوانه ومصابيح جنانه وحملة فرقانه، وخزنة علمه، وحفظة سره ومهبط وحيه ، وأمانات النبوة ، وودايع الرسالة ، أنتم أمناء الله وأحباؤه ، وعباده وأصفياؤه ، وأنصار توحيده وأركان تمجيده ، ودعاته إلى كتبه وحرسة خلائقه وحفظة ودائعه..** ﴾.

وفي وصف الملائكة لآل محمّد عليهم السلام في حديث المعراج قالوا له : ﴿ **كيف لا نعرفكم وأنتم أوّل ما خلق الله، خلقكم أشباح من نور من نوره، فما أُنزل من الله فإليكم وما صعد إلى الله فمن عندكم، فلِمَ لا نعرفكم؟** ﴾.

وما ورد في زيارة المولى المعظَّم سيِّد الشهداء الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام : ﴿ **إرادةُ الربِّ في مقاديرِ أمورِهِ تهبطُ إليكم، وتصدُرُ من بيوتكم...** ﴾.

والمعنى : إنّ ما يصعد من الخلق من حقيقة العبوديّة ، والحمد والثناء والدعاء ، يمرّ بكم وأنتم تتلقونه ثمّ منكم يصعد إليه تعالى إذ لا طريق إليه تعالى إلا منكم ؛ لأنكم أقرب الخلق إليه تعالى ، وهو عزّ وجلّ قد احتجب بكم ، كما في الحديث : ﴿ **إحتجب ربنا بنا** ﴾ ، وكيف كان ، فحيث إنّ

أنوارهم وخلقهم النوراني، قد أقامها الله في مقامٍ بين الوجوب والإمكان، وبين الحقّ والخلق، فلا محالة لا ينزل من الحقّ إلا إليهم، وما يصعد إليه إلا منهم، ومن عندهم، وهذا المقام المشار إليه بقولهم: ﴿ **وجعل لكم مقاعد في ملكوت سلطانه** ﴾، فتدبّر تعرف إنّ شاء الله تعالى.

فهم أولى بجميع الموجودات والماهيّات والصّفات والأسماء والأعراض الجّواهر منها وبها ملأ الله سماءه وأرضه حتى أظهر وحدته تعالى وصفاته وأفعاله وعبادته، ولكنّ الخلق لا يصلون إلى الحكاية التّامة عنهم وإن كانوا جميعهم أسماءهم وصفاتهم ويصحّ انتساب الكلّ إليهم وقد أشار المولى عزّ وجلّ إلى هذه الحقيقة بقوله: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾[1] وغير ذلك من الآيات الصّريحة عند أهلها، ولكن مع ذلك لا يُنسب إلى كلّ اسم ما يُنسب إليهم صلوات الله عليهم إلا بعد الغضّ عن الخصوصيّة، ألا ترى أن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يقول في بعض خطبه: ﴿ **أنا آدم ونوح وإبراهيم** ﴾. فهو عليه السلام آدم أي اسم آدم واسم نوح واسم إبراهيم، ومع ذلك لا يُنسب إلى آدم من حيث الآدميّة جميع ما يُنسب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهكذا عندما ينسب نفسه إلى النّجم والشّمس والقمر وغير ذلك، فهو لا ينسب إلى الشّمس والقمر ما يُنسب إليه، وليس ذلك إلا لأنّ نسبة هذه الأسماء إليه ليست إلا كنسبة القائم إلى

---

(١) سورة الشعراء.

زيد، فبعد كشف سبحة الآدميّة والنّوحيّة والإبراهيميّة تقول ما تقول في شأنه، وأمّا مع خصوصيّة الصّورة فإنّ آدم ونوحاً من المرسلين، ولهما صفة المرسلين.

وأنت ـ أخي القارئ ـ إذا عرفت هذا المطلب الشّريف فهمتَ الأمر في التّوجّهات كليّةً، فإنّك تتوجّه إلى الكعبة لأنها اسم من أسماء الله تعالى، وإذا نظرت إلى الكعبة مواجهاً لصورتها ناظراً إليها لا تقدر أن تناجي ربّك فيها؛ فإنّها ليست إلا الكعبة البيت الحرام، ولكن بعد الغضّ عنها تناجي ربّك مقبلاً إليها، وكذلك الأمر في جميع ملك الله تعالى، فالأبدان الجزئيّة تصلح لانتساب جميع ما يليق بالمؤثّر فيها، ولكنّ الله تعالى اختار أبداناً كاملةً حاكيةً لجميع شؤون مملكة الله تعالى، يبلغ عددهم بحسب الأرواح أربعة عشر، ورد في الزّيارة الجامعة الكبيرة: ﴿ **بأبي أنتم وأمّي ونفسي وأهلي ومالي ذكركم في الذّاكرين وأسماؤكم في الأسماء، وأجسادكم في الأجساد، وأرواحكم في الأرواح، وأنفسكم في النّفوس، وآثاركم في الآثار، وقبوركم في القبور، فما أحلى أسماءكم وأكرم أنفسكم وأعظم شأنكم وأجلّ خطركم وأوفى عهدكم وأصدق وعدكم كلامكم نور، وأمركم رشد، ووصيّتكم التّقوى، وفعلكم الخير، وعادتكم الإحسان، وسجيّتكم الكرم... إنْ ذُكِرَ الخير كنتم أوّله، وأصله، وفرعه، ومعدنه، ومأواه، ومنتهاه** ﴾.

ولمّا كانوا عليهم السلام أوّل ما خلق الله، فلا شكّ حينئذٍ في أن يكون جميع الملك صادراً من أمرهم شرعاً وكوناً، وجميع الخلايق صنايعَ لهم كوناً وشرعاً، وموادّهم وصورهم من ظلّ نورهم، فهم أولى بكلّ موجود من نفسه وأظهر في مكانه منه في الدّنيا والآخرة، ومرجع الكلّ إليهم، ومردّ الأمور مطلقاً إليهم، والثّواب والعقاب والحساب والكتاب عليهم، فإنَّ جميع الأمور راجعة إلى المبدأ ـ وهم المبدأ ـ؛ لأنهم نفس رسول الله الّذي أجمعت الأمّة والملل على أنّه صلى الله عليه وآله أشرف من ساير أولي العزم، والسّابقون من الأنبياء أخبروا بوجوده وشرافته.

يتلخص ممّا ذكرنا: إنّ آل محمد عليهم السلام مطّلعون على مجريات الأمور لرجاحة عقولهم المقدّسة، ولكونهم أوّل صادر عن المشيئة الإلهيّة لقربهم من المبدأ الفيّاض عزّ وجلّ، فلا ريب في أن يكونوا العالِمين بكلّ ما يتعلّق بالجواهر والأعراض، عِلْماً لدنياً إحاطياً لا اكتسابياً وراثياً... وكلّ مَنْ نسب أو ينسب إليهم التعلم الاكتسابي الوراثي فقد نسب إليهم الجهل قبل الاكتساب، فكانوا ــ ساعتئذٍ ــ في الحياة جاهلين حتى ورثوا العلم بالاكتساب، وهو يستلزم الجهل في الأحكام وفي الموضوعات قبل التلقي والبيان، فيستلزم ذلك الافتراء عليهم وإسقاطهم عن مقاماتهم الشريفة التي حباهم الله تعالى بها، وعزلهم عن المراتب التي رتبهم الله فيها ومكنهم منها، وسيلاقي مطلق هذه الدعوى ربّه بما قال.

ويشهد لما قلنا ما ورد في الزّيارة الجامعة الكبيرة المرويّة عن إمامنا الهادي عليه السلام بسند صحيح من أنهم عليهم السلام معدن الرّحمة وخزّان العلم، لذا ينبغي التّأكيد على هاتين الفقرتين من الزّيارة ليتّضح ما رُمنا إليه؛ فنقول:

أمّا قوله عليه السلام: ﴿**السّلام عليكم يا أهل بيت النّبوّة... ومعدن الرّحمة**﴾ فهو إشارة واضحة إلى أنهم عليهم السلام مركز ومستقر عطفه تعالى وبرّه وإحسانه وعنايته ورزقه وما شابه ذلك، والرّحمة بالعرف الخاصّ هي إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه وهو قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[1]؛ أي: أنّه عزّ وجلّ استوى برحمانيّته على العرش، فأعطى كلّ ذي حقّ حقّه، قال تعالى: ﴿ربنا الذي أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾[2]؛ فالعرش ما سوى الله تعالى هو رحيم بهم، فالله تعالى برحمانيّته خلقهم، ووهبهم الحياة ورزقهم ويرزقهم ثمّ يميتهم، وهي أركان أربعة للعرش، فالرّكن الأحمر استوى الرّحمن عليه بصفة الخلق فمنه خلق كلّ شيء، واستوى الرّحمن على الرّكن الأصفر بصفة الحياة فمنه أحيا كلّ شيء، واستوى الرّحمن على الرّكن الأبيض بصفة الرّزق فمنه رزق كلّ شيء، واستوى الرّحمن على الرّكن الأخضر بصفة الموت فمنه أمات كلّ شيء.

---

(١) سورة طه.

(٢) سورة طه.

فجميع هذه الأركان أو الأصول الأربعة مظاهر رحمته فهو تعالى مستوٍ على الخلق برحمانيّته الظّاهرة في هذه الموارد، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿..ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩﴾[1] أي أنّه تعالى يربّيهم بهذه الأصول الأربعة بمقتضى رحمته وحكمته، ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿..ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۖ... ۝٣﴾[2] أي الرّحمان يدبّر الأمر، ولم يقل الله على العرش استوى فتأمّل. والرّحمة قسمان: الرّحمة الواسعة والرّحمة المكتوبة.

الرّحمة الواسعة: سُمّيت بذلك لشمولها لجميع الخلق من مؤمنٍ وكافرٍ وصالحٍ وطالحٍ وجمادٍ ونباتٍ وحيوانٍ.

وهذه الرّحمة هي الوجود، والوجود خيرٌ محض في نفسه، فهو أفضل من العدم، ومن هذا الخير الفضل والعدل، فيعمّ المؤمن والكافر، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍۚ... ۝١٥٦﴾[3] وقول الإمام الصّادق عليه السلام لمّا سُئِلَ عن الرّحمان؟ قال عليه السلام: «**الرحمان بجميع خلقه**».

(١) سورة الفرقان.

(٢) سورة يونس عليه السلام.

(٣) سورة الأعراف.

وأمّا الرّحمة المكتوبة: وهي الرّحمة المشار إليها بقوله تعالى: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ١٥٦﴾[1]، وقال تعالى: ﴿..وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾[2].

بيان ذلك: إنّ الله تعالى أوجد ويوجد الموجودات برحمته الواسعة الّتي وسعت كلّ شيء، ثمّ إذا كان المرحوم بها من أهل التّقوى، فالرّحمة حينئذٍ ثابتة له ومكتوبة؛ أي: مثبتة، فالرّحمة بالمؤمنين هي نفس الرّحمة الواسعة إلا أنها بالتقوى صارت ثابتة في موردها لا مستعارة، فغير المؤمن تؤخذ منه الرّحمة الثابتة، وتسلب منه فيصير إلى العذاب الإلهي دون المتقي، فبهذا الاعتبار تسمّى الرّحمة الثابتة والباقية بالرّحمة المكتوبة أو الخاصّة بالمؤمنين.

وهناك وجه آخر للفرق بين الصّفتين هو الآتي: إنّ الرّحمان أكثر حروفاً من الرّحيم، وزيادة المباني تدلّ على زيادة المعاني، فتشمل صفة الرّحمن الدّنيا والآخرة، وصفة الرحيم مختصّة بالآخرة، فعلى **الأوّل**: عموم صفة الرّحمان للمؤمن والكافر في الدّنيا من جهة الفضل على المؤمن والعدل مع الكافر، أو أنّه سبحانه وتعالى قد تفضّل على المؤمن بما يستحقّه لإيمانه، وعلى الكافر إتماماً للنّعمة لعلّه يتذكّر نعمة الله أو يخشى عقوبته عليها بترك شكرها أو بزوالها أو استدراجاً كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم

---

(١) سورة الأعراف.

(٢) سورة الأحزاب.

مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾[1]. وأنّه قد أجرى عدله على المؤمن ؛ فهو سبحانه يؤاخذه على ما يقع منه من الذّنوب ، فلا يعفو عنه ، بل يبتليه بالمرض والفقر وموت النّسل والهموم أو يسلّط عليه ظالماً ؛ أي : أنّه لا يحول بين المؤمن وبين ما ذُكِر بالإرادة التّكوينيّة ، أو بينه وبين جار سوء وصاحب سوء ، أو امرأة سوء تؤذي زوجها ، أو غير ذلك ليعلم الصّابرين ، فيكون ما أصابه كفّارة لما وقع منه من الذّنوب ، وليعلم المؤمن أنّ الدّنيا ليست بدار أمنٍ وثوابٍ وراحةٍ فلا يرغب في الرّكون إليها ، أو أنّه قد أجرى عدله على الكافر جزاءً بما كان يكسب أو ليرغب في الإسلام أو ليكره الدّنيا لأنّ أكثر من كفر ، إنّما كفر لرغبته في الدّنيا ، إذ قد يزعم أنّ عليه في الإسلام ذلّة بالإنقياد إلى أهل الإسلام أو خاف على فوات بعض حطامها وأمثال ذلك فلا يسلم حرصاً على الدّنيا فإذا تبيّن له فساد الرّكون إليها وأنّه لا يدرك مطلوبه ، أمِنَ ، أو أن ذلك مقدّمة لعذابه وغير ذلك.

وعلى **الثّاني** : يرحم المؤمن في الدّنيا بأن يتفضّل عليه بجزيل النّعم إنعاماً لباله قال تعالى : ﴿ ..أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[2] ، ويعفو عن تقصيراته وسيّئاته تفضّلاً فلا يؤاخذه بشيء من ذلك ، وهذه جهة الفضل من الرّحمة الواسعة ، وذلك الفضل هو الرّحمة المكتوبة فتجري على ذلك

---

(١) سورة الأنعام.

(٢) سورة الأنعام.

المؤمن بنعيم الأبد وملك لا يبلى، وهذا صفة الرّحيم، وقد تجري صفة الرّحيم على الكافر في الدّنيا بأن تُرفع عنه البلايا والمحن والفقر والهموم والأمراض استدراجاً أو تذكيراً لنعمه عليه، ولا تجري عليه في الآخرة إلا على نحو لا يحسّ بها كما لو كانت له استحقاقات من الأعمال الظّاهرة كما لو أعطى فقيراً شيئاً من رقّة قلبه ولم يُجاز أو يُعاقَب عليها في الدّنيا ثمّ تفرَّق عليه في النّار حتى يُوفّاها وهو في النّار مفرّقةً بحيث لا يحسّ بالتخفيف.

وبالجملة: الرّحمة الواسعة تعمّ المؤمن والكافر في الدّنيا والآخرة، وهي صفة الرّحمان والرّحمة المكتوبة، قد تعمهما في الدّنيا والآخرة، وقد تخصّ المؤمن في الآخرة، إلا أنه لا تجري على المؤمن من الرّحمة الواسعة في الآخرة إلا جهة الفضل الّتي يطلق عليها الرّحمة المكتوبة؛ وفي الدّنيا يشارك الكافر في الفضل والعدل إلا أنّه على نحو اللطف به والتّطهير له بخلاف جريان الرّحمة الواسعة على الكافر فإنّها لا تجري على نحو اللّطف والتّطهير، فهم عليهم السلام معدن الرّحمة الواسعة في الدّنيا والآخرة بجميع معانيها، ومعدن الرّحمة المكتوبة في الدّنيا والآخرة كذلك، وذلك لأنّهم أولياء النّعم وسيوف النّقم، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٧ ﴾[1] ﴿ ..فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ

(١) سورة المؤمنون.

فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾[1] لأنّهم عليهم السلام مناة للخلق أي مبتلون ومختبرون ومقدّرون للخلق في جميع الحركات والسّكنات والإرادات والأعمال والاعتقادات، وأذوادٌ يحجبون الأعداء عن الخير ويدفعون عن الأولياء الشّر كما قال مولانا الإمام الحجّة المنتظر المهديّ عجل الله فرجه في دعاء كلّ يوم من رجب: ﴿ **اللّهمّ إنّي أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك المأمونون على سرّك المستبشرون بأمرك الواصفون لقدرتك المعلنون لعظمتك أسألك بما نطق فيهم من مشيّتك فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك وآياتك ومقاماتك... لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك فتقها ورتقها بيدك بدؤها منك وعودها إليك، أعضادٌ وأشهادٌ ومناةٌ وأذوادٌ وحفظةٌ وروّادٌ فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت..** ﴾. فقوله عجل الله فرجه: ﴿ **أعضاد** ﴾ إشارة إلى مفهوم قوله تعالى: ﴿ ۞مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ ﴾[2] فقد أشهدهم صلوات الله ورحماته عليهم خلق السّماوات والأرض وخلق من أسكنهما من الجنّ والإنس والملائكة وسائر ما برأ وذرأ وما أحدث من جماد ونبات وحيوان، وأشهدهم خلق أنفسهم واتّخذهم أعضاداً لخلقه لأنّهم الهادون، واتّخذ

---

(١) سورة الحديد.

(٢) سورة الكهف.

الهادين عضداً، ومعنى أنّه عزّ وجلّ اتّخذهم أعضاداً لخلقه: أنّ الشّيء لا يتقوّم إلا بمادّته وصورته؛ لتوقّف وجوده على العلّة المادّية والعلّة الصوريّة، ولمّا خلق اللهُ سيّدنا محمّداً سراجاً منيراً أشرق نوره حتى ملأ العمق الأكبر، فخلق اللهُ موادّ الأشياء، غيبها وشهادتها، مادّيها وغير مادّيها، وجواهرها وأعراضها، من نور محمّد ﷺ، ولمّا خلق اللهُ سيّدنا عليّاً عليه السلام قمراً منيراً أشرق نوره حتى ملأ العمق الأكبر فخلق سبحانه صور الأشياء غيبها وشهادتها مادّيها وغير مادّيها، وجوهرها وأعراضها، من نور أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، فالمادّة هي الأب، والصّورة هي الأمّ، وإليه أشار النّبي ﷺ: ﴿ **أنا وعليّ أبوا هذه الأمّة** ﴾ وقد وضّح الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليهما السلام فحوى الحديث فقال عليه السلام: ﴿ **إنّ الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته، فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمّه، أبوه النّور وأمّه الرّحمة** ﴾. ولا شكّ أنّ الصّبغ هو الصّورة وهي الأمّ؛ فافهم.

فالمادّة والصّورة - اللّتان هما العلتان - لا يتقوّم الشّيء إلا بهما، هما ركنا الشّيء وعضده فقد اتّخذهما أعضاداً لخلقه.

وقوله عليه السلام: ﴿ **أشهاد** ﴾: أي أنّ الله سبحانه وتعالى جعلهم شهداءَ على خلقه، يعني يشهدون أعمالهم، وأحوالهم وأقوالهم وجميع حركاتهم

وسكناتهم، لا يغيب عنهم شيء من أحوال الخلق ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ... ﴿١٠٥﴾ ﴾[1].

ففي "الكافي" بإسناده إلى يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ... ﴿١٠٥﴾ ﴾ قال عليه السلام: ﴿ **هم الأئمّة** ﴾.

وفي "عيون الأخبار" أنّ الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليهما السلام سأله بعض من حضر من الفقهاء وأهل الكلام من الفرق المختلفة في مجلس المأمون: قال: يا ابن رسول الله بأيّ شيء تصحّ الإمامة لمدّعيها؟. قال عليه السلام: ﴿ **بالنّص والدّليل** ﴾. قال: فدلالة الإمام فيما هي؟. قال عليه السلام: ﴿ **في العلم وأستجابة الدّعوة** ﴾. قال: فما وجه إخباركم بما يكون؟. قال عليه السلام: ﴿ **ذلك بعهد معهود إلينا من رسول الله** ﴾. قال: فما وجه إخباركم بما في قلوب النّاس؟. قال عليه السلام له: ﴿ **أمَا بلَغَك قول رسول الله: أتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله** ﴾؟ قال: بلى. قال عليه السلام: ﴿ **فما من مؤمن إلا وله فراسة، لينظر بنور الله على قدر إيمانه ومبلغ استبصاره وعلمه، وقد جمع الله الأئمّة منّا ما فرّقه في جميع المؤمنين، وقال عزّ وجلّ في محكم آياته:** ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾، **فأوّل المتوسّمين رسول الله، ثمّ أمير المؤمنين من بعده، ثمّ الحسن والحسين**

(١) سورة التوبة.

والأئمّة من وُلد الحسينعليهم السلام **إلى يوم القيامة** ﴾. قال: فنظر المأمون، فقال له: يا أبا الحسن زدنا ممّا جعل الله لكم أهل البيت!. فقال الإمام الرّضا عليه السلام: ﴿ **إنّ الله تبارك وتعالى قد أيّدنا بروح منه مقدّسة مطهّرة ليست بملك لم تكن مع أحد ممّن مضى إلا مع رسول الله وهي مع الأئمّة منّا تسدّدهم وتوفّقهم وهي عامود من نور بيننا وبين الله عزّ وجلّ** ﴾. انتهى الخبر.

فقد أشار الحديث الشّريف إلى أنّ الرّوح المقدّسة هي نور بينهم وبين الله تعالى؛ أي: قوّة إلهيّة نورانيّة لم يعطها كاملةً لأحدٍ من الأنبياءِ والمرسَلين سوى لرسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وعترته الطّاهرة عليهم السلام، وبهذا النّور يشهدون جميع أعمال العباد، ويُسمّى هذا العمود ملكاً في بعض الأخبار، وفي بعضها الآخر مفاده أنّ الله يعطي وليّه عموداً من نور يرى فيه أعمال الخلايق كما يرى أحدكم الشّخص في المرآة. ولا تعارض بين هذه الأخبار إذا حملنا الملك على المخلوق ذي الأبعاد الثّلاثة، وهو خادم عند رسول الله وآله الأطهار عليهم السلام يسدّدون به شيعتهم، وروح القدس الّذي ليس بملك ـ كما أفاد الحديث الشّريف المتقدّم ـ هو قوّة روحيّة تختلف بماهيّتها عن الملك.

أئمة الهدى (سلام الله عليهم) يرون أعمال العباد بمقام شهادتهم الإلهية:

إنّ معنى أن يكونَ أهلُ البيت (سلام الله عليهم) شهداءَ على الخلق يعني أنّ لهم الشّهادة، فلا يخفى عليهم شيء من أعمال الخلايق، فهم

يشاهدونهم، وذلك كلّه بواسطة روح القدس المطهّرة وهي ليست ملكاً ــ حسبما أفاد الحديث الشّريف المتقدّم ــ، فالمدد الإلهيّ هو الّذي يسدّدهم ويحدّثهم، وما جاء في بعض الأخبار الضعيفة من أنّ الإمام عليه السلام " إذا غاب عنه الملك المحدِّث، تصيبه الغفلة، ولا يعلم شيئاً " فمحمولٌ على غير ظاهره؛ فالمراد به هو ما قلنا آنفاً بحيث لا يفارق المددُ الإلهي النّبيَّ والأئمّة عليهم السلام؛ ذلك لأنَّ ماهيتهما هي من عالم الملكوت والجبروت، والملكوت هو باطن كلّ شيء أي باطن الكلّ ومحيط بالكلّ ومتصرّف بالكلّ بنحو الكلّية التّامة، فهو ـ أي الملكوت ــ فوق عوالم الملك حتى الملائكة، من هنا ورد أنّ روح القدس خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل.

فظهر من جميع ما ذكر أنهم يشهدون جميع ما في العالم بذلك النّور، وهو الرّوح العظيم من الله تعالى بحيث لا يشذّ عنهم شاذّ.

وقوله عليه السلام: ﴿**ومناة**﴾: وهي مصدر؛ منه" المنا" مفرد أمناء وأمْنٍ ومُنيّ: كيلٌ أو ميزان، وتأتي بمعنى: القصد وقدَرُ الله؛ ومناة كانت اسماً لصنمٍ في جوف الكعبة، فإنّ المشركين كانوا يذبحون عندها القرابين؛ وكأنّها سمّيت مناة لأنّ دماء المناسك كانت تمنى عندها، أي: تراق. ومنه: منى. وقرأ ابن كثير: مناءة بالمدّ والهمزة. وهي مفعلة من النوء، كأنّهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبرّكا بها؛ وحكى بعضهم أن: "مناة" جمع ماني، كرماة ورامي، ودعاة وداعي، وهو من مناه الله يمينه، كرمى يرمي

أي قدّره واختبره وابتلاه، أو من مناه يمنوه كدعا يدعو أي ابتلاه واختبره، أو أن تكون مناة، جمع مُنّة بالضم وهي القوّة، وهو الأصحّ؛ ومعنى المقدّر أنهم محالّ القدر والتقدير ووضع حدود الأشياء ومقاديرها في الكمّ والكيف والأين والمتى والوضع والرّتبة والمكان والأجل والإذن والكتاب والنّسب والإضافات، وذلك في الأسباب والمسبّبات قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[1]. وفي تفسير (نور الثّقلين) عن الاحتجاج عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل: " **.. وقال لصاحبكم أمير المؤمنين عليه السلام:﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾، وقال الله عزّ وجلّ:﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾، وعلم هذا الكتاب عنده**".

ويؤيده قوله عليه السلام في نفس الدعاء: ﴿**وأذوادٌ وحفظةٌ وروّادٌ**﴾ إذ الأذواد جمع ذائد كأصحاب وصاحب وهو الحامي والذاب عن الحمى وعما ينبغي أنْ يحامي عنه، والحفظة جمع حافظ، والروّاد جمع رائد، وهو الخبير المطلع بمواضع الكلام والمواقع المناسبة لرعي الأنعام المأمونة من الذئاب والسباع.

---

(١) سورة الأنعام.

وفي نصوص متضافرة أنّ الكتاب المبين هو الإمام الأعظم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

فَقَدْر وتقدير الأمور وميزاتها عندهم عليهم السلام؛ بل هم الميزان والقدر، بهم تقدّر الأشياء وتوزن وتحدَّد.

ولأجل كونهم عليهم السلام الميزان والقدر، لذا هم يمتحنون الخلق فيستنطقون الطّبايع بما أنطوت، والسّرائر بما أضمرت، والحقائق بما أسرّت، وهذا مفاد قوله عليه السلام في الزّيارة نفسها: «**وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم**»؛ حيث إنّ أمور الخلق متعلّق بهم عليهم السلام، كما أنهم الهادون لمن أراد الهداية، والمضلّون لمن لم يردها، قال الله تعالى: ﴿..قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾[1] ﴿..فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾[2] ﴿..وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ... ﴿٩٣﴾﴾[3] ﴿..فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ... ﴿٣٧﴾﴾[4] فبما أنّه سبحانه وتعالى يهدي من يشاء الهداية ويضلّ من يشاء الضلال كذا الإمام عليه السلام بإذن الله تعالى ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ... ﴿٣٠﴾﴾[5] فلأجل ذلك تبيّن معنى

---

(١) سورة الرعد.

(٢) سورة إبراهيم عليه السلام.

(٣) سورة النحل.

(٤) سورة النحل.

(٥) سورة الإنسان.

ما ورد من أنهم المبتلون حيث امتحنهم الله سبحانه فوجدهم لما امتحنهم وإن كان عزّ وجلّ يعرف صبرهم وشكرهم لكنّ ابتلاءَه لهم لتظهر حقائقهم للملأ، فكان ابتلاؤهم شكراً لله تعالى وإظهاراً لمننه ونعمه، كما أنهم المُبتلى بهم بمعنى أنهم جُعِلوا محنةً وسبباً لامتحان الخلق من الأنبياء والملائكة والمؤمنين والنّاس أجمعين، بل وجميع الموجودات من النّباتات والجمادات والمياه والأشجار وساير أنواع الخلق؛ ذلك كلّه بواسطة عرض ولايتهمعليهم السلام على جميع الخلق بكافة أصنافهم، فجميع الخلق مبتلون بهم؛ ويشهد لما قلنا إنّ ولايتهم فُرِضَت على الأنبياء فمن قبِلَها صار من المرسلين، ومن تأمّل فيها ـ لا على نحو الإنكار، بل لعدم استيعابه لحقيقتها وماهيتها ـ عاقبه الله تعالى حتى يرجع إلى الإقرار بها، وقد يُستغرب عدم قبول بعض الأنبياء والملائكة لولاية آل البيتعليهم السلام إذ كيف يمكن تصوّر الخلاف في حقّ الملائكة والأنبياء؟. لكنّ ذلك مندفع بما حاصله: من أنّ الإبتلاء هو نوع اختبار بالتكليف الشّاق كأنْ يؤمر الشّخص بما لا يعرف حقيقته بعقله أو ينبّه عليه، كما قد يعرض ذلك لكثير من المتكلّفين المتفلسفين بحيث يُظهر من الوجوه والاحتمالات ممّا لا ينبغي الإصغاء إليه، فتأمّل بعض الأنبياء كأيّوب ويونس – لو فرضنا صحّة تلك النّقولات عنهم – ربّما مرجعه إلى التأمّل في حقيقة ولايتهمعليهم السلام بحيث لم يدرك عقلهم الوصول إليها، فكان الأولى بهم أن يسلّموا لأمر الله تعالى؛ رضاً بقضائه،

لكنّهم وقعوا في مخالفة الأمر الإرشادي، فحسبوا هذا التّرك معصيةً من باب ما قيل من: " إنّ حسنات الأبرار سيّئات عند المقرَّبين ".

إنّ بعض الأنبياء والملائكة لم يتحمّلوا بعض الحقائق والأسرار المتعلّقة بأئمّة آل البيت عليهم السلام فوقع الامتحان الصّعب عليهم، ثمّ بعد ذلك أقرّوا، فقد ورد في (بصائر الدّرجات) بإسناده عن سُدَير الصّيرفي عن مولانا الإمام إبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿ **إنّ أمركم هذا عُرِضَ على الملائكة فلم يقرّ به إلا المقرّبون، وعُرِض على الأنبياء فلم يقرّ به إلا المرسلون، وعُرِضَ على المؤمنين فلم يقرّ به إلا الممتحنون** ﴾.

وبإسناده إلى أبي سعيد الخدْري قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسمعته يقول: ﴿ **يا عليّ ما بعث الله نبيّاً إلا وقد دعاه إلى ولايتك طائعاً أو كارهاً** ﴾.

ملاحظة هامة: المراد من كون بعض الأنبياء كارهين لقبول الولاية هو عدم تحمّلهم لحقيقة الولاية العلوية، وإلا فإنّ الرفض المطلق للولاية يستلزم عدم أتصافهم بالنبوّة، لما ورد من أنّ نبوّتهم مشروطة بأعتقادهم بنبوّة رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله، وولاية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فتأمّل.

وفيه بإسناده إلى حبّة العرْني قال: قال أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ﴿ **إنّ الله عرض ولايتي على أهل السّماوات وعلى أهل**

الأرض أقرّ بها من أقرّ وأنكرها من أنكر، أنكرها يونس فحبسه الله في بطن الحوت حتى أقرّ بها ﴾.

وبإسناده عن جابر عن مولانا أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ قال عليه السلام: ﴿**عهد الله في محمّد والأئمّة من بعده فترك، ولم يكن له عزم فيهم أنهم هكذا ﴾.**

وإنّما يُسمّى أولو العزم بـ(أولي العزم)؛ لأنّه عهد إليهم في النبيّ محمّد والأوصياء من بعده لا سيَّما الإمام المهديّ عليه السلام وسيرته الشريفة عند ظهوره المبارك، فأجمع عزمهم على أنّ ذلك كذلك والإقرار به.

درجات الأنبياء في ولايتهم لأهل البيت عليهم السلام:

فعلِمَ ممّا ذُكِرَ أنّ الامتحان للأنبياء عليهم السلام والملائكة إنّما هو بهم عليهم السلام؛ أي: بعرض ولاية أهل البيت عليهم السلام على جميع الأنبياء من دون استثناء، فمن قبِلَها من الأنبياء ـ بالقبول التام ـ صار من المرسلين، ومن قبلها بالقبول التام من الملائكة صار من المقرّبين، وكذلك من قبلها من المؤمنين صار من الممتحنين، ومن ساير الموجودات كذلك، فصارت الآثار المرغوبة والحسنة مترتّبة عليها، فالأنبياء والملائكة كُلِّفوا بذلك وامتُحِنوا بذلك فافترقوا إلى قسمين: مسلّمين لأمرهم بشكل مطلق، وغير مسلّمين بشكل مطلَق؛ وهو ما يُطلق عليه بـ" **ترك الأولى** "، والله العظيم سبحانه يؤاخذهم عليه لقربهم

منه، لذا ورد في الحديث أنّ في الصّراط عقباتٍ كؤودة لا يقطعها بسهولة إلا رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وتلك العقبات يعثر فيها الخلق، والعثرات مختلفة الدرجات:

منها: عثرات عظيمة ومهلكة لا تقبل التّلافي؛ كما في كثير من غير المعصومين المقصّرين في الطّاعة، والمرتكبين للكبائر المؤدّية إلى الشّرك.

ومنها: عثرات مهلكة، قابلة للتلافي من قِبَل أهل الولاية المبتلين بالمعاصي غير المؤدية إلى الشرك.

ومنها: عثرات أهل العصمة من الأنبياء عليهم السلام وهي عثرات في حقّهم خاصّة من حيث التّفاوت في المراتب الكماليّة وعدم التّسليم المطلق، وهذا يستلزم قصور الأنبياء في ولاية آل البيت عليهم السلام، والقصور أو التّقصير كلٌّ بحسبه، فظهر بذلك على أنهم عليهم السلام المبتلى بهم والمبتلون، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿ ..وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ۝٣٠ ﴾[1].

عودٌ على بدء: كان الكلام في شرح قوله عليه السلام: ﴿ **ومناةٌ وأذوادٌ** ﴾، وأمّا قوله عليه السلام: ﴿ **وحفظة** ﴾: أي أنهم الحافظون لأعمال العباد وأحوالهم الشريفة.

وأمّا كونهم حافظين لأعمال العباد؛ فلأنّهم عليهم السلام الشّهداء على الخلق، **ومعنى "أنهم شهداء" هو أنهم محيطون بأعمال المشهود عليه؛ بحيث**

(١) سورة المؤمنون.

لا يغيب عنهم شيءٌ من أعماله وأفعاله، كما أنّ الشّهادة فرع الحضور والهيمنة، فلو لم يكن الشّاهد حاضراً لم يمكنه أنْ يشهد على الآخر.

ومن المعلوم أنّ شهادتهم عليهم السلام ــ في الحاضر ويوم القيامة ــ تستلزم حفظهم لتلك الأعمال الّتي يشهدون عليها، وإليه أشار تعالى بقوله: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٩﴾[1] وفي "نهج البلاغة" قال عليه السلام: ﴿ **وهذا القرآن إنّما هو خطّ مسطور بين الدفتين، لا ينطق بلسان، ولا بدّ له من ترجمان، وإنما ينطق عنه الرّجال** ﴾؛ فيُعْلَم من هذا الخبر وأمثاله أنّ النّاطقين بالقرآن هم الرّجال وهم الأئمّة عليهم السلام، وأحاديث عرض الأعمال عليهم، وأحاديث أنهم الشّهداء على الخلق دالة على ما قلنا، إذ لا يشهدون على ما لا يحفظونه؛ هذا مضافاً إلى أنّ معنى كونهم حفظةً أيضاً؛ أي أنهم مناة مقدَّرون ليكونوا محالّ قدرِ الله تعالى ومظاهره، يبعثون بأمر الله ملائكةً يحفظون كلّ نسمة، فلا يأتيه حجر ولا صادم ولا يقع من شاهق إلا وحفظته الملائكة من كلّ ما يرد عليه من مكروه حتى يقدّر الله سبحانه ذلك فيردّ قدره على قلب الوليّ من آل محمّد فيأمر الملائكة الحفظة لأمر الله أن يكفّوا عن الحفظ والدّفاع، فيكفّون، فيصيبه ما قدّر له وهو تأويل قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ

---

(١) سورة الجاثية.

يَدَيْـهِ وَمِـنْ خَلْفِـهِۦ يَحْفَظُونَـهُۥ مِـنْ أَمْـرِ ٱللَّهِۗ... ﴿١١﴾ ﴾[1]، وتأويـل قولـه تعـالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْـسٍ لَّمَّـا عَلَيْهَـا حَـافِظٌ ﴿٤﴾ ﴾[2]، فملائكـة تحفـظ عنـهم أعمال العباد وتعرضها عليهم، وملائكته تحفظ عنهم مقدّرات الأسباب حتى يظهر وقت الإصابة ويحضر فيجري كما قدّر لهم، وملائكة تحفظ عنهم أعمال العباد وتكتبها؛ فيُعلَم من هذا بأنّ الأعمال في حيطة الرّسول والوليّ صلّى الله عليهما وآلهما ثمّ منهما ينسخ في الذّكر الحكيم.

والحاصل: إنهم عليهم السلام الحافظون لحقيقة أعمال العباد، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، وهي في حيطتهم للأشهاد عليهم، ولهم الإشهاد أيضاً في الآخرة، فلا يتخلّف عنهم شيءٌ أبداً، إذ كيف يتخلّف وهم أوعية مشيئة الله، وتقدير أموره عندهم عليهم السلام؛ حسبما ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام المطلقة كما في " كامل الزّيارات" حيث قال: ﴿ **إرادة الرّب في مقادير أموره تهبط إليكم، وتصدر من بيوتكم، والصّادر عمّا فُصِّلَ به من أحكام العباد**﴾؛ فالظّاهر من الزّيارة الشريفة ثبوت هذا الشّأن لهم، وأنّ المقادير في الخلق تصدر من بيوتهم عليهم السلام باستخدامهم الملائكة العمّال بأمرهم.

فتبيّن من خلال هذا: أنّ أهل البيت عليهم السلام معدن الرّحمة الإلهيَّة الّتي هي أساس كلّ شيء في عالمي المُلْك والملكوت.

---

(١) سورة الرعد.

(٢) سورة الطارق.

وأمّا الفقرة الثّانية أعني قوله عليه السلام : ﴿**وخزّان العلم**﴾ ؛ أي أن حقائقهم عليهم السلام خزائن العلم الإلهي ، وهم مفاتيح الغيب الّتي لا يعلمها إلا هو حسبما جاء في النّصوص المفسِّرة لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩ ﴾[1] ؛ فقد جاء في تفسير العياشي ، بإسناده عن الحسين بن خلف قال : سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا ﴾ فقال عليه السلام : ﴿ **الورقة: السّقط يسقط من بطن أمّه من قبل أن يهلّ الولد**، قال : وقوله : ﴿ وَلَا حَبَّةٖ ﴾، قال عليه السلام : **يعني الولد في بطن أمّه إذا أهلّ ويسقط من قبل الولادة**، قال : قلت : وقوله : ﴿ وَلَا رَطۡبٖ ﴾، قال عليه السلام : **يعني المضغة إذا استكنّت في الرّحم قبل أن يتمّ خلقها قبل أن تنتقل**؛ قال : قلت : قوله : ﴿ وَلَا يَابِسٍ ﴾، قال عليه السلام : **الولد التامّ**، قال : قلت : ﴿ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾، قال عليه السلام : **في إمام مبين** ﴾.

ولا يخفى أنّ التعبير الوارد في الخبر ليس منحصراً في ما ذُكِرَ ؛ بل يشير إلى بيان مصاديق الموضوعات التي يحصيها الإمام عليه السلام بإذن الله تعالى وفي طول إرادته ومشيئته ، وهو تماماً كقول النّبي الكريم عيسى بن

(١) سورة الأنعام.

مريم عليها السلام: ﴿ ..وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْۚ... ۝٤٩ ﴾[1] وإلا فالورقة وما يسقط في ظلمات الأرض وما يوجد في البرّ والبحر تُحْمَلُ ـ بحسب معناها اللّغوي ـ على مفرداتها المعهودة والمشهورة، وإنْ كان حَمْلُها على ما أفاده الخبر ـ وبحسب المدلول اللّغوي ـ لا يمنع من كونها أحد مصاديق المفهوم اللغوي لتلك المفردات.

فالرّطب واليابس وما شابه ذلك ـ حسبما أفادته الآية الشّريفة ـ يشمل كلَّ شيءٍ، وهذا الكلُّ ـ المؤلّف من جزئيّات ـ يعلمه الإمام عليه السلام؛ أي: في كتاب مبين.

ولوقيل لنا: إنّ المراد بـ﴿ كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ اللّوح المحفوظ، فكيف تدَّعون أنّه الإمام عليه السلام؟.

قلنا: إضافةً إلى أنّ الخبر المستفيض أفاد أنّ الكتاب المبين هو الإمام عليه السلام فإنّ ما كان مثبتاً في اللّوح المحفوظ، يهيمن عليه الإمام عليه السلام مهيمنٌ عليه ويحيط به بقدرة الله تعالى، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿..قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ۝٤٣ ﴾[2].

وعن احتجاج الطّبرسي عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل فيه: "**قال لصاحبكم أمير المؤمنين** عليه السلام: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا

(١) سورة آل عمران.

(٢) سورة الرعد.

بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ **وقال الله عزّ وجلّ:** ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩ ﴾ **وعلم هذا الكتاب عنده** ».

وعن سدير قال: كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزّاز وداود بن كثير في مجلس الإمام أبي عبد الله عليه السلام إذ خرج علينا وهو مغضب، فلمّا أخذ مجلسه قال: « **يا عجباً لأقوامٍ يزعمون أنّا نعلم الغيب! ما يعلم الغيب إلا الله عزّ وجلّ، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت منّي فما علمت في أيّ بيوت الدّار هي؟** قال سدير: فلمّا أن قام الإمام من مجلسه وصار في منزله دخلت أنا وأبو بصير وميسر فقلنا له: جُعِلنا فداك سمعناك وأنت تقول كذا وكذا في أمر جاريتك ونحن نعلم أنك تعْلَم عِلْماً كثيراً ولا ننسبك إلى علم الغيب؟ قال عليه السلام: **يا سدير ألم تقرأ القرآن؟** قلت: بلى، قال عليه السلام: " **فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزّ وجلّ** ﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ... ۝٤٠ ﴾"؟ قال: قلت: جُعِلت فداك قد قرأته، قال عليه السلام: **فهل عرفت الرّجل وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب؟** قال: قلت: أخبرني به، قال عليه السلام: **قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر فما يكون ذلك من علم الكتاب؟** قال: قلت: جعلت فداك ما أقلّ هذا، قال عليه السلام: **يا سدير ما أكثر هذا أن ينسبه الله عزّ وجلّ إلى العلم الّذي أخبرك به، يا سدير فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزّ وجلّ أيضاً:** ﴿ ..قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا

بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ قال: قلت: قد قرأته جعلت فداك، قال عليه السلام: **فمن عنده علم الكتاب كلّه أفهم أم من عنده علم الكتاب بعضه؟** قلت: لا بل من عنده علم الكتاب كلّه، قال: فأومى بيده إلى صدره وقال عليه السلام: **علم الكتاب والله كلّه عندنا، علم الكتاب والله كلُّه عندنا** ﴾.

وفي تفسير القمّي عن ابن أُذينة عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿**الّذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين** عليه السلام ﴾، وسُئِلَ عن الّذي عنده علم من الكتاب أعلم أم الذي عنده علم الكتاب؟ فقال عليه السلام: ﴿ **ما كان علم الّذي عنده علم من الكتاب عند الّذي عنده عِلْم الكتاب إلا بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر** ﴾.

فمن عنده علم الكتاب هو نفسه الكتاب المبين، وهو نفسه الخزينة الإلهيّة الّتي ادّخر الله عزّ وجلّ فيها نفائسه من العلوم والمعارف، فالإمام عليه السلام خزانة علم الله تعالى، ففي التّوحيد والمعاني والمجالس عن الإمام الصّادق عليه السلام لمّا صعد موسى عليه السلام إلى الطّور فنادى ربّه قال: ﴿ **يا ربِّ أرني خزائنك قال يا موسى إنّما خزانتي إذا أردت شيئاً أن أقول له كن فيكون** ﴾. فهذا وغيره يدلّ على أنهم مفاتح الخزائن؛ بل هم محالّ مشيئة الله تعالى، وقد ورد عنهم عليهم السلام: ﴿ **قلوبنا أوعية مشيئة الله** ﴾ أي أنهم مفاتح تلك المشيئة الّتي من خلالها يمكن التصرّف في الأشياء؛ لا أنهم عين

المشيئة أو أنهم عليهم السلام مُختارون فيها استقلالاً من دون إذنه تعالى، كيف وقد قالوا: ﴿ **وما نشاء إلا أن يشاء الله** ﴾، فهم مظاهر الرّضا والسّخط الإلهيّين.

وبناءً عليه: فحيث إنّ علمه تعالى هو عبارة عن انكشاف الأشياء لديه انكشافاً تامّاً حضوريّاً، فكذا علمهم عليهم السلام فإنّه حضوري لأجل كونهم عند الله تعالى لا خفاء لهم في شيء، وليس كسبيّاً لقول مولانا الإمام الرّضا عليه السلام في أوصاف الإمام عليه السلام: ﴿ **كلّ ذلك بلا طلب ولا اكتساب** ﴾، وقد ورد في حديث المفضل بن عمر رحمه الله عن مولانا الإمام الصّادق عليه السلام عند ذكر بعض ما خصّهم الله تعالى به قال المفضل: هل بذلك شاهد من كتاب الله تعالى؟ قال: ﴿ **نعم يا مفضل قوله تعالى:** ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ **إلى قوله عزّ وجلّ** ﴿ ..وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ **ويحك يا مفضل أتعلمون أنّ ما في السّماوات هم الملائكة، ومن في الأرض هم الجنّ والبشر وكلّ ذي حركة؟ فنحن الّذين كنّا عنده ولا كون قبلنا ولا حدوث سماء ولا أرض ولا ملك ولا نبيّ ولا رسول** ﴾، الحديث.

هذا مضافاً إلى الأحاديث ـ ومنها الزّيارة الجّامعة ـ الّتي دلّت على أنّ الله تعالى خلقهم أنواراً قبل خلق كلّ شيء، فحمّلهم علمه ودينه، وهل لمن

حمل علم الله ودينه أنْ يجهل أو يصيبه ما يصيب النّاس من الخطأ أو الخطل في الرّأي؟! أعوذ بالله أن ينسب إليهم شيئاً من هذا إلا من كان غافلاً عن معرفتهم وجاهلاً بحقائق حكمة الله عزّ وجلّ، أو كان مستكبراً على الحقّ، مغروراً ينظر في عطفيه معجباً بنفسه، ذاهلاً عن ربّه.

والحاصل: إنّ العلم الّذي أعطاه الله تعالى عزّ اسمه للرّسول محمّد وآله الطّاهرين عليهم السلام هو الحضوري المطلق قسيم العلم الكسبي؛ وذلك لقوله سبحانه وتعالى: ﴿..وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾[1] ولغيرها من آي الذّكر الحكيم والنّصوص المُعتَبَرة والّتي منها ما ورد في المعاني عن الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليهما السلام قال: « **لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿..وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ قام أبو بكر وعمر من مجلسيهما فقالا: يا رسول الله هو التّوراة؟ قال صلى الله عليه وآله: لا، قالا: فهو الإنجيل؟ قال صلى الله عليه وآله: لا، قالا: فهو القرآن؟ قال: لا، قال: فأقبل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هو هذا إنّه الإمام الّذي أحصى الله تبارك وتعالى فيه علم كلّ شيء** ».

وفي بصائر الدّرجات للصفار بإسناده عن سورة بن كليب قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: « **والله إنّا لخزّان الله في سمائه وأرضه لا على ذهب ولا على فضّة إلا على علمه** ».

---

(١) سورة يس.

وفي خبر آخر بإسناده أيضاً عن مولانا أبي جعفر عليه السلام مثله بزيادة قوله: ﴿**وإنَّ منّا لحَمَلَةَ العرش يوم القيامة**﴾.

وبإسناده أيضاً عن سدير قال: قلت: جُعلت فداك ما أنتم؟ قال عليه السلام: ﴿**نحن خزّان الله على علم الله، نحن تراجمة وحي الله، نحن الحجّة البالغة على من دون السّماء وفوق الأرض**﴾.

وسعة هذا العِلْم إنّما هي لسعة قابليّتهم المقدّسة؛ إذ لا يمكن قياسها على غيرهم من الأنبياء والأوصياء، باعتبار ما خصَّهم المولى عزَّ ذكره من الألطاف والكرامات بسبب عشقهم له وتعلّقهم به، فبحسب سعتها أفاض عليها من ماء المعارف الإلهيَّة بمقتضى قوله سبحانه: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا... ﴿١٧﴾ ﴾[1] فالعلوم ماء الحياة الرّوحيّة، سالت على قلوبهم الشّريفة لسعة إحاطتها، وسيأتي إنْ شاء الله تعالى بيان كيفيّة هذا العِلْم في مستقبل البحث.

صفوة القول: إنّ أئمّتنا الطاهرين عليهم السلام هم أصحاب العقول الكاملة الّتي بها تحصل جميع الكمالات؛ بل جميع القربات، والزّلفى لديه تعالى؛ ففي " أصول الكافي" بإسناده عن أحمد بن محمّد بن خالد البرقي عن بعض أصحابه رفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿**ما قسّم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل، فنوم العاقل أفضل من سهر الجّاهل، وإقامة العاقل**

(١) سورة الرعد.

أفضل من شخوص الجّاهل، ولا بعث الله نبيّاً ولا رسولاً حتى يستكمل العقل، ويكون عقله أفضل من عقول جميع المجتهدين، وما أدّى العبد فرائض الله حتى عقل عنه، ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل، والعقلاء هم أولو الألباب الّذين قال الله تعالى: ﴿..إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩﴾.

فعُلِمَ مِنْ هذا أهميّة العقل، وأنّ به جميع الكمالات والقربات، وهم عليهم السلام أولو الحجى؛ أي: أصحاب العقول الكاملة، فلا محالة لهم الكمالات بأجمعها، كما أنّ لهم الفطنة الكاملة؛ وهي أحد معاني "الحجى".

فالحقيقة المحمّدية (على صاحبها آلاف السلام والتحية) ـ التي هي العقل والنّور الأوّل ـ قائمة أوّلاً به صلى الله عليه وآله ثمّ بهم على الترتيب الوجودي الخارجي.

فجميع المظاهر تكون في الحقيقة، مظاهر النّور المحمّدي العلوي الفاطمي، فتلك الحقيقة الواحدة ـ بما لها من الآثار ـ واحدة ذاتاً ومظهراً؛ إلا أنّ مظهرَها يتبدّل على التّرتيب الوجودي لهم عليهم السلام، ففي زمانٍ واحدٍ لا تكون تلك الحقيقة إلا قائمة بأحد المظاهر، ففي زمان النّبيّ محمّدٍ صلى الله عليه وآله تكون قائمةً به صلى الله عليه وآله فهو مظهر للعقل الكلّ والولاية ثمّ هي نفسها كانت في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ثمّ انتقلت ظاهراً إلى الإمام الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام وكان الإمام الحسين عليه السلام صامتاً، إلى أن

انتقلت تلك الحقيقة إليه، وهكذا من إمام إلى إمام إلى أن انتقلت إلى الإمام الحجّة القائم المهديّ المنتظرعجل الله فرجه، وإليه يشير قوله عليه السلام: ﴿ **لا يكون في زمان واحد إمامان إلا وأحدهما صامت** ﴾.

وإلى هذا الاشتعال الحقيقي النّوري يشير قول الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ﴿ **أنا من محمّد كالضّوء من الضّوء** ﴾.

أمَّا ما قد يُقال من أفضليّة النّبي صلى الله عليه وآله على الوصيّ عليه السلام، ثمّ هو على ساير الأوصياء عليهم السلام ـ والصدّيقة الكبرى مولاتنا الطّاهرة فاطمة الزّهراء عليها السلام أولهم حسبما جاء في الأخبار ـ فالوجه الإجمالي فيه هو أنّ الأفضليّة للمتقدِّم، فإنّ التّقدُّم أحد وجوه الأشرفيّة، نعم ورد أنّ الإمام الحُجَّة القائم ـ روحي فداه ـ أفضل التسعة، ولعلّ الوجه فيه كونه القائم بالأمر في آخر الزمان، فبحقيقة القيام صار أفضل، والله العالِم.

فكلّ واحد من أئمة أهل البيت عليهم السلام مختصّ بشأن خاصّ من شؤون الولاية المطلقة كما يُستفاد من الأحاديث والأدعية، فكلّ واحد منهم وإنْ كان له خصوصيّة تخصّه عليه السلام في الظّهور إلا أنّه مع ذلك جميع شؤون الولاية ثابتة لكلّ واحد منهم، وإليه يشير قوله عليه السلام: ﴿ **أوّلنا محمّد وأوسطنا محمّد وآخرنا محمّد وكلّنا محمّد** ﴾، صلّى الله عليهم أجمعين.

وبناءً عليه: فإنّ عقولهم أكمل العقول وأشرفها؛ كما يُستفاد من حديث استنطاق العقل وأمثاله، فدعوى أنهم يُخطئون أو يشتبهون أو يسهون أو

يكتسبون المعارف والعلوم عن طريق الوراثة وما شابهها من الدّعاوى الفارغة مردودة جملةً وتفصيلاً، وتخالف النصوص القطعيّة من الكتاب الكريم والسّنّة المطهَّرة وحكم العقل.

وأحبّ أن أختم هذه الجهة بما رواه الكليني بإسناده عن أبي بصير قال: قلت للإمام أبي الحسن عليه السلام: جُعِلتُ فداك بمَ يُعرف الإمام عليه السلام؟ قال عليه السلام: "**بخصال: أمّا أوّلها فإنّه بشيء قد تقدّم من أبيه فيه بإشارة إليه لتكون عليهم حجّة ويسأل فيجيب وإن سُكِتَ عنه ابتدأ ويخبر بما في غدٍ ويكلّم النّاس بكلّ لسان، ثمّ قال لي: يا أبا محمّد أعطيك علامة قبل أن تقوم فلم البث أن دخل علينا رجل من أهل خراسان، فكلّمه الخراساني بالعربيّة فأجابه أبو الحسن عليه السلام بالفارسيّة فقال له الخراساني: والله جُعِلت فداك ما منعني أن أكلّمك بالخراسانيّة غير أنّي ظننت أنّك لا تحسنها، فقال: سبحان الله إذا كنت لا أحسن أجيبك فما فضلي عليك؟، ثمّ قال لي: يا أبا محمّد إنّ الإمام لا يخفى عليه كلام أحد من النّاس ولا طير ولا بهيمة ولا شيء فيه الرّوح، فمَن لم تكن هذه الخصال فيه فليس هو بإمام**".

وفيه بإسناده عن عبد الرّحمن بن كُثَيْر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿ **نحن ولاة أمر الله، وخزنة علم الله وعيبة وحي الله** ﴾.

وبإسناده أيضاً إلى أبي خالد الكابلي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ... ٨﴾[1]، فقال عليه السلام: "**يا أبا خالد: النور والله نور الأئمّة من آل محمّد صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة، وهم والله نور الله الّذي أنزل، وهم والله نور الله في السّماوات وفي الأرض، والله يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشّمس المضيئة بالنّهار، وهم والله ينوّرون قلوب المؤمنين، ويحجب الله عزّ وجلّ نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم، والله يا أبا خالد لا يحبّنا عبد ويتولانا حتى يطهّر الله قلبه ولا يطهّر الله قلب عبد حتى يُسلّم لنا ويكون سلماً لنا، فإنْ كان سِلماً لنا سلّمه الله من شديد الحساب وآمنه من فزع يوم القيامة الأكبر**".

وبإسناده عن علي بن إبراهيم عن المولى الإمام أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ

---

(١) سورة التغابن.

مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[1] قال عليه السلام: «**النّور في هذا الموضع عليٌّ أمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة عليهم السلام**».

وعن أبي الجارود عن الإمام أبي جعفر عليه السلام مفسّراً قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ... ﴿٢٨﴾ ﴾[2] «**يعني إماماً تأتمّون به**».

وفيه بإسناده إلى صالح بن سهيل الهمداني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ ۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾ **فاطمة** عليها السلام ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ﴾ **الحسن** عليه السلام ﴿ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ ﴾ **الحسين** عليه السلام ﴿ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾ **فاطمة** عليها السلام **كوكب درّي بين نساء أهل الدّنيا** ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ **إبراهيم** عليه السلام ﴿ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ **لا يهوديّة ولا نصرانيّة** ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ ﴾ **يكاد العلم يتفجّر منها** ﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ ﴾ **إمام منها بعد إمام** ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴾ **يهدي الله للأئمّة من يشاء** ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ ﴾» قلت: ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ ﴾ قال عليه السلام: «**الأول وصاحبه** ﴿ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ ﴾ **الثّالث** ﴿ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ... ظُلُمَٰتٌ ﴾ **الثّاني** ﴿ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ **معاوية لعنه الله وفتن بني أميّة** ﴿ إِذَآ

---

(١) سورة الأعراف.

(٢) سورة الحديد.

﴿أَخۡرَجَ يَدَهُۥ﴾ **المؤمن في ظلمة فتنتهم** ﴿لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا﴾ **إماماً من ولد فاطمة**عليها السلام ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠﴾ **إمام يوم القيامة**﴾.

وكونهم عليهم السلام نور الله في السّماوات والأرض يتعارض مع دعوى عدم معرفتهم بالموضوعات وعدم حضوريّة علومهم عليهم السلام، فمن نسب إليهم عدم حضوريّة معارفهم فقد افترى على الله وعليهم كذباً، وهو عين الكفر بما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وآله:

﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ... ۝١٠٥﴾[1].

﴿..وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ۝١٣﴾[2].

﴿..ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝١٠٣﴾[3].

وبما تقدم يتضح: أن الله تعالى حَبَا عقولهم الشريفة بالقدرات الإعجازية الخارقة لاستشراف عوالم الغيب، من دون أن يكون علمهم الموروث عن جدهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله علّةً تامة في إخباراتهم الغيبية وإنما كان جزءَ علّةٍ فيها.

---

(١) سورة النحل.

(٢) سورة العنكبوت.

(٣) سورة المائدة.

النوع الثاني: الإلهامات الغيبيَّة لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام ؛ كالقذف في القلوب والوقر في الأسماع، كما في روايات متعددة تشير إلى أن الأئمة الطاهرين عليهم السلام محدَّثون من قبل الملائكة ومن قبل الله تعالى مباشرةً.

والإلهام نوعُ إخبارٍ عن الله تعالى، والإخبار عن اللَّه تعالى قد يكون بالوحي المباشري، وقد يكون بواسطة جبرائيل عليه السلام وقد يكون بغيره من الملائكة الكروبيين، وقد يكون بطريق الإلهام القلبي وبطريق المنام؛ قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: ﴿ **الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة** ﴾؛ وأكثر أنبياء بني إسرائيل كانوا بهذا النحو من الوحي، وكانوا كثيرين منتشرين في الأرض، وكانوا بمنزلة العلماء الربانيين في كل عصر، لكنهم كانوا منقطعين إلى اللَّه تعالى، فارغين من الدنيا، رافضين لها، وكانوا يخبرون عن اللَّه تعالى بما يلقى إليهم في قلوبهم إلهاما ونكتاً في القلب ـ أي: إلقاءً أو قذفاً فيه ـ إمَّا مباشرة وإمَّا بتوسط بعض الملائكة.

والطريق للحصول على الإلهام هو تصفية الباطن؛ بتخليته عن ظلمات الطبيعة وكدورات المعاصي، وكلَّما تصفى القلب من الحجب الظلمانية والحجب الطبيعية، فإن الله تعالى يفيض الأنوار العلمية على قلب المرتاض بالرياضات الشرعية والمجاهدات النفسية بمقتضى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ

جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[1] ؛ ذلك لأن القلب المليء بالظلمات تُحْجَب عنه المعارف والتجليات، لأن القلب بمنزلة المرآة المجلوة من الصدأ تنتقش فيها الصور كما هي، وكلما كانت المرآة أكثر صفاءاً كلما تجلت فيها الصور بحقائقها وكمالها؛ وهنا كلام رشيق للملا فيض الكاشاني رحمه الله في كتابه "الوافي" باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدَّث، لا بأس بعرضه تتميماً للفائدة فقال: « **جملة القول في تحقيق حصول العلم في قلوب المستعدين له أن حقائق الأشياء كلها مسطورة في اللوح المحفوظ وإنما تفيض على قلوبنا من ذلك العالم بواسطة القلم العقلي الكاتب في ألواح نفوسنا كما قال عز وجل:** ﴿ ..أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ...﴿٢٢﴾﴾ **وقال سبحانه:** ﴿ ..عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ **وقلب الإنسان صالح لأن تنتقش فيه العلوم كلها وهو كمرآة مستعدة لأن تتجلى فيه حقيقة الحق في الأمور كلها من اللوح المحفوظ وإنما خلي عنه من العلوم إما لنقصان في ذاته كقلب الصبي وهو يشبه نقصان صورة المرآة كجوهر الحديد قبل أن يصقل، أو لكثرة المعاصي والخبث الذي تراكم عليه من كثرة الشهوات المانعة من صفائه وجلائه وهذا يشبه خبث المرآة وصداها، أو لعدوله عن جهة الحقيقة المطلوبة لاستيعاب همه بتهيئة أسباب المعيشة وتفصيل الأعمال البدنية المانعة من التأمل في الحضرة الربوبية والحقائق الخفية الإلهية**

(١) سورة العنكبوت.

فلا ينكشف له إلا ما هو متفكر فيه وهذا يشبه كون المرآة معدولاً بها عن جهة الصورة أو لحجاب بينه وبين المطلوب من اعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فإن ذلك يحول بينه وبين حقائق الحق ويمنع أن ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد.

وهذا يشبه الحجاب المرسل بين المرآة وبين الصورة المطلوب رؤيتها أو لجهلٍ بالجهة التي يقع فيها العثور على المطلوب، فإن طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم المطلوب إلا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى إذا ذكرها ورتبها في نفسه ترتيباً مخصوصاً، حصل له المطلوب، فإذا لم تكن عنده العلوم المناسبة لذلك، لم يحصل له المطلوب، وهذا يشبه الجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة.

فهذه هي الأسباب المانعة لإدراك الحقائق ثم إن العلوم التي ليست ضرورية إنما تحصل في القلب تارة بالاكتساب بطريق الاستدلال والتعلم ويسمى اعتباراً واستبصاراً؛ ويختص به العلماء والحكماء؛ وتارة بهجومه على القلب كأنه ألقي فيه من حيث لا يدرى سواء كان عقيب طلب وشوق أو لا وسواء كان مع الإطلاع على السبب الذي منه أستفيد ذلك العلم أو لا فإنه قد يكون بمشاهدة الملك الملقي في القلب وسماع حديثه وقد يكون بمجرد السماع من غير مشاهدة وقد يكون بنفثةٍ في الروعِ من غير سماع ينكت في القلب نكتاً أو يلهم إلهاماً.

وقد يكون ذلك الهجوم في النوم كما يكون في اليقظة، والمشاهدة تختص بالأنبياء والرسل، وخُصَّ باسم الوحي عرفاً، وغيرها قد يكون لغيرهم، وكما أن الحجاب بين المرآة والصورة يزال تارة بتعمل اليد المتصرفة وتارة بهبوب ريح تحركه، فكذلك استفادة العلوم بالقلم الإلهي للإنسان قد تكون بقوة فكرته المتصرفة في تجريد الصور عن الغواشي والإنتقال من بعضها إلى بعض، وقد تهب رياح الألطاف الإلهية فتكشف الحجب والغواشي عن عين بصيرته فيتجلى فيها بعض ما هو مثبت في اللوح الأعلى فيكون تارة عند المنام فيظهر به ما سيكون في المستقبل.

وتارة ينقشع الحجاب بلطف خفي من اللّه فيلمع في القلب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب أسرار الملكوت في اليقظة فربما يدوم وربما يكون كالبرق الخاطف ودوامه في غاية الندور، فلم يفارق الإلهام وحديث الملك الاكتسابَ في العلم ولا في محله ولا في سببه، ولكن يفارقه في طريقة زوال الحجاب وجهته ولم يفارق الوحي الإلهام والحديث في شيء من ذلك بل في شدة الوضوح والنورية ومشاهدة الملك المفيد للعلم والكل مشتركة في أنها بواسطة الملك الذي هو القلم كما قال عز وجل: ﴿ عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾ ولعل الإشارة إلى هذه المراتب الثلاث في قوله سبحانه: ﴿ ۞وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا... ﴿٥١﴾ ﴾ ». انتهى.

والإلهام عند أهل بيت العصمة والطهارةعليهم السلام في غاية الجودة والنقاوة، وفي أعلى مراتب الكشف والشهود، سوآء كان نقراً في الأسماع أو نكتاً في القلوب، وهو ما روي في الأخبار الكثيرة منها ما جاء في" الكافي" بإسناده عن محمد عن أحمد عن ابن بزيع عن عمه حمزة بن بزيع عن علي السائي عن أبي الحسن الأول موسى عليه السلام قال: ﴿ **مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه ماض وغابر وحادث فأما الماضي فمفسر وأما الغابر فمزبور وأما الحادث فقذف في القلوب ونقر في الأسماع وهو أفضل علمنا ولا نبي بعد نبينا** ﴾.

المراد بـ﴿**الغابر**﴾ هنا بمعنى الباقي بقرينة مقابلته بالماضي؛ وفي الحديث الآتي بمعنى الماضي، وقد جاء بالمعنيين: أي الماضي والباقي، أو المفسّر والمزبور، والمزبور؛ أي بالمكتوب عندنا فقذف في القلوب يعني العلم اللدني من طريق الإلهام ونقر في الإسماع أي: ضرب عليها من طريق تحديث الملك، ولما كان هذا القول منه عليه السلام يوهم ادعاءه النبوة، فإن الإخبار عن الملك عند الناس مخصوص بالأنبياء، ردَّ ذلك الوهم بقوله: ﴿**ولا نبي بعد نبينا** ﴾، وذلك لأن الفرق بين النبي والمحدث إنما هو برؤية الملك وعدم رؤيته لا السماع منه.

وورد في" الكافي" أيضاً بإسناده عن علي بن إبراهيم عن أبيه عمَّن حدثه عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام روينا عن أبي عبد

اللَّه عليه السلام أنه قال: ﴿ **إن علمنا غابر ومزبور ونكت في القلوب ونقر في الإسماع، فقال: أما الغابر فما تقدم من علمنا وأما المزبور فما يأتينا وأما النكت في القلوب فإلهام وأما النقر في الإسماع فأمر الملك** ﴾.

وعنه أيضاً بإسناده عن محمد عن أحمد بن أبي زاهر عن علي بن موسى عن صفوان بن يحيى عن الحارث بن المغيرة عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: قلت: أخبرني عن علم عالمكم، قال عليه السلام: " **وراثة من رسول اللَّه** صلى الله عليه وآله **ومن علي** عليه السلام ، قال، قلت: إنا نتحدث أنه يقذف في قلوبكم وينكت في آذانكم، قال عليه السلام: ﴿ **أو ذاك** ﴾. المراد من ﴿ **أو ذاك** ﴾ يعني قد يكون ذا وقد يكون ذاك.

والإلهام بمرتبته العليا عند السادة العظام من آل محمد سلام الله عليهم من أبرز مصاديق العلم اللدني، من هنا عبر عنه إمامنا الكاظم عليه السلام في رواية علي السائي المتقدمة بأنه أفضل علومهم باعتبار أن أحد مراتبه العليا هو القذف في القلوب من دون توسط الملك، وهو العلم اللدني؛ وأدنى مراتبه النفث في الروع بتوسط الملك.

أهل البيت (سلام الله عليهم) ينفثون في روع الشيعة المخلصين:

وكما ينفث في روعهم من قبل ملائكة الله العظام، فكذلك هم ينفثون في روع المخلصين من شيعتهم كما نفث إمامنا المعظم محمد الجواد عليه السلام في روع ثلاثين ألفاً في ساعة واحدة دفعةً واحدة لَّما أجابهم عن مسائلهم في اجتماعٍ

واحدٍ، فعلم ما في ضمير كلّ واحد منهم ثم أعطى كلّ واحد منهم الجواب على سؤاله... من هنا جاء التعبير عنهم بأنهم لا يعدون الفقيه فقيهاً حتى يكون محدَّثاً ـ بفتح الدال وتشديدها ـ ؛ ففي مرفوعة أحمد بن حماد المروزي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ﴿ **أعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنّا، فإنَّا لا نعدُّ الفقيه منهم فقيهاً حتى يكون محدَّثاً**، فقيل له: أويكون المؤمن محدّثاً؟ قال عليه السلام: **يكون مفهَّماً، والمفهم: المحدَّث** ﴾.

ومما يؤيده ما روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: ﴿ **ما من عبد أحبّنا وزاد في حبّنا وأخلص في معرفتنا وسُئل عن مسألة، إلا نفثنا في روعه جواباً لتلك المسألة** ﴾.

أي: أنّ المحبَّ لهم والمتوسل بهم عليهم السلام يمنح له العلم من خزائنهم المقدَّسة التي حباهم الله تعالى بها، ويؤيده ما ورد في" مرآة العقول والبحار" عن بريد العجلي عن إمامنا الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾[1] قال عليه السلام: ﴿ **معناه لأفدناهم علماً كثيراً يتعلَّمونه من الأئمة عليهم السلام** ﴾، وهذا بخلاف من قرع باب غيرهم ، وأراد دخول البيت من ظهره فإنه لا يحصد إلا الشبهات والشكوك والأباطيل.

---

(١) سورة الجن.

ومما يؤكد ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام ما روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: ﴿ **ما أسرّ إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً كتمه عن الناس إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في كتابه، فليكن حريصاً على طلب ذلك الفهم** ﴾.

وما أفاده أمير المؤمنين عليه السلام – على فرض صحة صدوره عنه – بقوله: ﴿**فليكن حريصاً على طلب ذلك الفهم**﴾. إشارة إلى طلب ذلك الفهم بالتوجّه إلى اللّه تعالى بحقيقة التّوجّه، والتّوجّه إلى كتابه كذلك ليحصل التّوجّه، وبالتّوجه المذكور، فهم أمير المؤمنين عليه السلام كتابه على ما ينبغي كما أشار الحقّ تعالى في قوله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾(١). وفي قوله: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾(٢). وفي قوله: ﴿ ..وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٨٢ ﴾(٣).

ومن هذا القبيل، نُسِبَ إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ﴿ **تعلّمت من رسول اللّه ألف باب ففتح لي بكلّ باب ألف باب** ﴾. ومراده بذلك هو أنّه تعلّم ظاهراً من رسول اللّه صلى الله عليه وآله معنى آية واحدة أو كلمة واحدة ففتح له من

---

(١) سورة الرحمن.

(٢) سورة العلق.

(٣) سورة البقرة.

اللَّه – بالإلهام – من تلك الآية أو تلك الكلمة ألف معنى بقوّة الفهم الَّذي حباه اللَّه به، ببركة التوجه إلى الله تعالى والإخلاص له، ولولا إدراكه لهذه الغاية ما قال: ﴿ **واللَّه لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من باء بسم اللَّه الرحمن الرحيم** ﴾.

تنبيه هام: ينبغي الالتفات إلى أن فهم القرآن الكريم مشروطٌ بفهم أخبارهم الشريفة والاعتقاد بها، وليس كلُّ من رام وجَدَ، وليس كلُّ من رمى أصابَ بسهمه، فلا بدَّ من شروط في تدبر القرآن من أهمها: الإخلاص في الانقياد لله ولرسوله صلى الله عليه وآله ولأهل البيت عليهم السلام، وأخذ علمه منهم، وتتبع آثارهم الشريفة واطلع على جملة من أسرارهم المنيفة بحيث حصل له الرسوخ في العلم والطمأنينة في المعرفة وانفتحت عينا قلبه، وهجم به العلم على حقائق الأمور، وباشر روحَ اليقين، واستلان ما استوعره المترفون، وأنس بما استوحش منه الجاهلون، وصحب الدنيا ببدن روحه معلَّقة بالمحل الأعلى، فله أن يستفيد من القرآن بعض غرائبه ويستنبط منه نبذاً من عجائبه، وليس ذلك من كرم الله تعالى بغريبٍ ولا من جوده بعجيبٍ، فليست السعادة وقفاً على قوم دون آخرين وقد عدوا عليهم السلام جماعة من أصحابهم المتصفين بهذه الصفات من أنفسهم كما قالوا: " **سلمان منا أهل البيت** عليهم السلام " فمن هذه صفته لا يبعد دخوله في سلك الملهمين العالمين بالتأويل، ويكون خارجاً حكماً وموضوعاً من زمرة

المفسرين للقرآن بالرأي والقياس كما هي حال ثلة من العلماء الشيعة ممن جعلوا جلَّ اهتمامهم هو اتباع مدرسة القياس، حيث يفسِّرون الآيات على حسب مشربهم وحسن اعتقادهم بالمخالفين، ونِعْمَ ما قال الفيض الكاشاني في المقدمة الخامسة من تفسيره " الصافي" حول شروط المفسِّر: « **لا بُدَّ من تنزيل التفسير المنهي عنه على أحد وجهين: الأول: أن يكون للمفسر في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ومدعاه ولو لم يكن ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه ويترجح ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قد فسر القرآن برأيه أي رأيه هو الذي حمله على ذلك التفسير ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه.. والثاني: أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيها من الألفاظ المبهمة والمبدلة وما فيها من الاقتصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير وفيما يتعلق بالناسخ والمنسوخ والخاص والعام والرخص والعزائم والمحكم والمتشابه إلى غير ذلك من وجوه الآيات فمن لم يحكم ظاهر التفسير ومعرفة وجوه الآيات المفتقرة إلى السماع وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من يفسر بالرأي** ».

النوع الثالث: العلم اللدني: أشرنا سابقاً إلى أن الإلهام ـ بمرتبته العليا عند السادة العظام من آل محمد سلام الله عليهم ـ من أبرز مصاديق العلم اللدني، وهو أحد مصاديق الوحي، والظاهر أنه أفضل أنواع الوحي باعتباره علماً خاصاً متعلقاً بمعرفة أسرار المبدأ والمعاد وأسرار الكون وبكلٍّ ما يتعلق بأفعال العباد، وليس خاصاً بأسرار المبدأ والمعاد فقط كما ادَّعى الملا فيض الكاشاني في كتابه الوافي تعقيباً على خبرٍ يفسِّر قوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ [1]﴾ زاعماً اختصاصه بمعرفة أسرار المبدأ والمعاد مما يخصهم أعني غير المتعلق بأفعال العباد وبالمكنون العجيب المخزون ما يجب من ذلك صونه عن غير أهله لعدم احتمال أفهام الجمهور له كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ﴿**اندمجت على مكنون علمٍ لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطّويِّ البعيدة**﴾؛ ولوكان ما قاله صحيحاً لما صح للعبد الصالح عليه السلام أن يبيّن للنبي موسى عليه السلام بواطن أفعاله التشريعية ـ كقتل الغلام وإقامة الجدار وخرق السفينة ـ التي لم يتحملها نبي صاحب شريعة؛ نعم إن أهل الظاهر لا يتحمَّلون بواطنَ الأمور، وهذا لا يعني بالضرورة أنه لا يتعلق بأفعال العباد.

والحاصل: إن العلم اللدني ليس له نظير في منظومة المعارف الإلهية بسبب ما يتصف به من إحاطة بعوالم الملك والملكوت، وهو حاكم على بقية

---

[1] سورة الدخان

العلوم، وصاحبه حاكم على ذوي المناصب التشريعية من الأنبياء والمرسلين كما هي حال العبد الصالح الخضر والنبي موسى عليهما السلام حيث كانت ولاية الخضر عليه السلام حاكمة على شريعة موسى عليه السلام حتى أمره الله باتباعه والإنقياد إليه بمقتضى ما قصه الله علينا في سورة الكهف فقال: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ والمقول له هو العبد الصالح عليه السلام المنصوص عليه من قبل الله تعالى: ﴿..ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾.

التمييز بين الإلهام والعلم اللدني

ولا بدَّ من التمييز بين الإلهام والعلم اللدني؛ وذلك لأن الإلهام أعم من العلم اللدني، فالأول يكون عبر الملك، والثاني من دون توسط الملك، وما يتميز به العبد الصالح عليه السلام يُعَدُّ دلالةً كبرى على صحة ما ندَّعيه نحن الشيعة من أنه لا يشترط في علم الغيب أن يكون صادراً من نبيٍّ أو رسول، وإلا لما اتصف به الخضر عليه السلام، مع أنه ليس نبياً ولا رسولاً، وقد كان مُقَدَّماً على موسى عليه السلام رغم كونه نبياً مرسلاً... وما هذا التقديم والتفضيل إلا لأن العلم اللدني مترشح من مقام الولاية وهو من بواطن عالم الملكوت، ومتعلق ببواطن أفعال العباد وليس بظواهرها وقشورها، وما يصدر من الوليّ أعظم مما يصدر من نبيٍّ أو رسول....

إنّ دور الولاية الّذي اختُصَّ به الخضر عليه السلام ــ بحيث صار موسى عليه السلام تابعاً له ليعلّمه ممّا عُلِّمَ رشداً ـ يلقي الضّوء على حقيقة العلم الملكوتي الّذي كان يحمله الخضر، إنّه فوق علم النبوّة التّشريعيّة، فهو الحكمة التي مَنْ أوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً، فلا يتوهّمنّ أحدٌ أنّ الرّحمة التي أوتيها الخضر عليه السلام هي نفسها الّتي عند رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ۝١٠٧ ﴾[1] وذلك لوجود فرق بين قوله: ﴿ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً ﴾ وبين كونه صلى الله عليه وآله ﴿ رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ فالخضر نال شيئاً من الرّحمة فصار معلّماً لموسى عليه السلام فكيف بمن كان هو نفسه الرّحمة؟!!، وإذا كان الخضر عليه السلام بتلك المنزلة الرّفيعة والدّرجة العظيمة حتى أفاض الحقّ عليه من الرّحمة والعلم بحيث صار مضرب المثل الإلهي، وهو دون رسول الله وأهل بيته الطاهرين (صلّى الله عليهم أجمعين) في القرب من الله تعالى فكيف بمن كان من ربّه كقاب قوسين أو أدنى، أو من كان ناظراً بعينيه إلى شجرة طوبى وسدرة المنتهى؟!!.

إنّ القلم يتكسّر على شاطئ فضائل آل محمّدٍ عليهم السلام، واللّسان يتلجلج إذا أراد أن يتفوّه بفضائلهم العظيمة، إذ كيف يدرك القاصرُ قعرَ المحيط؟!! وهل تحيط السّاقية بالبحر العظيم؟ كلا وألف كلا.

---

(١) سورة الأنبياء.

يتلخّص من قصّة النّبي موسى والخضر عليهما السلام أنّ الأوّل كان مأموراً بالظّاهر، والثّاني كان مأموراً بالباطن، وأهل الظّاهر لا يتحمّلون أهل الباطن الّذين يرون بعيون ملكوتية، لكن ليس معنى ذلك أنّ موسى عليه السلام ليس من أهل الباطن، كلا... ؛ بل لأنّه كان مكلّفاً بالظّاهر كعادة أكثر النّاس الذين يجمدون على المظاهر الماديّة ولا يغوصون إلى بواطن الأمور، من هنا كان نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله كغيره من الرّسل مأموراً بالظّاهر وكذا عترته الطّاهرة عليهم السلام إلى زمن خروج مولانا الإمام الحجّة المنتظر عجل الله فرجه حيث سيحكم بالباطن كحكم الخضر وداود عليهما السلام فلا يطلب البيّنة مثلهما تماماً.

مضافاً إلى أنّ العبد الصالح الخضر أشار عليه السلام إلى عظمة القدرة الإلهيّة الّتي أمدّته بالعطاء الّذي لا ينفد حيث سبر غور الأشياء وبواطنها، فقتل الغلام وأقام الجدار وخرق جانب السّفينة، فهذه كلّها مصاديق لموضوعات متعدّدة تترتّب عليها أحكام شرعيّة، وقد أطلعه الله عزّ وجلّ على مصيرها لكونه يستحقّ ذلك لسعة قابليّته وفوران نورانيّته؛ فهو عبدٌ من عبيد سيّد الخلق محمّد صلى الله عليه وآله، لذلك فإن ما ثبت للعبد المخلص ثبت للسّادة المعظّمين محمّد وآله الميامين بطريق أولى، لكونهم أفضل من الخضر عليه السلام باتّفاق الأمّة وضرورة الأدلّة.

العلم اللدني خاصٌ بالمعصومين الخصيصين:

لقد أخطأ من اعتقد بأن العلم اللدني ليس خاصاً بالمعصومين عليهم السلام وأنَّه يعمُّ ـ بحسب دعواه ـ كلَّ من روّض نفسه بالرياضات النفسيَّة والمجاهدات الشرعيَّة بعد تصفية الباطن ورفع الحجب عن النفس فيتمكن من الحصول على العلم اللدني والانكشاف اليقيني، وهو مما مال إليه جملةٌ من الشيعة تبعاً للمدرسة الصوفية الاشعرية كحيدر الآملي في (جامع الأسرار) وكمال الحيدري في (علم المعصوم)، وغيرهما في الوسط الشيعي ممن يعتقدون بولاية الفقيه المطلقة التي أسسها الخميني؛ ويسمونها الولاية النوعية؛ ويزعمون أنَّها ولاية لا تختص بالنبيِّ وآله فحسب بل تعمُّ مطلق من وصل إلى مقام قيادة الأُمة وتأهل لها طبقاً لمواصفات وشرائط معينة؛ ويستند بعضهم في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿ ..وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا... ﴿٢٦٩﴾ ﴾[1] كما استندوا على حديثين:

الأول: حديث قرب النوافل: « **وما يتقرب إليّ عبد من عبادي بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه، وإنه ليتقرب إليّ بالنافلة حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت إذاً سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها، إن سألني أعطيته** ».

الثاني: حديث: « **اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله** ».

---

[1] سورة البقرة.

فبقرب العبد بالنوافل يكون الباري تعالى سمعاً وبصراً ويداً له، وبقرب الفرائض يكون العبد أُذن الله وعين الله وحجّة الله، وهذان البابان للتقرب مفتوحان لكلِّ سالك على الطريق.

يرد على دليلهم بالآية الكريمة ما يلي: إن المراد من إتيان الحكمة هو معرفة الله والإمام عليه السلام ــ حسبما ورد في تفسيرها من الأخبار الشريفة ــ، وفي بعضها معرفة الله والتفقه في الدين، وموردها العبد العارف بالله وبالإمام عليه السلام، فهناك إمام ومأموم، فمعرفة المأموم للإمام عليه السلام لا تعني بالضرورة أن صاحبها نال العلمَ اللدني بكماله، وإنْ نالَ بعضَ مراتبه الضعيفة كتسديد الملك أو الإمام له في بعض الأحيان كالنفث في روعه، والنيل المذكور أعمُّ من نيل العلم اللدني، فبينهما بون شاسع، فربما ينال الفرد الحكمة ببعض مراتبها ولكنه لا يوفق للعلم اللدني بتمامه؛ باعتباره خاصاً بالأفراد المعصومين التامين بالقرب والمحبة الإلهيين، بخلاف نعمة الحكمة، فقد ينالها غير المعصوم من الأفراد المؤمنين من دون أن يكون ثمة تلازم بين نيل الحكمة ونيل العلم اللدني؛ فمورد الآية هو الحكمة التامة وليس الحكمة ببعض مراتبها، وبالتالي فلا تكون بصدد بيان العلم اللدني.

يرد على دليلهم بالحديثين ما يلي:

أما حديث: ﴿ **اتقوا فراسة المؤمن..** ﴾؛ فلا يشير إلى ما ادعوه من تعميم العلم اللدني التام لغير المعصومين؛ وذلك لأن الحديث المذكور يشير إلى جزءٍ من العلم اللدني لا العلم التام الخاص بأهل البيت عليهم السلام إجماعاً ونصاً؛ فإن كان قصد المدَّعين هو أنه بإمكان غير المعصوم أن ينال العلم اللدني التام كالخضر والحجج الطاهرين عليهم السلام فهو خلطٌ وزيفٌ، وإن كان قصدهم هو العلم اللدني الجزئي يناله العبد العارف بأهل البيت عليهم السلام فلا غبار عليه، ولكنه يكون عندها تفضلاً من الله تعالى ـ كرامةً لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام - لا استحقاقاً له بسبب عدم عصمته؛ لأن الاستحقاق فرع التقوى الكاملة التامة التي تعني العصمة العلمية والعملية، وهما مفقودان في غير المعصوم.

وأما حديث قرب النوافل؛ فهو أخص من المدَّعى؛ لأن المراد به هو التقوى بإقامة الفرائض والسنن بالدرجة التامة الكاملة، ومن المعلوم أن العصمة في العمل متوقفة على العصمة في العلم، فمن ذا الذي يدَّعي لنفسه العصمة في العلم فضلاً عن العمل إلا اللئيم المغرور...!.

إن التقوى العلمية والعملية التامة لا تتحقق إلا للمطهر من الذنوب والمبرأ من العيوب، وهذا لا يتوفر إلا في المعصوم عليه السلام الكامل في العلم والعمل مكافأة له على إخلاصه في تقواه، وأين هذا من غيره ممن لم يخلص في جزءٍ من حياته من الشك والريب أو الفسق والفجور...!؟.

وبعبـارةٍ أُخـرى : إنّ المعرفـة الإلهيَّـة المقرونـة بـالتقوى والـورع وإقامـة الفرائض وكذا النوافل ـ حدوثاً وبقاءاً ـ لا تتحقّق بالدرجة الكاملة التامّة إلا لـدى المطهَّـر مـن الـرجس والعيـوب ــ عنيـت بـه صـاحب العصـمة العلميـة والعصمة العملية ـ ؛ فـإنّ مـن أكـبر الفـرائض هـو الإيمـان بـالله واليـوم الآخـر وبالأنبياء والرسل والأوصياء والحجج الطاهرين عليهم السلام ، والإيمـان التام بالله متقوّم بمعرفة المعصوم ، فمِن دون المعرفة الكاملة والتامّة بالله تعـالى لا يتمّ الإيمان الكامل ولا يتمّ أداء الفريضة كما هـو حقّ الأداء إلا بالعصـمة العلميـة وبانتفـاء الشـك والريـب ــ الـذي هـو الـرجس الأكـبر ــ عـن القلـب وكـذلك مقـام الخلـوص والإخـلاص ، وهمـا مقامـان لا ينالهمـا إلا ذو حظٍّ عظيم من الأوليـاء العظـام كـآل محمَّـد علـيهم السـلام حيـث نزهـوا نفوسـهم الشريفة عن حظوظ الدنيا التي يتناطح عليها أكثر الخلق الذين خلطوا العبادة لله تعالى مع الريب والعصيان بمقتضى قوله تعالى : ﴿ وَمَـا يُـؤْمِنُ أَكْثَـرُهُمْ بـالله إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾.□

فقـرب الفـرائض وقـرب النوافـل والفُرقـان التـامّ اللـدني بمقامـه الأتمّ لا يتحقّق إلا للمطهَّر من الريب والشكّ ؛ والخلوص في المعرفـة والإخـلاص في العبادة لا يتحقّقان إلا بالمعرفة التامّـة المستلزمة للعمـل التـام ؛ ذلـك لأنّ كـلّ من لم يكن معصوماً علمياً و عملياً ، فلا محالة يكون ناقص التقـوى ومُفَرِطـاً في أداء الفرائض على وجهها الأتمّ ، فلا محالة يكون ظالماً لنفسه ولو في سنين

مراهقته وأوان بلوغه ، بل منذ بدء ولادته . و إذا صدق عليه عنوان الظالم فيشمله عموم الآية :﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ أي: إنَّ الظالم في مرحلة من مراحل حياته لا يصل إلى مقام الإمامة التي هي عهدٌ معهودٌ من الله تعالى لا يهبه لمن عصى برهةً من زمانه، تماماً كعهد النبوة لا يناله من عصاه في حياته حتى لو تاب منها .

فكلّ مَن اعترضه الشكّ في المعرفة الإلهيَّة وخالج قلبَه الريبُ ـ ولو في آنٍ من آنات عمره ـ لا يصل ولا ينال المقام الأتمّ من التقوى والمقام الرفيع من الكرامة الإلهية ولا صدارة درجات الإحسان، فلا يكون ـ والحال هذه ـ خليفة الله المودعة فيه الأسماء الإلهية جميعها، ولا يكون من المصطفين المختارين لرسالته عزّ و جلّ، إذ لا يكونُ عينَ اللهِ وأذنَ الله و لسانَ الله ويدَ الله وحجّةَ الله إلا مَن طُهِّر قلباً وذاتاً، روحاً وبدناً، علماً وعملاً منذ انعقاد نطفته في رحم أُمّه، بل قبل الانعقاد حينما أُودع في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهّرة، ولا يصدق ذلك إلا على المعصوم عليه السلام المبرّأ من العيوب والمطهّر من الأرجاس والذنوب حدوثاً وبقاءاً، ثبوتاً وإثباتاً، ظاهراً وواقعاً، سراً وعلانيةً.

وقد أكّد القرآن الكريم هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ .

تنفي الآيةُ المتقدِّمة قابليةَ الفرد البشري لنيل النبوة أو الحكمة في مقامها الأتمّ وعجزه عن الحصول على العلم اللدنّي إذا لم يكن معصومَ الذات عن الزلل بقاءاً، بمعنى أن الذي لا يمتنع عليه الخطأ بقاءاً تمتنع فيه قابليّة الوصول إلى تلك المقامات حدوثاً .

والحاصل: إن خبر قرب النوافل يشير إلى تلقي العابد العامل للحكمة بعد تلبسه بمقام العمل والطاعة لله ومعرفة الحجج المطهرين عليهم السلام ؛ فالخبر قد اشترط جنبةَ العمل الخالص لتلقي التسديد والتوفيق ـ أي: الحكمة ـ ؛ فإذا لم يتحقق العمل لانتفى جودُ موضوعٍ لتلقي الحكمة، فإذا انتفى موضوع العمل، انتفت معه اللوازم المترتبة عليه من الحكمة والتوفيق، فتلقي الحكمة المترشحة من مقام الطاعة والمعرفة نظير المحمول المترتب على الموضوع، فإذا انتفى الموضوع انتفى المحمول اللازم له.

بالإضافة إلى ما تقدم: إن الأخبار قد أوضحت معنى تلقي الحكمة الوارد في الآية الشريفة ﴿ ..وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا... ﴿٢٦٩﴾ ﴾[1]، واشترطت شيئين في سبيل حصولها وهما: طاعة الله تعالى ومعرفة الإمام عليه السلام ، ما يعني أن موضوع الآية هو طاعة الله سبحانه ومعرفة الإمام عليه السلام ، وكأنَّ الآية تكشف عن أن طاعة الله تعالى والإمام عليه السلام تستوجب إفاضة الحكمة على المؤمن العارف بالله تعالى والمطيع له من خلال

(1) سورة البقرة

الباب الأعظم الذي أمر بمعرفته ووجوب طاعته وهو الإمام عليه السلام بحسب الآية والخبر المتقدِّمين ؛ ومن الواضح أن الإمام عليه السلام خارجٌ من موضوعها حكماً وموضوعاً، بل هي خاصة بغيره من المكلفين المأمورين بطاعة الله تعالى ومعرفة الإمام عليه السلام ، ولا يخصُّ الإمام نَفْسَه بمعرفة نفسه..! بمعنى أن الأخبار حينما اشترطت على المكلَّف أن يطيع الله ويعرف الإمام عليه السلام الموصل إلى طاعة الله تبارك وتعالى لم تقصد أنَّ على الإمام معرفة نفسه، لأنه عارفٌ بها بحقيقة المعرفة، بل مقصوده عليه السلام أن يعرفه الآخرون، فتأمل.

وزبدة المخض: إن العلم اللدني ـ التام الكامل وبأعلى مراتبه ـ هو خاص بالأولياء المقربين عند الله تعالى، ولا يعمُّ غيرهم من العباد الصالحين مهما أُوتوا من المعرفة والطاعة؛ نعم، لا يمنع ذلك من تلقيهم لشيءٍ من الإلهام أو العلم اللدني الجزئي الناقص إنْ هم أطاعوا الله تعالى والإمام المعصوم عليه السلام ، فيكون التسديدُ كرامةً للإمام عليه السلام على نحو التفضل على العبد المؤمن الموالي العارف بهم عليهم السلام ، لا على نحو الاستحقاق كما هو الحال عند الحجج على العباد (سلام الله عليهم)؛ وهو المشار إليه بآية العلم اللدني النازلة بحق العبد الصالح الخضر عليه السلام وهي قوله تبارك وتعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥ ﴾[1].

[1] سورة الكهف

في الآيـة الشّـريفة دلالـةٌ واضـحةٌ علـى إفاضـة العلـم اللّـدني علـى عبـده الخضر عليه السلام ؛ هذا العلـم الـذي لا يـد للأسباب فيـه حتـى يحصـل عـن طريـق الاكتسـاب، والملائكـة سـبب مـن الأسـباب، والوحي لـيس منحصـراً بنـزول الملائكة بل له قنوات أخرى وإلى ذلك أشار المولى بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ... ﴿٥١﴾﴾(١) حيث إنّ الوحي على ثلاثة أنحاء:

(الأوّل):الإشارة الخفيّة؛ وتسمّى بـ: الإلهام والقذف في الرّوع؛ وهـو إلقـاء في الباطن يحسُّ به الموحى إليه كأنّما كتب في ضميره صفحة لامعة أو رؤيا في منام.

والمقصـود مـن وراء حجـاب: أنَّ يكلّمـه تكليمـاً يسـمع صـوته ولا يـرى شخصه كما حصل لموسى عليه السلام بخلق الصّوت في الهواء.

(الثاني): الاحتجاب؛ والمراد به الاحتجاب المعنوي لا المادّي؛ إذ ليس الله مادياً حتى يُحجب عنه بستارٍ مادّي.

(الثالث): إرسال المَلَك.

فالآيـة الشّـريفة تفصِّـل أنـواعَ الـوحي مـن حيـث كونـه إلهامـاً وتكليمـاً وإرسالاً للملـك، فحصـر الـوحي بنـزول الملائكـة بـالنحوين الثـاني والثالـث دون الأوّل خلافاً للتقسيم القرآني الوارد في الآية، لذا ورد عن مولانا الإمام

---

(٢) سورة الشورى.

الصّادق عليه السلام قوله: ﴿ **كان رسول الله إذا أتاه الوحي من الله وبينهما جبرائيل يقول: هوذا جبرائيل، وقال لي جبرائيل، وإذا أتاه الوحي وليس بينهما جبرائيل تصيبه تلك السّبتة ويغشاه منه ما يغشاه لثقل الوحي عليه من الله عزّ وجلّ** ﴾.

وقال الشّيخ أبو جعفر الصّدوق رحمه الله: « **إنّ النّبي صلى الله عليه وآله كان يكون بين أصحابه فيغمى عليه وهو يتصابّ عرقاً فإذا أفاق قال: قال الله عزّ وجلّ: كذا وكذا، وأمركم بكذا ونهاكم عن كذا، وأكثر مخالفينا يقولون: إنّ ذلك كان يكون عند نزول جبرائيل عليه السلام عليه، فسُئل الإمام الصّادق عليه السلام عن الغشية التي كانت تأخذ النّبي صلى الله عليه وآله أكانت تكون عند هبوط جبرائيل؟ فقال: لا، إنّ جبرائيل عليه السلام إذا أتى النّبي صلى الله عليه وآله لم يدخل عليه حتى يستأذنه، فإذا دخل قعد بين يديه قعدة العبد، وإنما ذلك عند مخاطبة الله عزّ وجلّ إيّاه بغير ترجمان وواسطة** ».

وزبدة المخض: إنّ النّبي صلى الله عليه وآله وعترته الطّاهرة عليهم السلام أكرم عند الله من أن يتركهم إلى ملك ولا ينير لهم الدّلائل الواضحة على إمامتهم وولايتهم في تلك السّاعة الحرجة التي يحتاجون فيها إلى العلم، وقد قال الله تعالى حاكياً عن تلك الشّخصيّة الكريمة عنده عزّ وجلّ: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَاۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة الطور.

فمن كان في عين الله تعالى ورعايته لا يحتاج إلى ملك يُلقي عليه بعضَ المعارف ؛ لأنَّ الله تعالى جعله شاهداً على الأُمَّةِ يرى تفاصيلَ أعمالِها ، كما تنص على ذلك آياتُ شهودِ المعصوم عليه السلام لأعمال العباد ورؤيته لهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾[2] ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[3] وهي آيات بيِّنات قاطعة الدلالة على العلم اللدني للمعصوم الإمام عليه السلام ، وسوف نتطرق إليها في النوع الرابع من أنواع العلوم الإلهامية لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام ؛ ونحن صنفناها في خانة الآيات الدالة على العلم الحضوري لأهل بيت العصمة والطهارة في الجزء الأول من كتابنا القيّم : " شبهة إلقاء المعصوم عليه السلام نفسه في التهلكة ودحضها"[1] ؛ وهو أول كتاب تحليلي في مكتبة الحوزة العلمية الشيعية يبحث بعمقٍ عظمةَ العلم الحضوري للمعصومين من الحجج المطهرين عليهم السلام ، وكلٌّ من جاء بعده هو عيال عليه ، وقد استفاد منه علماءٌ

(١) سورة الرعد.

(٢) سورة النساء.

(٣) سورة التوبة.

[1] المطبوع عام ٢٠٠٣م

في حوزتي قم والنجف، ولكنهم لم يظهروا فضلنا في ذلك حسداً وغيظاً، ولله الحمد والشكر.

النوع الرابع: العلم الحضوري للإمام عليه السلام؛ وهو لغةً واصطلاحاً: ما لا يحتاج في حصوله إلى كسبٍ ونظرٍ وفكرٍ، بل يكون حاضراً بنفسه لدى العالم به، بخلاف الحصولي المحتاج إلى كسبٍ ونظر.

وبعبارةٍ أُخرى: إن العلم الحضوري هو حضور ذلك الغير بنفسه لا بمثاله وصورته عند العالم، وعدم غفلة العالم عنه، وفي المقابل هناك العلم الحصولي المقيَّد بالسعي والتحصيل في اكتساب العلوم والمعارف.

إنَّ العلم الحضوري أقوى من العلم الحصولي؛ ضرورة أنَّ انكشاف الشيء لأحدٍ لأجل حضوره بنفسه أقوى من انكشافه عليه لأجل حصول مثاله وصورته فيه.

وطبيعة العلم الحصولي أنْ يكونَ تدريجيّ الحصول، ولهذا يسمّى بالحصولي؛ وقد ثبت أنّ الأمور التّدريجيّة ـ وإنْ بلغت ما بلغت ـ لا تبلغ إلى حدّ النّهاية، ولأجل هذه الدّقيقة العلميَّة، يحكم على أكثر علوم البشريّة ـ لمكان حصوليّتها وتدرّجها ـ بكونها علوماً ناقصة، ولا يمكن لبشرٍ من بدو الخلقة إلى زماننا هذا بل إلى يوم القيمة أن يبلغ من العلم مقاماً لم يبلغه غيره، ولا غرو فيه، فإنّك ترى علماء البشر كلّ واحد منهم يقول بخلاف الآخر، سواء في العلوم الشرعية أو الأكاديمية كعلوم السياسة والاجتماع

والاقتصاد والأطباء والمهندسين، أو الكلامية والفلسفية، فهذا ابن سينا يقول في الفلسفة شيئاً، ثمّ المحقّق الخواجا نصير الدين الطّوسى، والمقداد السيوري، والحلي وصدر الدّين الشّيرازي، كلّ واحد منهم سلك مسلكاً غيره، وربّما كان الحقّ معهم، فشأن العلم الحصولي لا يكون إلا كذلك؛ وأمّا العلم الحضوري فدفعيّ آنيّ ليس بتدريجيٍّ أصلاً، ولأجل هذا لا يقع فيه خطأ ولا اشتباه، وسرّه أنّ المدركات حاضرة لديه غير حاصلة له، كعلم النّفس بذاتها وآلاتها فهو غير محدود من هذه الجهة.

بما تقدَّم يتضح: أن علم الإمام عليه السلام ليس بحصوليّ حتّى يكون محدوداً بحدٍّ؛ بل هو حضوريٌّ دفعيٌّ، وكذا علم الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسيّدة نساء العالمين عليها السلام، ولذلك كانوا يتكلّمون في بطون أُمهاتهم وفي المهد وهم صبيان ظاهراً ولكنهم رجالٌ واقعاً، ويجيبون عن المعضلات وهم لم يتعلّموا في المدارس كما قال تعالى حكاية عن النبيِّ عيسى بن مريم عليهما السلام في المهد: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾[1] وكذلك سائر الأنبياء، والأخبار مشحونة به، قال الشّاعر:

في المهد ينطق عن سعادة جدّه أثر النّجابة ساطع البرهان

وأنشد أحد الشعراء الأكارم بحق إمامنا الجواد عليه السلام فقال:

لله درّك من جوادٍ فاق مَنْ قد حلّ مرتبة السهى والفرقدِ

---

[1] سورة مريم عليها السلام

نجل الرضا مَنْ عنده فصل القضا		باب الرضا كهف الحجا والسؤددِ
حســدوه إذ ولاه مــولاه الــذي		قـد نالـه عيسـى زمـان المولـدِ
في المهـد ينطـق مـن سـعادة جـدّه		أثـر النجابـة فيـه خـير مسـدّدِ
جبريـل يخدمـه جهـاراً في الـورى		ولـه الملائـك والمـلا طـوع اليـدِ
يـا ويلـهم كيـف الجحـود لشـأنِهِ		والـنصّ فيـه قـائم في المشـهدِ

ولأجل ذلك إذا سُئِلَ النبيُّ أو الإمام (عليهما السلام) عن شيء فهو لا يحتاج إلى الفكر والتّأمل ولا يقول لا أعلم ؛ لأنّ الأشياء كلّها حاضرة لديه، فبهذا كان أعلم من في الأرض والسماء، وهو ثابت في الآيات والأخبار، إذ إنَّ لازم العلم الحضوري هو هذا ؛ لأن الإمام (سلام الله عليه) قد أخذ علمه من المنبع الإلهي الفيّاض بلا واسطةٍ مَلَكيَّةٍ تعليميَّةٍ، فعلمه عليه السلام متّصل بعلم الله تعالى وقدرته بقدرة الله تعالى وهكذا... ؛ ولا شكّ ـ عقلاً ونقلاً ـ في عدم تناهي علم الباري ؛ لأنّ الصّفات فيه عين الذّات، والذّات غير متناهية، فصفاته غير متناهية، وكلّ ما هو متّصل بغير المتناهي فهو أيضاً غير متناه من هذه الجهة، وإن كان في حدّ نفسه متناهياً، فعلم الإمام عليه السلام ـ من حيث هذه الإضافة ـ لا نهاية له وإنْ كان ـ في حدّ نفسه من حيث إنّه وصف للموجب ـ متناهياً، فإنّ كلّ ممكنٍ متناهٍ، وتحقيق هذا المطلب الشريف موجودٌ في البحوث الكلاميَّة المطوّلة.

وبالجملـة: إننـا أسـهبنا بالبحـث في العلـم الحضـوري للإمـام عليه السلام في الجـزء الثـاني : الفصـل الرابـع مـن كتابنـا المبـارك : " شـبهة إلقـاء المعصـوم عليه السلام في التهلكة ودحضها" ، بحيث لم نترك ثلمةً إلا سددناها ولا شـبهةً إلا فنـدناها ، ومن جملة ما قلناه هناك : إن العلم الحضوري ؛ هو عين المعلوم ، والحصـولي هـو صـورة عنه ، والحضـوري غـير قابـل للخطـأ والاشـتباه بخلاف الحصـولي حيث إنَّ فيه مظنّة الاشتباه في بعض الأحيان ؛ بسبب تصوّراتٍ خاطئة قد تؤدّي إلى نتيجةٍ خاطئة ؛ إذ النتيجة تتبع أخسَّ المقدّمات.

وبعبارة أُخرى : إنّ المفاهيم والصّور الذّهنيّة هي جسور ومقدِّمات للوصول إلى المعلوم الخارجي ، هذه الجسور هي وسائط بـين المـدرِك والمدرَك ، فقـد لا تتطابق بشكلٍ كاملٍ مع الأشخاص والأشياء الخارجيّة ؛ والعلـوم الحضـوريّة متفاوتة شدّةً وضعفاً ، فقد يتمتع العلم الحضـوري أحيانـاً بقـوّةٍ وشـدّة تجعلـه يتمّ بصورة واعية ، ولكنّه يحصل أحياناً أخرى بصورة ضعيفة وباهتة ، فيظهر بصورة نصف واعية.

السبب بتفاوت الدرجات في العلم الحضوري:

وهذا التفاوت والاختلاف في درجـات العلـم الحضـوري يعـود أحيانـاً إلى اختلاف درجات وجود الشّخص المدرِك ، فكلّما كانت النّفسُ ضعيفةً ـ مـن حيث المرتبـة الوجوديّـة ـ كانـت علومُهـا الحضـوريّة ضـعيفةً وباهتـةً ، وكلّمـا ارتفعت مرتبتها الوجوديّة تكاملت علومها الحضوريّة وأصبحت أشدّ وعياً ،

وهذا يتوقّف على مراتب الوجود ومراتب تكامل النّفس، وهي أمور يتمّ إثباتها في علومٍ فلسفيّة وأخلاقيّة وكلاميَّة، لذا قيل إنّ للإنسان عِلْماً حضوريّاً بخالقه، ولكنّه نتيجةً لضعف مرتبته الوجوديّة ولزيادة إلتفاته إلى البدن والأمور المادّية؛ فإنّ ذلك العلم ينزوي في اللاوعي، ولكن مع تكامل النّفس والحدّ من الالتفات للجسم والأمور المادّية، ومع تنمية التوجّهات القلبيّة لله سبحانه وتعالى فإنّ ذلك العلم يصعد إلى مراتب من الوضوح والوعي بحيث يُؤَهّل صاحبه كي يكون مصداقاً حقيقيّاً لقوله عزّ وجلّ في القدسي: ﴿ **ما يزال العبد يتقرّب إليّ بالنّافلة حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت عينه التي يرى بها وأذنه التي يسمع بها...** ﴾، ولما ورد في الحديث: ﴿**مَن أخلَصَ لله أربعين يوماً تفجّرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**﴾.

إنّ العلوم الحضوريّة هي التي تحصل بالبداهة والارتجال من دون إمعانِ نظرٍ أو فكرٍ، وفيه تتفاوت قوّة الحدس الناتجة عن قوّة الرّوح وشدّة التوجّه، وعكسها العلوم الحصوليّة أو ما يُسمَّى بالكسبيّة وهي التي يحتاج حصولها إلى كسبٍ ونظرٍ وفكرٍ.

وللحضوري مصاديقٌ مشكّكة له، أوسطها العلم اللّدني الذي ليس للأسباب العاديّة ـ كالحسِّ والفكرِ ـ نصيبٌ في تحصيله؛ بل هو فيضٌ ربّانيٌّ مختصٌّ بأولياء الله تعالى وقد وهبه عزّ وجلّ لبعض أوليائه، ومنهم

الخضر عليه السلام بقوله: ﴿..ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾[1].

وأدنى مصاديق العلم الحضوري: القذف في القلوب، وأعلاها الاطّلاع على حقائق الأشياء دفعةً واحدة من دون حاجةٍ إلى تكرارٍ وسماعٍ.

وبعبارة أُخرى: إنَّ إلقاء العلوم كلّها في القلب؛ بحيث لا يغيب عن صاحبها المعصوم مثقال حبّةٍ في الأرضِ ولا في السّماءِ؛ ولرسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار مع سيِّدة نساء العالمين عليهم السلام الدّرجة العُليا في هذا العلم؛ بحيث تكون الأشياءُ منكشفةً عندهم فعلاً في مقابل انكشافها الشّأني عليهم بالقوّة والإرادة المعبَّر عنها بقولهم: ﴿ **لو شاء أن يعلم لعَلِم** ﴾.



تحرير الخلاف في علم الإمام عليه السلام:

لا شبهة ولا خلاف بين متكلمي وفقهاء الإماميّة في أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام ساسةُ البلاد وحججُ الله على العباد، لم يلحقهم لاحقٌ ولن يسبقهم سابق؛ بل هو مورد اتفاقٍ بين الجميع، وإنما الشّبهة والخلاف في

(١) سورة الكهف.

ماهيّة علمهم ومقدار سعته، فهل هو حضوريٌّ أم إراديٌّ وإشائيٌّ؟ وهل يتعلّق علمُهم بجميع الأشياء من الذرّة إلى المجرّة أم يقتصر على بعض الأشياء؟.

هذا كلّه مع اتّفاقهم على عصمة الخليفة واستحالة غفلته وزلّته في تلقّي الأحكام الشّرعيّة وحفظها وتبليغها، وكذا لا شبهة في عصمتهم عليهم السلام في الموضوعات المترتّب عليها حكمٌ كلّي، فيلزم عموم عِلْمه بتلك الموضوعات؛ لأنّ الجهل بها يؤدي إلى الجهل بحكمها، وقد قامت الأدلّة على خلافه، وهذا أيضاً لا نزاع فيه؛ لكنّ الخلاف وقع على العلم بالموضوعات الخارجيّة الجزئيّة الصّرفة؛ فقد تجرّأت الحشويّة من المدرسة الأُصوليّة والأخباريّة على ادّعاء أنّ علم الخليفة عليه السلام لا يشمل العلمَ بالسّاعة والآجال والمنايا وغيرها مما ظاهره استئثاره به تعالى شأنه، والتي يجمعها جلّ وعزّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾[1].

إذاً؛ الخلاف في العلم الحضوري، لا الحاصل من الأمارات والحواس الظاهريّة والصّنايع الاكتسابيّة، ضرورة أنّ العلم الظّاهري لدى الإمام كالعلم الظاهري الحاصل لغيره تنبع أسبابه من حواسه الظّاهريّة في الكمّيّة

(١) سورة لقمان.

والكيفيّة، فالإمام عليه السلام والنّاس يشتركان في تحصيل هذا العلم لكونه تابعاً لأسبابه الاعتياديّة، وهذا لا يختصّ بأحدٍ، بخلاف الحضوري الذي يمنحه علام الغيوب لمن أراد واصطفى.

وهمٌ ودفع:

نفى بعضُ العلماء الكسالى علمَ الإمام الحضوري ـ بدعوى أنّ القول بالحضوري يستلزم مشاركتهم عليهم السلام لله تعالى في هذه الصّفة، فالقول بالحضوري ـ يستتبع الشّرك والغلوّ.

وهو مندفعٌ بالآتي:

أنّ إحاطة علمهم بالمعلومات ليس على وجه العلّيّة والمعلوليّة، ضرورة أنّ العلم بهذا المعنى من خصائص ذات الواجب المتعال التي لا يشاركها الممكن فيه قطعاً.

وبعبارةٍ أُخرى: إنّ علمَ الله تبارك اسمه قديمٌ وسابقٌ للمعلومات، وهو عين ذاته وعلّة للمعلومات، وأمّا علم الأئمّة عليهم السلام وما أحاطوا به لم يكن إلا بتعليمِ الله لهم آناً فآناً؛ لأنه حادثٌ ومسبوقٌ بالمعلومات، وهو غير الذّات فيهم، وليس بعلّةٍ للمعلومات لكونه حالا فيهم، فهو عارض على ذواتهم وليس عينها لاستحالة وجوده فيهم قبل وجود ذواتهم الشّريفة، فحضوره عندهم بمعنى انكشاف المعلومات لديهم فعلاً.

فعلومهم عليهم السلام حضوريّة في طول علم الله تعالى وإرادته، وليست عرضيّة في مقابل علم الله عزّ وجلّ، فهم الفقراء ذاتاً إليه عزّ اسمه، ومعنى الفقر الذّاتي أنه دائماً يحتاج إلى إفاضة الوجود من الغني بالذّات إليه آناً فآناً، فكلّ آنٍ يكون وجوده ووجود الفيض المفاض عليه غير السّابق عليه كما لا يخفى.

وبناءً عليه: فإنَّ ما علموه وأحاطوا به إنما هو فيضٌ من الله تبارك وتعالى نزل عليهم، فهو عزّ اسمه يفيض في كلّ آنٍ على ذواتهم المقدَّسة من القدرة على العلم على نحوٍ لا يمكن تصوُّره أو الخوض فيه، ولم يكن تعليمه تعالى لهم مرحليّاً؛ بمعنى أنه أعلمهم ورفع يده عنهم حتى باتوا غير محتاجين إليه تعالى في فترة زمنيّة محدودة؛ تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، بل ما علموه إنما هو بتعليم الله لهم عليهم السلام في كل لحظةٍ وآنٍ، فإنّ المحتاج والفقير الذّاتي دائماً هو بحاجة إلى من يفيض عليه، فكما أنّ أصل حدوث الفيض فيه يحتاج إلى إفاضة الغنيّ بالذّات، فكذلك بقاؤه آناً فآناً.

وذلك التعليم الدّائم القائم حين يكون في اللّحظات هو مصداق ما شاء الله أنْ يحيطوا بعلمه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ... ﴿٢٥٥﴾﴾[1] وهذا هو الّذي ملكوه من العلم، وهذا جارٍ في جميع أنحاء علومهم، ومصداق قوله عليه السلام: ﴿ **إنما العلم يحدث ساعةً بعد ساعة** ﴾ أي لحظة

(١) سورة البقرة.

بعد لحظة، أو ما ورد من أنه: ﴿ **ما يحدث باللّيل والنّهار، الأمر بعد الأمر، والشّيء بعد الشّيء إلى يوم القيامة** ﴾، ذلك كلّه بتعليمه الدّائم القائم، وهذا أيضاً أحد معاني قوله عليه السلام: ﴿ **إنّ لهم في كلّ ليلة جمعة علماً مستفاداً وإلا لنفد ما عندهم** ﴾.

فلا ينبغي أن يتوهّم ذو بصيرةٍ بأنهم مشاركون له تعالى في هذه الصّفة، وأنّ القول بالحضوري من الشّرك أو الغلوّ؛ لاختلاف العلمين في الصّفة، فإنّ علمه تعالى ذاتيٌّ، وعلمهم عرضيٌّ موهوب من عند علام الغيوب، فلا مجال لدعوى اتّحاد العِلْمَيْن أصلاً، وبه يظهر الفرق بين علمه تعالى وعلم الإمام الحضوري من وجوهٍ عديدة، من جهة القِدَمْ والحدوث، والسّبق والعدم، والعليّة والمعلوليّة، وعينيّته مع الذّات وعدمه، إلى غير ذلك من وجوهِ الفرق التي لا يبقى معها مجالٌ لتوهُّم الاتحاد بين العِلْمَيْن ولزوم الشّرك والغلوّ.

بيان منشأ الخلاف:

إنَّ منشأ الخلاف في علم الإمام عليه السلام ـ بكِلا قسميه: الحضوري والكمّي ـ يرجع في الواقع إلى وجود تعارض بدوي بين الآيات والأخبار بالنّفي والإثبات، والعمومات، والتخصيصات، وأخبار التقيّة، والمفتريات.

وقد عرّجنا في كتابنا الميمون " شبهة إلقاء المعصوم عليه السلام نفسه في التهلكة" على استعراض الأدلة العقلية والنقلية من الكتاب الكريم والأخبار الشريفة

بما لا مزيد عليه في أيِّ كتابٍ كلامي آخر؛ فقد استوعبنا البحث من كلّ أطرافه؛ ذلك كلّه بفضل الله وتوفيق الحجج المطهرين عليهم السلام، فهم حياتي ومقصودي وإليهم ألجأ في كلّ مرغوبي ومطلوبي.

أتمثل بقول الشاعر الموالي:

أطوف ببابكم في كل حين كــأن ببــابكم جعــل الطــواف

ومن أراد العلمَ بكيفية ومقدار علم الإمام المعصوم (سلام الله عليه) وعلاج الروايات المتعارضة، فما عليه إلا الرجوع إلى كتابنا المذكور، ذلك لأنَّه ليس بمقدورنا أن نستعرضها في كتابنا الحالي"علامات الظهور: قواعد وضوابط" لطولها وكثرة تشعباتها، وهو ما لا يسعه هذا الكتاب، وإلا خرج عن طوره المرسوم له.

وبالجملة: إن ماهية العلم الحضوري للمعصوم الحجة العظمى عليه السلام هي من الواضحات عند ذوي البصائر من العلماء الأعلام المستوعبين للآيات والأخبار، والخبراء في كيفية معالجة المتعارضات، وليس بمقدور غيرهم ــ حتى لو كانوا ممن يحملون أسماء مشهورة، وأياديهم مبسوطة، وأموالهم موفورة ـ تحمُّله بسبب ضيق قابلياتهم وقلة تحصيلهم، ومعرفة الحق لا تدور مدار الأسماء المشهورة والعناوين البراقة فـ﴿ **أعرف الحق تعرف أهله**﴾؛ وعلوم آل محمد عليهم السلام كالمطر إذا وقع على أرض خصبة نبت فيها الزرع، وإذا وقع على الصخر والحصى تطاير يميناً وشمالاً...!.

هذا في ما يتعلق بماهية علومهم الشريفة؛ وأمَّا مقدارها، فحدّث ولا حرج؛ إذ كيف لنا أن نحيط بكنههم وقد قال النبيُّ الأعظم محمَّد ﷺ لأمير المؤمنين وسيِّد الموحدين وإمام المتقين أسد الله الغالب مولانا عليّ عليه السلام: ﴿ **يا عليّ ما عرف الله إلا أنا وأنت، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلا الله وأنا** ﴾.

فأهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم) وفي مقدّمتهم رسول الله ﷺ وسيِّدة نساء العالمين عليها السلام، قد فاقوا الأولين والآخرين بحضورية علومهم ومعارفهم، وبلغوا فيه حدّاً لا يحتاج أحدٌ من الخلق إلى شيء من أمور دينه ودنياه وسعادته وآخرته إلا كان علمه عندهم ولديهم الجواب عن كلّ سؤال، وهم الدعاة إلى سبيل الخير والسعادة الواقعية، ولهم الإشراف على الأمور، وحتى النيات والأعمال، وعلى ما يقع وما سيقع، وعلى منطق الطيور، وعلى ما يحتاج إليه الجن وغيرهم، ونحن لسنا قادرين على وصفهم، فقد وصفوا أنفسهم بأنفسهم كما في الزيارة الجامعة الكبيرة الشريفة عن مولانا الإمام المعظَّم عليّ الهادي عليه السلام: ﴿ **كيف أصف حسن ثنائكم وأحصي جميل بلائكم، وبكم أخرجنا الله من الذلّ وفرّج عنّا غمرات الكروب...** ﴾.

وقال الإمام المعظَّم الصادق عليه السلام: ﴿ **إنّ الله لا يجعل حجته في أرضه يُسأل عن شيء فيقول لا أدري** ﴾.

وعنه عليه السلام قال: « **إنّ الله تعالى أحكم وأكرم وأجلّ وأعظم وأعدل من أن يحتج بحجَّة ثم يغيب عنهم شيئاً من أمورهم** ».

وفي تعبير آخر قال عليه السلام: « **من شك أنّ الله تعالى يحتجّ على خلقه بحجة لا يكون عنده كل ما يحتاجون إليه فقد افترى على الله** ».

وورد عن أبي حمزة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: « **لا والله لا يكون عالم جاهلاً أبداً، عالماً بشيء جاهلاً بشيء**، ثم قال: **الله أجلّ وأعزّ وأكرم من أن يفرض طاعة عبد يحجب عنه علم سمائه وأرضه**؛ ثم قال: **لا يحجب ذلك عنه** ».

وعن سيف التمّار قال: كنا مع أبي عبد الله عليه السلام وجماعة من الشيعة في الحجر، فقال: « **علينا عين؟**، فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نرَ أحداً، فقلنا: ليس علينا عينٌ، فقال: **وربِّ الكعبة وربّ البنّية** ــ أي بنّائي الكعبة كآدم وإبراهيم وإسماعيل ــ **ثلاث مرّات لو كنت بين موسى والخضر** عليهما السلام **لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما لأنّ موسى والخضر** عليهما السلام **أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة** ».

وجاء في زيارة آل ياسين الكبيرة المحفوفة بالقدس، والتي خرجت من الناحية المقدّسة من مولانا الإمام المعظَّم الحجَّة القائم أرواحنا لتراب مقدمه الشريف الفداء إلى أبي جعفر محمد بن عبد الله الحميري رحمه الله وأمر أن

تتلى في السرداب المقدَّس: ﴿**السلام عليك يا صاحب المرأى والمسمع، الذي بعين الله مواثيقه، وبيد الله عهوده، وبقدرة الله سلطانه، أنت الحليم الذي لا تعجِّله المعصية، والكريم الذي لا تبخله الحفيظة، والعالم الذي لا تجهّله الحميِّة، مجاهدتك في الله ذات مشية الله، ومقارعتك في الله ذات انتقام الله، وصبرك في الله ذو أناة الله، وشكرك لله ذو مزيد الله ورحمته**﴾؛ إلى جانب غيرها من الأخبار التي فاقت التواتر بمرات تدل على فعلية معارفهم وعلومهم[1] وهي توجب اليقين والإطمئنان في شمولية علومهم عليهم السلام؛ وبهذا الصدد قال العلّامة محمد حسين الطباطبائي في "تفسير الميزان": « **إنّ الإمام وقف على حقائق العالم كيف ما كان بإذنه تعالى سواء كانت محسوسة أم غير محسوسة كالموجودات السماوية والحوادث الماضية والوقائع الآتية وتدلّ على ذلك الروايات المتواترات المضبوطة في الكافي وبصائر الدرجات وبحار الأنوار وغيرها** ».

النوع الخامس: ليلة القدر؛ هي إحدى القنوات العلمية المهمَّة في علم الإمام عليه السلام، وهي من القنوات العلميَّة الإلهاميَّة اللدنيَّة، ولا علاقة لها بالوراثة العلمية عن النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله، بل هي محض العلم الإلهامي اللدني، والفهم السّائد لدى مشهور المفسّرين أنّ ليلة القدر هي إحدى

[1] ـ أُنظر: شبهة إلقاء المعصوم نفسه في التهلكة ودحضها، فقد استوعبنا البحث في فعلية علوم أهل بيت العصمة وحضوريتها.

القنوات العلميّة للمعصوم عليه السلام التي تفيض عليه بالمعارف والعلوم لكون نزول الملائكة من أجل هذه الغاية.

وبناءً على هذا الفهم السائد في الوسط العلمي: فإنّ الرّسول والعترة الطّاهرة عليهم السلام كانوا يعلمون الأمور التفصيليّة المبرمة الّتي ستجري في تلك السّنة؛ من خلال تنزل الملائكة عليهم وإعطائهم الأوامر التفصيلية، ومن هذه الأمور ما سيجري عليهم من الأحداث الغيبية المستقبلية، ومنها علمهم بأيام شهاداتهم، ومن القاتل لهم، وأخبار الملاحم والفتن في السنة التي تنزل عليهم الملائكة في ليلة القدر، ولا تعمُّ غيرها من السنين اللاحقة، ولكننا صنفناها في القنوات العلمية التي يتلقاها الإمام عليه السلام في ليلة القدر تأكيداً على علومهم الغيبية من لدن حكيم عليم، فيعلمون ما يجري عليهم وعلى شيعتهم وغيرهم من الخلق في سنة نزول الملائكة في ليلة القدر، حيث إنّ علمهم بذلك هو من الغيب الّذي اختصهم الله تعالى به وأفاض به عليهم في ليلة القدر، ما يعني أنهم كانوا يعلمون بكلِّ شيء حتى أيام شهاداتهم؛ وهو ما تردد فيه بعض العلماء، وعدل عنه آخرون؛ اغتراراً بظاهر بعض النصوص الضعيفة، وإلا فإنّ الجهل بمصيرهم في تلك اللّيلة ـ دون الجهل بمصير بقيّة الممكنات ـ يؤدّي إلى التّرجيح بلا مرجّح، مضافاً إلى استلزامه العبثيّة في قوله تعالى: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾[1] إذ كيف

(١) سورة القدر.

تنزل من كلّ أمر ولا يعلم الأئمّة الطاهرون عليهم السلام ما يجري عليهم، أو أنهم يعلمون بالإجمال، فإنّ العلم الإجمالي مناهض لمفاد الآية ﴿ **تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ ربهم من كلِّ أمر** ﴾. فاستدلال البعض بدلالة بعض الأخبار على أنّهم يعلمون مجملاً غير صحيح؛ لكونه تقديماً للخبر على الآية، وهو غير جائز لاستلزامه طرح كلام الله من أساسه، مضافاً إلى مخالفة هذه الأخبار للأخبار الأخرى الدّالة على معرفته التّفصيليّة في ليلة القدر وهي أكثر صراحة ووثاقةً من تلك، بالإضافة إلى موافقتها ــ أي: الأخبار الأخرى ـ لصريح الآية، وقد تعرّضنا لهذا الفهم وفندناه من أساسه في الجزء الأول من كتابنا الميمون "شبهة إلقاء المعصوم عليه السلام نفسه في التهلكة ودحضها"، من صفحة ٣٦١ إلى صفحة ٥١٥؛ فليراجع.

وبناءً عليه: فإذا لم يتّضح المعنى الحقيقي من نزول الملائكة في ليلة القدر طبقاً للفهم السائد عند المشهور؛ فما هو المراد من نزولهم حينئذٍ على صاحبها وهو النبي أو الإمام عليهما السلام؟.

وللإجابة الحقيقيّة عن السّؤال لا بدّ من استعراض الفرضيّات الخمس المستوحاة من النصوص بشأن مهمّة النّزول، ونترك التفاصيل إلى كتابنا المتقدِّم الذكر؛ وإليكموها:

الفرضيّة الأولى: نزول الملائكة في ليلة القدر لإعطاء الأوامر للإمام عليه السلام.

الفرضيّة الثّانية: نزولهم لتفريق وبيان المجمل.

الفرضيّة الثّالثة: نزولهم لخصوصيّات لم يفصحوا عنها.

الفرضيّة الرّابعة: نزولهم للزيارة والبشارة.

الفرضيّة الخامسة: نزولهم لأخذ الأوامر من الإمام الحجة الكبرى والآية العظمى لله تعالى.

أصح النظريات هو ما اخترناه وأسسناه حول الموضوع:

أصحُّ الفرضيات هي الفرضية الخامسة؛ وهي خيارنا؛ ومن تأسيسنا طبقاً لما فهمناه من الجمع بين الآيات والأخبار الشريفة، فمن الله تعالى الفضل ومن آل محمَّد عليهما السلام التوفيق والتسديد.

وخلاصتها: إن نزول الملائكة في ليلة القدر ليس لأجل إعطاء الأوامر للنبي والإمام عليهما السلام، بل نزولهم لأجل تلقي الأوامر منهما عليهما السلام، وإليكم التفصيل مستعيناً بالله العليِّ العظيم ومستمداً المدد من وليّ الأمر عليه السلام:

وقبل بيان الأدلّة على هذه الفرضيّة الحقّة ــ والتي لم يسبقنا إليها أحدٌ من أعلام الطائفة، بل هي من بركات وجود سيِّدي الحُجَّة القائم المهدي عجل الله فرجه الشريف - لا بُدَّ من الإشارة إلى أنه لم يرد صريحاً في الأخبار الصّحيحة أنّ الملائكة تلقي على المعصوم عليه السلام المعارف والعلوم، بل كلّ ما هناك أنّ الملائكة تنزل بإذن ربّها من كلّ أمر، وهو أعمّ من النزول لإلقاء المعارف وإعطاء الأوامر إلى صاحب اللّيلة المباركة.

كما لا بُدَّ لنا أنْ نفْصِلَ بين نزول الملائكة وإلقاء المعارف على المعصوم عليه السلام ؛ إذ ليس ثمة ملازمة بين النّزول في ليلة القدر ـ على فرض نزولهم بالعلوم على صاحبها ـ وبين جهله عليه السلام بتلك المعارف والعلوم، فكما ثبت بالأدلّة القطعيّة تنزيه النبيّ صلى الله عليه وآله عن الجهل بالمعارف وتشخيص الموضوعات قبل نزول جبرائيل بها على النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، ثبت أيضاً بالمناط نفسه معرفة الأئمّة الأطهار عليهم السلام بتلك المعارف قبل نزول الملائكة بها عليهم في ليلة القدر وغيرها من الليالي؛ نعم، هناك ملازمة بين نزولهم والتبرك منهم ونيل الفيض بواسطتهم.

مضافاً إلى أنّ حصر المعارف بهم عن طريق ليلة القدر فقط لم يثبت بدليلٍ أو خبر، كلّ ما هنالك أنّ أصحاب نظرية حصر معارفهم بليلة القدر قد اعتمدوا على منطوق الآية الشريفة الدال على أن: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ ﴾[1].

والتفريق شيءٌ والجهل بما يفرِّقه الله سبحانه شيءٌ آخر، فالآية المتقدّمة تشير إلى تجدّد الفرق والإرسال في تلك اللّيلة بإنزال الملائكة والرّوح فيها من السَّماء إلى الأرض دائماً، ولا بدّ من وجود من يُرسَل إليه الأمر دائماً.

وبالجملة: فإنّ تصوّر نزول الملائكة في ليلة القدر على رسول الله والأئمّة عليهم السلام لا يخلو من أمور: إمّا لإلتماس البركة من جنابهم

---

(١) سورة الدخان.

الأقدس، وإمَّا لإعطاء الأوامر الشَّرعية لهم عليهم السلام، وإمَّا ليصدِّر النَّبيُّ والأئمّة عليهم السلام الأوامرَ للملائكة.

فالأوَّل مندرج تحت التصوّر الثالث، فيبقى في البَين تصوّران:

(أحدهما): أن تصدِّر الملائكة الأوامر إلى النبيِّ والعترة عليهم السلام؛ و**(ثانيهما)**: أن يُعطي النبيُّ والعترةُ عليهم السلام الأوامرَ إلى الملائكة.

أمَّا الأوّل: فغير سديدٍ؛ لكون الأوامر الشَّرعية منحصرة في ليلة القدر، وذلك حسبما جاء في الآية قوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[1] وأكّدته الأخبار الصّادرة عنهم عليهم السلام كما سيأتي.

فإذا لم يصح الأوّل، تعيَّن التصوّر الثاني بلا إشكال؛ دفعاً لوقوع العبث في أفعال الملائكة المأمورة بالنّزول.

كما أنّ الميل إلى التصوّر الأوّل يستلزم عدم وجود آمرٍ للملائكة سوى الله مباشرةً، وقد قامت الآيات والأخبار على توسّط اللّوح المحفوظ بينها وبين الله تعالى، بل توسّط النفس النبويّة والوَلْوَليَّة بينها وبين الله تبارك وتعالى، من الآيات قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣١

---

(١) سورة النجم.

قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴿٣٣﴾ ﴾[1].

فالآية الشَّريفة تبيّن أهميّة التسديد الإلهي الّذي يحظى به الخليفة ـ سواء أكان نبيّاً أم إماماً ـ كقوّة لازمةٍ لمهام الخلافة أو السَّفارة الرّبانيّة، فهذا المعنى يمكن أنْ نستفيده من خلال سياق الآيات المتقدّمة؛ حيث إنّ الملائكة المقرَّبين الّذين يقومون بأدوارهم في نظام الوجود وفق النّسق التدبيري القائم على قاعدة الأسباب والوسائط ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ ﴾[2] كانوا يتصوّرون أنّ قصّة الاستخلاف تنحصر في أنّ الله يريد موجوداً يسبّحه ويقدّسه، وهم كانوا يفعلون ذلك، فلِمَ يخلق اللهُ موجوداً آخر؟ من جاء الجواب الإلهي: ﴿..إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ ثمّ اختار الله تعالى آدمَ عليه السلام لهذا الموقع، وأردف إيجاده وخلقه بالتعليم ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ وهكذا جعل خصوصيّة الخليفة في العلم، فلم يقل الله تعالى للملائكة: إنّ آدم الّذي خلقته يسبّح ويقدّس لي أفضل منكم، بل قال تعالى: " إنه يعلم ما لا تعلمون"؛ والعلم إمام للعمل، فلا بدّ للإمام من العلم ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ وبخاصيّة العلم امتاز الإنسان عن

---

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة النازعات.

باقي الموجودات، إنّه يعلم أشياء لا تعلمها حتى الملائكة مع أنهم من المقرّبين الدّاخلين في التدبير الربوبي: ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥ ﴾.

إنَّ من أبرز خصائص المستخلَف أنّه مزوّد بعلمٍ لا يحظى به حتى الملائكة المقرَّبون؛ وهذا العلم هو التسديد الخاص الّذي وهبَه الله تعالى للإنسان الكامل كخليفة ـ بالمعنى اللغوي ـ ليخلف غيره في بناء الحياة وتعمير الأرض، لكي ينهض ويضطلع بمسؤولياتها؛ وهذه الخلافة لا تختصّ بالأرض وحدها، بل تشمل كلّ نظام الوجود الإمكاني.

ومنها قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ۝٤٤ ﴾[1] لمّا كانت الولاية بقسميها التكويني والتّشريعي المطلقين لله تعالى من دون الملائكة؛ فقد أعطاها الله عزَّ وجلَّ لرسوله ووليّه عليهما السلام، ولم يشرك معهما أحداً من الملائكة المقرَّبين، ما يدلُّ على أنّ للنّبيِّ والوليِّ عليهما السلام الولاية على الملائكة بشكلٍ عامٍ؛ لكونهما من عوالم التكوين التي لا يسع إلا أن تكون لهما الهيمنة والسّيطرة عليهم جميعاً بمقتضى ما لهما من الجاه والمنزلة عند الله تعالى حيث قال: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥ ﴾[2].

(١) سورة الكهف.

(٢) سورة المائدة.

هذا مضافاً إلى أنّ الأوامر الصّادرة إلى النّبي والوليّ عليهما السلام عبر الملائكة ـ لو قلنا بصحّة هذه الفرضيّة الأُولى ـ هي من الأمور التكوينيّة أو الشّرعيّة التي لا مناص من أن تمرَّ إلا عبرهما أوّلاً وإلا لم يصحّ أنّ تكون لهما الولاية الإلهية وفي الوقت ذاته يتلقّيان الأوامر من الأدون منهما بدرجاتٍ، بل إنّ الله تبارك وتعالى خلق الملائكة لخدمة هؤلاء الأعاظم عليهم السلام.

ومن هذه الآيات في هذا المجال قوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ... ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

ومعنى الآية أنّه ما من شيء يحدث في الأرض وفي السَّماء وفي أنفسكم إلا وهو مدوّن في الكتاب؛ أي: اللّوح المحفوظ حيث يوجد فيه ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، لذلك اقتصر مضمونه على ذكر ما يجري في الأرض وفي أنفسهم من المصائب لكون الكلام وارداً فيهما.

فلئن كان الكتابُ هو نفس اللّوح المحفوظ الّذي قد حوى ما كان وما سيكون، وكذا إنْ كان من امتلك بعضَ علم هذا الكتاب كآصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام حتى سخَّرَ اللهُ تعالى له بعضَ عوالم التكوين، فإنّ مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام قد امتدَّت بصيرته إلى كل ما في اللّوح المحفوظ حتى كان ذلك مدعاةَ فخرٍ للنّبيِّ محمّد صلى الله عليه وآله بحيث جعله الشّاهد بعد الله تعالى على تفاصيل الأمور في أمّته بقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ

(١) سورة الحديد.

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾(1).

إنَّ كون الإمام عليه السلام شاهداً على الرّسالة لا يلغي خصوصيّة شهادة النبيّ صلى الله عليه وآله عليها لقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا... ﴿١٧﴾ ﴾(2)؛ فالشّاهدُ مِنْ رسولِ الله والمشهود له هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام حسبما جاء في أخبارٍ متواترة، وكذا ما ورد بشأنه صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾(3)، ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ... ﴿١٥﴾ ﴾(4)، ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾(5)، فهذه الآيات تشير بوضوح إلى شاهديّة الرّسول على الأنبياء والأمم السّابقة واللاحقة لما تمتاز به الرّوح المحمّديّة من هيمنة روحيّة وسبقٍ على عالم الأرواح، وذلك لوجود مواصفاتٍ لا يمكن أنْ توجد عند أحدٍ غير عترته الطّاهرة عليهم السلام، ومن هذه المواصفات: العلم

(1) سورة الرعد.

(2) سورة هود عليه السلام.

(3) سورة الأحزاب.

(4) سورة المزمل.

(5) سورة النساء.

التفصيلي في الجهة الّتي يُراد لها أنْ تشهدَ على الأمّة، وإلا من دون العلم لا تتمكّن من الشّهادة عليها، ففاقد الشّيء لا يعطيه.

مضافاً إلى أنّ هذه الجهة لا يخلو أنْ يكون علمها بهذه الرّسالة عبر أحد تصوّرين: إمّا أن يكون بمستوى الرّسالة نفسها أو أعلى من مستواها، كي تتمكّن من الشّهادة، حيث لا يُعقَل أن نأتي بشاهدٍ لم يحط بكلّ تفاصيل الرّسالة، كما لا يعقل أن يكون الشّاهد أقلّ علماً من المشهود له، بل لا بدّ للشّاهد على التكوين أن يكونَ أعلمَ الموجودين، فدعوى أنّ المعصوم عليه السلام ينتظر أخْذَ العلمِ من الملائكة، باطلة لم يقم عليها دليلٌ علميّ واضح، بل إنّ هذه الآيات ـ بضميمة الأدلّة الأخرى ـ تحطّم ذاك الفهم الخاطئ المزعوم عن كون علم المعصوم الاكتسابي حاصلٌ عبر الملائكة؛ لأنّ الرّسالة إنْ كانت تعبّر عن العلم الإلهي في بعض صوره، فالشّاهد على تبليغه يُفترَض أن يكون عِلْمه في مصافّ مبَلِّغِهِ، وحتى يكون كذلك فالواجب أن يكون تلقّيه لهذا العلم من معدنه، أي أنْ يكون علمه إلهيّاً ومن قبَل الله عزّ شأنه، ما يعني أنّ تعلُّمَه لن يكون من خلال الطّرق التقليديّة للتعلُّم، وهذا ممّا يجعل الشّاهد استثنائيّاً في علمه أيضاً، ولن يكون هذا الشّخص بهذا المستوى إلا من خلال كونه شخصاً قد اصطفاه الله على ذلك حتى على الملائكة المقرَّبين.

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾(١)، فلا ريب أنّ رسولَ اللهِ رحمةٌ للخلق أجمعين سواء أكانوا من الإنس أو الجنّ أم الملائكة، وذلك للجمع المحلّى باللام وهو يفيد الاستغراق العمومي للرّحمة الإلهيّة، وتخصيص الرّحمة بخلقٍ من دون آخر يعتبر خرقاً لطبيعة الاستغراق الشّمولي من دون برهان.

وكونه صلى الله عليه وآله رحمةً للعالمين يستلزم أنْ يكونَ الفيضُ الإلهي مترشّحاً من يديه الكريمتين، وطبيعةُ الرّحمةِ ليست منحصرة في بيان التكاليف الشّرعيّة، بل تشمل كلَّ ما له علاقة بالتكوين والإيجاد، فهو - فديته بنفسي - مصدرُ النّور لطبائع الملائكة، ولا عجب أنْ تُخْلَقَ من شعاع نوره المقدَّس حسبما أفادت بعض الأخبار الصّحيحة. ولمّا كان صلى الله عليه وآله مصدراً للنور، كانت الطبائع المتكونة من شعاعه مؤتمِرة بأمره، تصدر عن إرادته واختياره، فدعوى أنه يأتمر بأمرها ويصدر عن إشارتها خُلف كونه سيّدها ومعلِّماً ورحمةً لها ولسواها.

ومنها قوله تعالى: ﴿ ..إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ ﴾(٢).

---

(١) سورة الأنبياء.

(٢) سورة الأحزاب.

إنّ مفهــومَي إذهــاب الــرّجس والطّهــارة الــواردين في عصــمة أهــل البيت عليهم السلام يعني نفي كلّ ما يؤدّي إلى الحطّ من رتبة أهل بيت العصمة، والقول بالعصمة يستلزم القول بالكمال المطلق الّذي يُفرَض أنْ يتحلَّى به صاحبها، كما لا بدّ من أن تكون العصمة عن الجهل ـ بجميع مصاديقه وظروفه وأزمنته ـ ملازمة لشخصيّة الخليفة النبيّ أو الوليّ عليهما السلام، فكونه صلى الله عليه وآله معصوماً يستلزمُ تقديمه بالعلم المطلق على عامّة الخلق ومنهم الملائكة المقرَّبون، وتوزيع العصمة على زمنٍ من دون آخر أو أنْ يكون صاحبها متحلّياً بها من بين الإنس والجنّ دون الملائكة؛ يعتبر فصماً لعراها وتفريقاً لمصاديقها بلا دليلٍ، وهو خلاف طبيعة المَلَكَة التي لا يمكن أن تُجزَّأ أو تُبَعَّض.

وأمّا الأخبار الّتي دلّت على توسّط رسول الله صلى الله عليه وآله والعِترة بين الله سبحانه وملائكته كثيرة، فمنها ما ورد من أنهم ولاة أمر الله وخَزَنة علم الله في السَّماء والأرض.

عود على بدء:

بعد تلك المقدّمة؛ نعود الآن إلى بيان الأدلّة على ما ادّعيناه من أنّ النّبي صلى الله عليه وآله والعترة عليهم السلام يعطون الأوامر في ليلة القدر، ولئن كان نزول الملائكة للإعطاء، فإنه من باب: " أنّ كثرة الأعوان دليلٌ على عظمة السّلطان "؛ وللتدليل على أنّ النّبيَّ والعِترة عليهم السلام باقون على اتصالٍ دائم

بالحضرة الربوبيّة، حتى لا يُتهَموا بالكذب والافتراء على الله سبحانه في ما يُصدرونه من تشريعاتٍ وأحكامٍ، فاستلامهم لتلكم التشريعات ليس لنقصٍ في ذواتهم الطّاهرة؛ بل لدفع التصوّر الخاطئ بحقّهم، فاقتضت الحكمة نزول الملائكة المدبّرة أمراً.

ونستدلّ على المدَّعى بأمرين:

الأوّل: العمومات والإطلاقات الواردة في الآيات والأخبار.

الثاني: بعض الأخبار الخاصّة والقرائن الحافّة بها.

أمّا بيان الأمر الأوّل: العمومات والإطلاقات الواردة في الآيات والأخبار.

لا شكّ أنّ ليلة القدر هي إحدى القنوات العلميّة التي يتمّ فيها تفصيل المجملات بإعطاء الأوامر إلى الوليّ الأكبر والحجّة الأعظم خليفة الله في أرضه الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف في زماننا، وبقيّة العترة الطاهرة عليها السلام قبل زمانه عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ومرادنا من التفصيل هو تأكيد الأمر من الله تعالى على مَنْ تنزل عليه الملائكة؛ سواء قلنا بإنّ النّزول لإعطاء الأوامر أو لأخذها، وهذا التفصيل لا يخلو من كونه إلهاماً، وإنْ كان الإلهام في جميع الأزمنة حاصلاً لكنَّ ظهورَه في ليلة القدر آكدُ وأهمّ؛ لأنّ الله عزّ وجلّ لمّا سدّ بابَ الوحي الخاص بانقطاع طريق النبوّة التشريعيّة ـ أو لأنّ موضوع النبوّة التشريعيّة هو بيان الأحكام الشّرعيّة، وموضوع ليلة القدر هو بيان التفاصيل التكوينيّة ـ

فَتحَ بابَ الإلهام أو ما يُسمّى بالنبوّة التسديديّة لطفاً بعباده وعناية بأحوالهم، وهذا الباب لا ينسدّ إلا بارتفاع دابّة الأرض وهي آخر حجّة قبل قيام السَّاعة بأربعين يوماً حسبما جاء في النّصوص المتواترة.

وبقاء الحجّة مستمرّ إلى قيام السّاعة، لا بدّ له من فيضٍ، وهذا الفيض إمّا علماً لدنياً وإمّا اكتسابيّاً عبر تلقين الملائكة؛ والثاني باطلٌ لمخالفته للأدلة القطعيّة الدّالة على أعلميّة المعصوم من الملائكة، وحضوريّة علمه وانكشاف المعلومات لديه فعلاً في مقابل انكشافها الشّأني عليه بالقوّة والإرادة والّتي عُبّر عنها بالقول: ﴿**لو شاء لعلم**﴾، فيتعيّن حينئذ الأوّل وهو أنّ علمه يكون لدنّياً من دون واسطة ملك، وما أشرنا إليه يندرج تحت العمومات القرآنيّة، وقد تقدّم شطرٌ منها وهي الآيات الآتية: الشّهادة والولاية والتطهير، بالإضافة إلى آياتٍ أُخَرى منها:

١- قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾[1].

تشير الآية المباركة إلى أمرين مهمّين:

(أحدهما): الوحي التشريعي، وإنْ كان الوحي أعمّ من التشريعي.

و**(ثانيهما)**: العلم المطلق الذي لم يُقَيَّد بعلمٍ خاصّ أو بزمنٍ محدود، وحيثّية العلم عند رسول الله ﷺ مطلقة؛ لكون الله هو المعلّم له

---

(١) سورة النجم.

مباشرةً دون واسطة أحدٍ، ودعوى أن تعليم الملائكة للرّسول في طول تعليم الله له ﷺ، مدفوعة بالآتي:

أولاً: إنّ وحي الله تعالى لرسوله في الآية صريح في التعليم المباشري، وهو المتيقّن من أقسام الوحي، وغيره مشكوك فيه، فلا يعدل عن المتيقّن إلى المشكوك إلا بدليل قطعي وهو مفقود من البَين.

ثانياً: إنّ التعليم غير المباشري يستلزم أفضليّة الملائكة على صاحب اللّيلة عليه السلام، وهذا خلاف تعلّمهم الأسماء من أبينا آدم عليه السلام، واعترافهم بنسبة الجهل إلى أنفسهم لقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾(١).

وبالجملة: الآية الشّريفة تفيد تعليمَ الله سبحانه لنبيّه الكريم بالعلم اللّدني من دون قيد التوسّط؛ لأنّ حيثيّة التعليم ـ المضافة إلى الله عزّ شأنه ـ مرسلة لا تقييد فيها، فيبقى اللّفظ منعقداً في الظّهور والإطلاق حتى يثبت العكس.

وبعبارة صناعية أخرى: عند الإطلاق يُحْمَلُ اللّفظُ على معناه الحقيقي دون المجازي؛ للتبادر العرفي والقرائن المنفصلة الدّالة على ذلك.

---

(١) سورة البقرة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[1].

في الآية الشّريفة دلالةٌ واضحةٌ على إفاضة العلم اللّدني على عبده الخضر عليه السلام، هذا العلم الّذي لا صنع للأسباب فيه حتى يحصل من طريق الاكتساب، والملائكة سببٌ من الأسباب، والوحي ليس منحصراً بنزول الملائكة، بل له قنوات أخرى وإلى ذلك أشار المولى العظيم عزَّ وجلَّ بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ... ﴿٥١﴾ ﴾[2] حيث إنّ الوحي على ثلاثة أنحاء كما أشرنا سابقاً خلال بحثنا حول العلم اللدني الخاص بالمعصومين من آل محمَّد عليهم السلام؛ فليراجع هناك.

وزبدة المخض: إنّ النّبي صلى الله عليه وآله وعترته الطّاهرة عليهم السلام أكرم على الله من أن يتركهم إلى ملك ولا ينير لهم الدّلائل الواضحة على إمامتهم وولايتهم في تلك السّاعة الحرجة، قال الله تعالى حاكياً عن تلك الشّخصيّة الكريمة عنده عزّ وجلّ: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ ﴾[3].

(١) سورة الكهف.

(٢) سورة الشورى.

(٣) سورة الطور.

فمن كان في عين الله ورعايته لا يحتاج إلى ملك يُلقي عليه بعض المعارف وقد جعله شاهداً على الأمة يرى تفاصيل أعمالها.

٣- قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾[1].

تشير الآية الشّريفة إلى ثلاث رؤىً: رؤية الله تعالى، ورؤية رسوله، ورؤية جماعة من المؤمنين الكاملين.

وتختلف الرّؤية الأولى عن الثانية والثالثة من حيث ماهيّة وطبيعة كلٍّ رؤية؛ لأنّه من المعلوم أنّ الرّؤية لغةً هي: إدراك المرئي بالعين أو القلب، لكنَّ المتبادر من الرّؤية ـ عند الإطلاق وعدم وجود قرينة لفظيّة أو لبيّة ـ هو الرّؤية البصريّة، وحيث إنّ الله سبحانه وتعالى لا يُدْرَك بالبصر، تُحْمَلُ الرؤيةُ حينئذ على الانكشاف المجرّد عن المادّة، أمّا رؤية رسوله ووليّه، فتُحْمَلُ على الرؤية البصريّة والقلبيّة معاً، فهما يريان بعينيهما وقلبيهما أعمالَ العباد وتتكشّف لهما الحقائقُ والوقائع، وإنْ كانت الغاية القصوى من رؤية النّبي والوليّ (عليهما السلام) هي الرّؤية الحضوريّة ليتميزا عن بقيّة النّاس من ناحية كشف العمل، بل إنّ الجميع متساوون فيه، وهو يعمُّ كلَّ مَنْ يكون العمل بمنظره ومرآه حتى المنافقين والكافرين، فلا بُدَّ أنْ تنفذ

(١) سورة التوبة.

رؤيتهم إلى صميم العمل وروحه، وتحيط بحقيقته ومبادئه النّفسيّة، ومن الضّروري عدم حصول مثل هذه الرّؤية لجميع المؤمنين.

فكما أنّ الله تعالى يرى حقائق أعمال العباد - لكن لا بعينٍ ماديّة - كذلك الرّسول وهؤلاء المؤمنون يرونها بالإشراف والتطلّع عليها، وقد أشارت إلى ذلك روايات كثيرة وردت في عرض الأعمال على النّبي والإمام عليهما السلام كلّ يوم وليلة.

وبهذا يتضح وجود مسانخة بين رؤية الله تعالى ورؤية الرّسول والمؤمنين لأعمال العباد لاقتران رؤيتهما برؤية الله عزّ شأنه، فالآية تدلّ على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام ـ وهم المؤمنون حقّاً ـ يرون كلَّ ما يعمله العباد رؤيةً لا تتمُّ إلا بالإشراف الوجودي على الأعمال ومنابعها النّفسيّة.

ويوجد تناسق بين مدلولات آية رؤية الأعمال في سورة التوبة وبين آية الشَّهادة في سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ... ﴿١٤٣﴾﴾[1] من حيث ماهيّة التطلّع والشّهود، فكما أنَّه من الطبيعي عدم تحقّق الشّهادة في الآية إلا بالحضور والإشراف على المشهود عليه ثمّ أداء الواقع بدقّة، فكذلك لا تتحقّق رؤية الأعمال في الآية المبحوث فيها إلا بالحضور والإشراف على العمل المرئي، بل الإشراف

(١) سورة البقرة.

أيضاً على النيّة الباطنيّة لكونها من مبادئ العمل ؛ لأنّ الشّهادة والرّؤية لا تقتصران على مجرّد شكل العمل وصورته الظّاهرة المتقضية، وإنما تكون أيضاً على السريرة والباطن في كون العمل طاعةً أو معصيةً، فلا بُدَّ ـ إذاً ـ من أنْ يكونَ مثل هذا الرّائي أو الشّاهد أو الشّهيد واقفاً على الضّمائر ومطّلعاً على السّرائر في النّشأة الدّنيا ؛ لكي تتحقّق مقوّمات الشّهادة يوم القيامة وفي النّشأة الأخرى.

ويظهر هذا المعنى في قوله تعالى حاكياً عن النبيّ عيسى بن مريم عليهما السلام وجوابه لله سبحانه في ذلك الموقف العظيم يوم الحساب ﴿..وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾[1] ؛ ذلك لأنَّ اقتران شهادة المسيح على أُمّته، ورقابته عليهم بشهادة الله ورقابته عليهم، يُظهر مدى التشابه بينهما رغم أنّ شهادة المسيح عليه السلام شعاع من تلك الشهادة، وهذا لا يتمّ إلا بالإشراف والإطّلاع على القلوب.

إشكالية في تعارض الأخبار مع الآيتين الكريمتين !

إنَّ آيتي الشهادة ورؤية الأعمال نصّان قطعيّان في إثبات علم الرسول والأئمّة عليهم السلام بأعمال العباد التفصيليّة ؛ لكن قد وقعت إشكالية في معارضة مدلول أخبار العرض لتينك الآيتين، حيث إنّ تينك الآيتين تدلان

(١) سورة المائدة.

ظاهراً على إشرافهم المستمرّ على الأعمال بل على أسسها ومبادئها النّفسيّة التي تصبغ العمل بالإطاعة والعصيان، في حين نجد أنّ بعض الأخبار توهِم عدم إشرافهم على الأعمال حين صدورها من الفاعلين وتدلُ على العرض عليهم، فعلامَ العرض يا تُرى إذا كانوا مشرفين على الأعمال وعلى مبادئها النفسيّة، لا سيّما وأنّ أخبار العرض تتعارض مع تينك الآيتين ما يقتضي ـ وللوهلة الأولى ـ طرحها حسب قواعد الترجيح الفِقهيّة والرّجاليّة وموازين الاستنباط؟!.

لكنَّ الإنصاف أنّ هذا الاختلاف أو التعارض يرتفع بعد التأمّل في مراتب العلم والشّهود، وذلك أنّ للعلم مراتب متفاوتة، والطّرح المذكور إنّما يتمّ فيما لو كان تعارضاً بيّناً لا يمكن من خلاله الجمع بين الأخبار والآيات؛ وإلا فالقاعدة تقتضي عرضَ الأخبار على الكتاب فما وافقه يؤخذ به، وإلا يُضْرَبُ بمخالفه عرض الحائط، وهكذا فليس في موردنا تعارضٌ بالشّرط المذكور حتى يُدَّعى طرحه للنكتة التي ذكرناها آنفاً، لا سيّما وأنّ التعبير بالعرض تعبيرٌ عن بعض مراتب العلم والشّهود، ومن هنا يمكن أن نصحّح العرض على الله تعالى يوم الخميس حسبما ورد في صحيحة يونس، مع أنه تعالى لا يعزب عن علمه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السّماء.

كما أنّ إشرافهم على الأعمال ومبادئها النّفسيّة هو بعض مقتضيات علمهم الحضوري، وكونهم شهداء على الخلق وتشهد لذلك عدّة حيثيات:

(الحيثية الأولى): علمهم عليهم السلام بالغيب بسبلٍ تختلف عن سبلِ غيرهم من النّاس كما دلت عليه الأخبار الشريفة، وهو ظاهر لمن جاس ديارهم المقدَّسة، مضافاً إلى أنّ الآيات الّتي دلّت على صلاحيّة اطّلاع الأنبياء والمرسَلين على عوالم الغيب كقوله تعالى: ﴿..وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْۚ... ﴿٤٩﴾﴾[1] ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ... ﴿٤٤﴾﴾[2] ﴿..وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ... ﴿١٧٩﴾﴾[3] فإنها تدلّ بطريق أولى على اطّلاع آل البيت عليها بل على ما هو أبعد منها لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[4] ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[5]، وحيث إنّ آل إبراهيم هم رسول الله محمّد وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، وحيث إنّ النّبي محمّداً صلى الله عليه وآله أفضل من إبراهيم الخليل بإجماع الأمّة، فإنّ آل محمّد عليهم السلام هم نفس النّبي ﴿..وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ... ﴿٦١﴾﴾[6] وقوله صلى الله عليه وآله: «**فاطمة**

---

(١) سورة آل عمران.

(٢) سورة آل عمران.

(٣) سورة آل عمران.

(٤) سورة الأحزاب.

(٥) سورة آل عمران.

(٦) سورة آل عمران.

بضعة منّي وروحي التي بين جنبيّ﴾، وقوله: ﴿**أنا من عليّ وعليّ منّي والحسن منّي**﴾، و﴿**الحسين منّي**﴾، لذا فإنهم أفضل من إبراهيم الخليل عليه السلام وعامّة الأنبياء والمرسلين.

(الحيثية الثانية): أنهم واسطة الفيض الإلهي والحبل الممدود بين الأرض والسَّماء وهو ما يعبّر عنه بالولاية التكوينيّة وهي من توابع علمهم الحضوري الّذي هو حضور المعلوم بوجوده الخارجي عند العالم، وهذا لا ينطبق في المقام إلا على علم العلّة بالمعلول، لذا فهم عليهم السلام العلّة الغائيّة لخلق الكائنات حسبما أفاد حديث الكساء ونظائره من الأخبار المقدَّسة، منها ما رواه المحدِّث الكليني في كتابه الجليل "أُصول الكافي" عن مولانا الإمام الصّادق عليه السلام قال: ﴿**إنّ الله خلقنا فأحسن خلقنا وصوّرنا فأحسن صورنا، وجعلنا عينه في عباده ولسانه النّاطق في خلقه، ويده المبسوطة على عباده بالرّأفة والرّحمة، ووجهه الّذي يؤتى منه، وبابه الّذي يدل عليه، وخزانه في سمائه وأرضه، بنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار وجرت الأنهار، وبنا ينزل غيث السَّماء وينبت عشب الأرض، وبعبادتنا عُبد الله، ولولا نحن ما عُبدَ الله**﴾.

(الحيثية الثالثة): العصمة من الضّلال والجهل، فإنّ إطلاق الوسط وعدم تقييده بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ

عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴿١٤٣﴾.... ﴾[١] يدلّ على أنهم في قلب الوسط الحقيقي، لذا فهم معصومون عن الانحراف والإفراط والتّفريط.

مضافاً إلى أنّ الله تعالى قد اصطفاهم من بين النّاس بمقتضى قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ.. ﴿٣٣﴾ ﴾[٢] والاصطفاء هو بعينه الاجتباء لقوله تعالى ﴿ ..وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾ ﴾[٣] ﴿ ..هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ... ﴿٧٨﴾ ﴾[٤].

وليس المراد من الاجتباء الانتقاء الظّاهري، فيشمل كلَّ أفراد الأمّة حسبما تصوّر جمهور العامّة ووافقهم بعض دعاة الوحدة ممن ينتسبون إلى التشيّع شكلاً لا واقعاً وحقيقةً، بل المقصود هم فئة خاصّة من خواص عباد الله تعالى ممن لا سلطة لإبليس على أفكارهم ومشاعرهم، إذ من الواضح أنّ الاجتباء يعني الاصطفاء من كلٍّ ما يدنس الفطرة ويشوبها بالأكدار، وهؤلاء هم المخلَصون [بالفتح] الّذين أخلصوا نفوسهم لله تعالى لذا حكى

(١) سورة البقرة.
(٢) سورة آل عمران.
(٣) سورة الأنعام.
(٤) سورة الحج.

عزّ شأنه عنهم بقوله الكريم: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾(١).

وقال عزّ وجلّ في حقّ النبيّ يوسف عليه السلام: ﴿ ..كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾(٢).

فإذا ثبت صرف السّوء عن عبده يوسف عليه السلام فما ظنّك بمن كان الله عزّ وجلّ يتولّى أمره في كلّ لحظة من عمره، عنيت به رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله تعالى: ﴿ ..وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾(٣).

(الحيثية الرّابعة): إنّ شهادتهم على الخلق تستلزم ديمومة حضورهم وإشرافهم على الأمم في كلّ قرنٍ؛ وإلا فإنّ فرض الشّهادة ــ من دون ما ذكرناه آنفاً ــ يعتبر خدشاً في مقاماتهم المقدَّسة التي رتّبهم الله تعالى فيها.

روى الكليني عن سماعة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾(٤) قال عليه السلام: « **نزلت في أمّة محمّد خاصّة، في كلّ قرنٍ منهم إمام منّا شاهد عليهم، ومحمّد شاهد علينا** ».

---

(١) سورة الحجر.

(٢) سورة يوسف عليه السلام.

(٣) سورة النساء.

(٤) سورة النساء.

والقول بأنهم شهداء يقتضي الاعتقاد بحضوريّة علومهم، وأنه لا يتخلّف المعلوم عندهم لحظةً ما، فتصوُّر أنهم يتلقّون العلوم في ليلة القدر من دون سبق المعرفة قبلها هو خُلف الإعتقاد بعلمهم الحضوري الذي دلت عليه الأدلة، مضافاً إلى مخالفته للأدلّة والأخبار.

٤- قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾[1].

تثبتُ الآيةُ الشّريفةُ ـ وهي خاتمة سورة الرّعد المكّية ـ العلمَ الحضوري والإحاطةَ التفصيليّة الّتي يتحلّى بها مَنْ عنده علم الكتاب، الشّاهد ـ بعد الله تعالى ـ على رسالة سيّدنا محمّد ﷺ، حيث عُطِفَت الشّهادةُ الثانية على شهادةِ الله تعالى التفصيليّة قطعاً، ما يقتضي تلازم شهادة مَن عنده علم الكتاب بشهادة الله العليّ القدير، وهذه الآية المباركة كغيرها من الآيات التي جاءت في سياق دفع شبهات الجاحدين والمنافقين والمعاندين ممن تعاموا عن الآيات الواضحة والحجج السّاطعة على الحق والرّسالة، وطلبهم من النّبي ﷺ الحجّة تلو الحجّة تبريراً لعنادهم وحجودهم، لذا قصّ علينا القرآن الكريم عن ذلك في مواضع متعدّدة منها قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۗ... ﴿٢٧﴾﴾[2] ولما نزلت الآيات لم يؤمنوا

(١) سورة الرعد.

(٢) سورة الرعد.

بل طلبوا منه ـ تعجيزاً ومراءً ـ أنْ يفيض عليهم ما لا يمكن باعتقادهم ضمناً أنْ يحقّقه فقالوا له: ﴿ ..لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ۝٩٣ ﴾[1].

ومن الواضح أنّ إعراضهم لم يكن لنقصٍ في حجج النّبيﷺ وآياته؛ ولكنّ الظّالمين بآيات الله يجحدون، فما تغني الآيات والنّذُر عن قوم لا يؤمنون؛ وتتعدّد الأجوبة على هؤلاء، فتارةً يقول لهم: ﴿ ..إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ۝٢٧ ﴾[2] متعجّباً من موقفهم المعاند المكابر بعد بعد كلّ هذه الآيات السّاطعة التي أوتيها الرّسولﷺ على الرّغم من أنه تحدّاهم بمعجزة القرآن وما يصدر منه من معجزات وكرامات تأخذ بأعناقهم إلى الإذعان النّفسي وإنْ جحدتها ألسنتهم: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا... ۝١٤ ﴾[3].

---

(١) سورة الإسراء.

(٢) سورة الرعد.

(٣) سورة النمل.

وتـارةً أخـرى يقـول في جـواب اقتراحهـم للآيـات إذا رأى مـنهم عـدم الإذعان ولو احتمالاً ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ ﴾[1].

وثالثةً يتحـدّاهم ليبكّتهم ويبهـتهم بحيث لا يـترك لهـم مجـالاً للسّـخرية والهمـز واللّمـز، فيـأتي النّصـير الإلهـي ويكتسـح قـوّتهم ويقتلـع شـوكتهم مسـدِّداً سـهامه المـرّة علـى أفكـارهم وقلـوبهم بمـا آتـاه الله مـن المعجـزات والكرامـات نظـير الـنبي محمّـد ﷺ ونفسـه الـتي بـين جنبيـه؛ أي: أمـير المؤمنين عليه السلام، فيقول لهم عنه: ﴿ ..قُلْ كَفَىٰ بِـٱللَّهِ شَـهِيدًۢا بَيْـنِى وَبَيْـنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾[2]، حيث أراد المولى عزّ ذكره أنْ يمدّ نبيّه الأكرم بالعزم القويّ والتثبيت تلو التثبيت، ليشدّ أزره ويزيـد إصراره على الحقّ دون أيّ إلتفات لتقولات الجاّحدين؛ فيخاطبه الله تعالى ذكره بـالقول مسلّياً فؤاده بأخيه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وهـو رسـولٌ مبعـوثٌ مـن قبـل الله سبحانه وحجّته المطلقة تماماً كرسـول الله محمّـد ﷺ وحجّتـه: ﴿ قَـدْ نَعْلَـمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ

---

(١) سورة الإسراء.

(٢) سورة الرعد.

يَجۡحَدُونَ ٣٣ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ... ٣٤ ﴾[1].

لقد أمدّ اللهُ سبحانه نبيَّه بالنّصر، وهذا لا يكون إلا بوسائل ومعدّات، أهمّها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث كرَّم الله تعالى نبيّه به عليه السلام إذ هو النّصر الّذي ذكره في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾[2] وهل حقَّقَ الإسلامُ نصراً إلا ببطولاتِ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام؟ إذ لولا فكر الإمام عليّ المرتضى عليه السلام وسيفه البتار لما انتشر الإسلام في تلك المنطقة الصحراويّة الجافة القاسية وأهلها الغلاظ الشّداد الذين لا يعرفون أيَّ معنى للرّحمة والشّفقة.

إنّ الإسلام يدين بالولاء الكامل لمولى الثقلين أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، إذ لولاه لم يصمد ـ هذا الإسلام ـ أمام تيّارات الكفر والشّرك والنّفاق؛ من هنا جعل الله الإمام عليّاً عليه السلام عديلاً بشهادته وعلمه لشهادة الله تعالى وعلمه، وكفى به كرامة وفضلاً.

ومن الواضح أنّ سرّ هذه الكرامة والجّلالة هو توفّره على علم الكتاب، فما أجَلّ هذا العلم وأرفع قدره!.

---

(١) سورة الأنعام.

(٢) سورة النصر.

وقد أشار القرآن العزيز إلى حقيقة من له ﴿علمٌ مِنَ الكتاب﴾ وهو آصف بن برخيا الذي استطاع أن يتصرّف بأمر التكوين ونظامه بقوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ...﴾[1].

فإذا ثبت لآصف بن برخيا ـ وزير النّبيّ سليمان ـ أن يأتي بعرش بلقيس من سبأ في أقلّ من ارتداد الطّرف ـ وهو عملٌ عجيبٌ خارقٌ للعادة ـ، فكيف بمن عنده علم الكتاب كلّه؟! ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٧٣ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾[2]، واقتران شهادة من عنده علم الكتاب بشهادة الله العظيم يستلزم عصمة من عنده علم الكتاب، إذ من المستحيل أن يقرن الله تعالى شهادَته بمن لا يكون بمستوى تحمّل الشّهادة الواقعيّة لا الظّاهريّة كما يتوهّم السذّج من العلماء قياساً على ما جاء في قوله تعالى: ﴿..وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ... ۝١٠﴾[3] أو ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝١٩٧﴾[4] حيث فسّروا "الشّاهد" في آيات الشّهادة المبحوث فيها هنا بـ" أهل الكتاب " أمثال عبد الله بن سلام وابن

(١) سورة النمل.

(٢) سورة آل عمران.

(٣) سورة الأحقاف.

(٤) سورة الشعراء.

صوريا، وهو قياسٌ باطلٌ؛ إذ لا يمكن أن يكون الشّاهد العظيم هو عبد الله بن سلام وأمثاله، سواء كانت آية الشهادة نازلة في مكّة أو المدينة.

من هنا يتضّح الخلط الّذي قد يُلاحَظ لدى جلّ مفسّري العامّة بين من عنده علم الكتاب وأهل الكتاب، توهّماً منهم بأنهما مفهومان متحدان، ولذا فهم يطبّقونه على ابن سلام وأمثاله، وتلك مغالطة نشأت من التشابه اللّفظي بينهما، ولعلّ هؤلاء كانوا سيفسّرون آية: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ... ۝٤٠ ﴾[1] أيضاً بالطريقة المغلوطة نفسها لولا وقوع هذه الآية الشريفة في قصّة النّبي سليمان عليه السلام !!.

وهذا الخلط والاشتباه والضّلال ناشيء في الواقع من ترك التمسّك بالثقلين، وقد أُمروا بأن يتمسّكوا بهما لقوله صلى الله عليه وآله في الحديث المتواتر بين الفريقين: ﴿ **إني مخلّف فيكم الثقلين، ما إنْ تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي** ﴾، وفي تعبير آخر: ﴿ **لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض...** ﴾. فقد حدّد حديثُ الثقلين المصداقَ الوحيد الّذي تنطبق عليه آية ﴿ ..وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ۝٤٣ ﴾[2].

---

(١) سورة النمل.

(٢) سورة الرعد.

فأهل البيت عليهم السلام هم الّذين عندهم علم الكتاب؛ وعلى رأسهم الإمام أسد الله الغالب مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فهم ـ حصراً ـ من يملك أهليّة التصرّف الكامل بنظام التكوين.

ويشهد لما قلنا الأخبار الكثيرة في مصادر الفريقين في أنّ آية ﴿ ..وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ مختصّة بأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فمن طرق القوم ما رواه ابن المغازلي الشّافعي مسنداً عن عبد الله بن عطاء قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام جالساً إذ مرّ عليه ابن عبد الله بن سلام، قلت: جعلني الله فداك، هذا ابن الّذي عنده علم الكتاب؟ قال عليه السلام: **" لا، ولكن صاحبكم عليّ بن أبي طالب عليه السلام الّذي نزلت فيه آيات من كتاب الله عزّ وجلّ:** ﴿ ..عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ... ﴿٤٠﴾ ﴾ ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ... ﴿١٧﴾ ﴾ ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ... ﴿٥٥﴾ ﴾".

ومن طرقنا روايات متضافرة:

(منها): ما رواه ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب في الصّحيح عن بريد بن معاوية قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ قال عليه السلام: " **إيّانا عنى، وعليّ أوّلنا وأفضلنا وخيرنا بعد النّبي**". وما سبق في حديث الثقلين من ربط كتاب الله بالعترة، والعترة بالكتاب، ليس معناه حصر الكتاب بالقرآن في آية ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ وإن كان القرآن جزءاً من الكتاب الكبير الّذي هو

اللّوح المحفوظ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ ﴾[1]، وهذا الكتاب المكنون هو نفسه اللّوح المحفوظ لقوله تعالى: ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوۡحٍ مَّحۡفُوظِۭ ۝٢٢ ﴾[2]؛ فالمراد من الكتاب هو الأعمّ من القرآن، والعالِم بهذا الكتاب لا بدّ أن يكون ذا مقامات يقينيّة واضحة حيث يمكن من خلالها الوقوف على عوالم الملكوت ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٨٣ ﴾[3] والملكوت هو باطن التكوين، وصاحب الملكوت هو الله تعالى حيث أوجد نظام التكوين، وهو يتصرّف فيه كيفما شاءت حكمته، وهذا الملكوت لا يتحقّق إلا من خلال العلم، إذ من دون العلم لا يمكن أن يكون ثمة إرادة تكوينيّة تكون علّةً للتصرف في التكوين، وليس كلُّ علمٍ يكون سبباً مؤثراً في نظام التكوين؛ لأنَّ المؤثر هو العلم الرّبوبي، وهذا يمكن إعطاؤه لبعض العباد المخلصين فتكون إرادتهم كاشفة عن إرادة الآذن والمرخّص لهم في إيجاد التكوين.

وعلّة الإذن والترخيص لهم تكمن في أنهم وصلوا إلى مقاماتِ عين اليقين ﴿ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ

(١) سورة الواقعة.

(٢) سورة البروج.

(٣) سورة يس.

﴿٧﴾﴾[1]، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[2]، والأمر بالهداية الوارد في الآية ليس هو الأمر التشريعي ؛ لأنَّ الأمر التشريعي لا يختصّ بالإمامة، إذ بمقدور أيِّ مؤمنٍ أن يأمر بالأمر التشريعي، فلا بدّ أن يكون هذا الأمر هنا هو الأمر التكويني، ومعنى ذلك أنّ الّذي يقف على الملكوت لا يمكنه ذلك إلا من خلال مصاحبة الأمر التكويني أو يلبس لباس التكوين.

والعلم بالكتاب ملازم للتصرّف في عوالم التكوين، فكما أنّ الّذي عنده علم من الكتاب كان علمه منشأً لهذا التصرّف، فكذا مَن عنده علم الكتاب فإنّ له ذلك بطريق أولى، وإلا لو لم يكن ثمة أثر لهذا العلم من الكتاب في هذا التصرّف التكويني فلا معنى لأنْ تُذكَرَ هذه الحقيقة في وسط قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ و﴿..قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَۚ... ﴿٤٠﴾﴾ إذ كان بمقدور الآية أن تقول: " قال فلان أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك "، من دون ذكر قيد ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ...﴿٤٠﴾﴾.

وبالجملة: فإنّ العالِمَين بالكتاب وببعض الكتاب التكوينيين لهما السّيطرة والهيمنة على الأشياء التي لهما ولاية عليها بإذن الله تعالى شأنه ؛ لأنّ

---

(١) سورة التكاثر.

(٢) سورة السجدة.

الفعل الصّادر منهما أمر خارق للعادة لا يمكن للسّبل العاديّة أن تتكفّل بتحقيقه، بل لا بدّ له من أمرٍ إلهيٍّ يُخرِجُهُ من حالته الطبيعيّة إلى الواقع المراد تحقّقه خارجاً؛ لأنَّ الإعجاز التكويني داخلٌ في الوجود الإمكاني، وكلُّ شيء مملوك لله تعالى، إذاً لا بدّ أن يكون بإذن الله عزّ ذكره، وكما لا بدَّ لصاحب الإرادة التكوينيّة من علم تفصيلي بالشّيء التكويني لكي يتحقّق خارجاً، كذا لا بدَّ من توفُّره للشّاهد، سواء أكان نبيّاً مرسلاً أو وليّاً حجّة؛ لأنّ معنى الشّهود ـ كما قلنا ـ هو أن يكون له حضورٌ دائم على النّظام التكويني المشهود عليه، من هنا جاءت النّصوص لتضيء هذه الحقيقة، فقد روى الكليني عدّة أخبار تشير إلى ماهيّة الاسم الأعظم الّذي من خلاله يمكن السّيطرة على عالم التكوين، ففي خبرٍ عن المولى الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿ **إنّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السّرير بيده، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، ونحن عندنا من الإسم الأعظم إثنان وسبعون حرفاً** ﴾.

وتجدر الإشارة إلى أنّ العلم في الآية والخبر ليس هو العلم الحصولي، بل هو مستوىً من العلم أعلى من العلم الحصولي، علم يستطيع صاحبه أن يتصرّف بواسطته في نظام التكوين، إذ ليس من شأن الحصولي أن تكون له

هذه الميزة الإعجازيّة ؛ وإلا لكان حصل عليها ذوو العلم الحصولي وهو ما لم يتحقق بالوجدان والضرورة القطعية ، بل ذلك من شأن الحضوري ذي المستوى الملكوتي الملازم لمرحلةِ عينِ اليقين.

٥- قوله تعالى : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[1].

تشير الآية المباركة إلى رسوليّة عيسى (على نبيّنا وآله وعليه السَّلام) وقدرته على الخلق والشّفاء وإحياء الموتى ؛ وهو ما يسمّى بالولاية التكوينيّة ، مضافاً إلى قدرته على استكشاف ما وراء الغيب ، حيث كان بإمكانه إخبارهم بما يخبِّئون في منازلهم وغيرها وما يأكلون ، وهذا كلّه موضوعات كثيرة خارجة عن وظائفه التبليغيّة ؛ لكنّه أراد أن يثبت لهم أنّ القدرة الإلهيّة لا حدّ لها وأنّ من ارتبط بها مخلصاً بالقرب منها صار كلمته التكوينيّة لا يريد سوى ما أراده الله تعالى ، وقوله قول الله ؛ لأنَّ من أخلص لله عزّ وجلّ أخلص الله سبحانه وتعالى له ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ

---

(١) سورة آل عمران.

أَشُدَّهُۥ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[2] وحديث قرب النّوافل: " **ما يزال العبد يتقرّب إليّ بالنّوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت عينه التي يرى بها ولسانه الّذي ينطق به وأذنه التي يسمع بها...**".

فمن بلغ أشدّه في الإخلاص والتوجه أفاض عليه الرّب المتعال من نعمه التي لا تُحصى، وجوده الّذي لا ينفد، إذ مَن تقرَّب إلى الله ذراعاً تقرّب إليه شبراً، وفي حديث مولانا الإمام الصّادق عليه السلام: ﴿ **مَن أخلص لله أربعين صباحاً تفجّرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه** ﴾.

ومعنى كونه تعالى عين العبد ولسانه وأذنه أنّه عزّ وجلّ يفيض على تلكم الحواس من رحمته فتصير مباركة بمدد الله سبحانه، فيكون صاحبها مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ ..فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[3] ﴿ ..وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ... ﴿١٧﴾ ﴾[4] ﴿ ..إِن **تَنصُرُوا** ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾[5] ﴿ ..وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ

(١) سورة يوسف عليه السلام.

(٢) سورة القصص.

(٣) سورة ق.

(٤) سورة الأنفال.

(٥) سورة محمد صلى الله عليه وآله.

ٱلۡأَقۡدَامَ ﴿١١﴾ ﴾[1] ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ... ﴿١٠٢﴾ ﴾[2] ﴿ ..يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ... ﴿٢٧﴾ ﴾[3] ﴿ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ... ﴿٨٨﴾ ﴾[4] ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[5].

زبدة المخض: إنّ رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام لّما أخلص لله تبارك وتعالى ، صار فِعلُه فِعلَ الله ، وقولُهُ قولَ الله وإرادتُهُ إرادةَ الله بمقتضى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾[6]، ﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ ﴾[7]، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٩﴾ ﴾[8]، ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ

---

(١) سورة الأنفال.

(٢) سورة النحل.

(٣) سورة إبراهيم عليه السلام.

(٤) سورة المؤمنون.

(٥) سورة الأعراف.

(٦) سورة القمر.

(٧) سورة مريم عليها السلام.

(٨) سورة سبأ.

وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾[1]، ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾[2].

ولو أنّ النّاس أخلصوا الإنابة إلى الله عزّ شأنه لما تأخّر عنهم اللهُ تعالى لحظةً واحدة، ولكنّهم أخلدوا إلى الأرض، فمسخ أرواحَهم قردةً وخنازيرَ، وكانوا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾[3]، ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ... ﴿٩٦﴾ ﴾[4]، ومن منطلق الرّحمة دعاهم عيسى عليه السلام إلى الطّاعة ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[5] لكنّ بني إسرائيل استكبروا وانحرفوا عن الصّراط، أمّا المؤمنون بالله سبحانه وبدعوة النبيّ

(١) سورة الزخرف.

(٢) سورة ق.

(٣) سورة الأعراف.

(٤) سورة الأعراف.

(٥) سورة آل عمران.

عيسى عليه السلام فقد صاروا أنصار الله ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا.. ﴿١١١﴾﴾[1] ﴿۞فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾[2].

وبناءً عليه: فإذا ثبت لنبيِّ اللهِ عيسى عليه السلام من الكرامة والمنزلة ما جعل فعلَه فعلَ اللهِ وكلمتَه كلمةَ اللهِ وولايتَه على الأشياء ولايةَ الله تعالى، ثبت ذلك بطريق أوْلى لرسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وآله الميامين؛ لكونهم أفضل من النبيِّ عيسى عليه السلام، فلهم من الولاية التكوينيّة التي كانت لنبيِّ الله عيسى عليه السلام بل أعظم بحسب المطلقات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة الشّريفة، فالشّك في وصولهم إلى تلك المنازل والكرامات يستلزم نسفَ ما نزل على رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله من الآيات الدّالة على علوّ فضله وآل بيته الكرام ﴿..إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[3].

٦- قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾[4].

تشير الآية الشّريفة إلى مسألتين مهمّتين:

---

(١) سورة المائدة.

(٢) سورة آل عمران.

(٣) سورة الأحزاب.

(٤) سورة مريم عليها السلام.

الأولى: إيتاء الكتاب لعيسى عليه السلام.

الثانية: كونه نبيّاً قبل بلوغه.

إنَّ إيتانه الكتاب ملازم لكونه عبداً لله تعالى، وصفة العبوديّة من خواص شخصيّة الأنبياء والمرسلين والأولياء المقرَّبين، ولا يمكن الوصول إلى مقام الرّسالة أو الإمامة من دون بلوغ مقام العبوديّة، بل لا بدّ من استمراريّة صفة العبوديّة في ذوات الأنبياء والأولياء لكونها من اللّوازم التي لا تنفك عن مقام القرب مع الله تعالى؛ لأنّ العبوديّة لله عزّ شأنه تعني افتقار المعلول إلى العلّة بقاءاً واستمراراً، كما كان محتاجاً وفقيراً إلى العلّة حدوثاً ووجوداً؛ لأنَّ كلَّ ما دون الله تعالى هو ممكن، لكون الإمكان لازماً لماهيّة الممكن ويستحيل رفعه عنه، وإلا لزم انقلاب الممكن من الإمكان والحدوث إلى الوجوب أو الإمتناع، وكلاهما باطل بالضّرورة.

من هنا فإنّ روح الله عيسى عليه السلام لم يتعالَ على أن يكون عبداً لله تعالى؛ لأنّ التعالي عن العبوديّة يستلزمُ انفكاكَ صفة لازمة لشخصيّته الفذّة العابدة المتواضعة، وهذا يعتبر خروجاً بعينه عن المملوكيّة والانعتاق من أسر العبوديّة للمولى عزّ وجلّ؛ وهو الكفر بعينه، يتنزّه عنه أبسط المؤمنين فكيف برجلٍ عظيمٍ كعيسى عليه السلام حيث تصفّى بالعبوديّة لله تعالى وتذلّل إليه بخشوعه وتواضعه وفقره الذّاتي:

﴿ ۞يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝١٥ ﴾[1].

﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ... ۝١٧٢ ﴾[2].

﴿ ۞ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ... ۝٧٥ ﴾[3].

لقد حافظ النبيُّ عيسى عليه السلام على مستوى مملوكيّته وعبوديّته للمولى عزّ وجلّ وسيبقى إلى يوم القيامة، وكونه عبداً حقيقيّاً لله عزّ شأنه يستلزم أن يكون عارفاً بالله ومحيطاً بخصوصيّات مالكه وسيّده الّذي أفاض عليه نعمةَ الوجود، فصار قابلاً لأنْ يكون نبيّاً ورسولاً مطّلعاً على الكتاب التكويني لعوالم الوجود، وليس المراد بالكتاب التكويني الإنجيل كما تصوّر بعض السذّج، ودعوى مساواته لرسول الله محمّد وعترته الطّاهرة في علمه بما في الكتاب فلا ميزة لهم عليه؛ مدفوعة، وذلك لكون معرفته بما في الكتاب التكويني "اللّوح المحفوظ" مخصّصةً بما كان خاصّاً بأهل زمانه، وهو تماماً كتفضيل بني إسرائيل ـ حسبما ورد في قوله تعالى: ﴿ ..وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَـٰلَمِينَ ۝٤٧ ﴾[4] - على عوالم زمانهم من حيث كثرة خروج الأنبياء منهم.

---

(١) سورة فاطر.

(٢) سورة النساء.

(٣) سورة النحل.

(٤) سورة البقرة.

كما أنَّ إيتاءَه للكتاب لمّا كان في المهْدِ صبيّاً ـ بل مذ وُجِدَ في عالم الأنوار ـ يستلزم إحاطته بالكتاب من دون واسطة ملك بينه وبين ذاك الكتاب، ما يعني الاعتقاد بعلمه اللّدني.

إشكالية الملازمة بين نزول الوحي والعلوم الكسبيَّة: لقد طرأت شبهة على القشريين من العلماء مفادها: وجود ملازمة بين نزول جبرائيل بالعلوم والمعارف على النبي عيسى وعلى بقيّة الأنبياء والمرسلين، ما يستوجب القول بأنّ علوم الأنبياء كسبيّة بواسطة الملائكة أو النّقر في الأسماع حسبما جاء في بعض الأخبار مدفوع بوجوه متعددة هي الآتية:

(الوجه الأوّل): عدم حصر الوحي بهبوط جبرائيل أو نقر الملائكة في الأسماع؛ ذلك لأنَّ الوحي أعمّ من هذا طبقاً للتقسيم السّابق الوارد في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[1].

فنزول المَلَك بإلقاء الوحي التشريعي والنّقر في الأسماع هما وسيلتان غيبيتان لتعريف النبي والإمام (سلام الله عليهما) إلى قومهما، وأنَّهما مرسلان من قبَل الله تعالى؛ دفعاً لتصوّر أنّهما يشرعان من عند أنفسهما، أو دفعاً لمحذور الغلو أو الاستقلال عن الإرادة الإلهيّة.

(١) سورة الشورى.

(الوجه الثاني): لقد ثبت بالآيات والأحاديث وجودُ العلم اللّدني الحاصل من دون واسطة ملك نظير ما حصل لوليّ الله الخضر عليه السلام بقوله تعالى: ﴿..وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾[1]؛ فالإتيان بنون العظمة إشارة إلى معارفه من الله مباشرةً، مضافاً إلى أنّ الله تعالى علّم آدم الأسماء بقوله عزّ شأنه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ... ﴿٣١﴾﴾[2]؛ فالمعلّم لآدم عليه السلام مباشرةً هو الله سبحانه وليس الملائكة بحسب ظاهر الآية، إذ كيف تعلّمه الملائكة ثمّ يأمر اللهُ سبحانه بأن يعرض ما تعلّمه منهم عليهم؟!.

فالصّحيح أنّ الله تعالى ألهمه مباشرةً العلومَ والمعارفَ وأهمّها أسماء وأوصاف الحجج الطّاهرين عليهم السلام من ذرّيته، ثمّ تحدّى بهم الملائكة كلّها من دون استثناء، وذلك لعدم وجود قرينة تخصّص قسماً من الملائكة بالتعليم من دون القسم الآخر، بالإضافة إلى أنّ الأمر بالسّجود لآدم عليه السلام إنّما تمّ على الملائكة أجمعين من دون استثناء لفضل مولانا وأبينا آدم عليهم.

(الوجه الثالث): حصر الوحي بما ذكره الإشكال خلاف الإمتنان والفضل العظيم وحلول البركة في النبيّ عيسى عليه السلام وصدورها منه بقوله تعالى:

---

(١) سورة الكهف.

(٢) سورة البقرة.

﴿..وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾[1] وقوله سبحانه: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ... ۝٣١ ﴾[2]، فالفضل العظيم ـ وإنْ كان مخصوصاً بالنبيّ الأعظم محمَّد صلى الله عليه وآله من كلِّ الجهات والحيثيات الروحية والنفسية والعقلية والسلوكية ـ لكنَّ ذلك لا يمنع إدراج عيسى عليه السلام في مصاديق الآية من حيثية قربه الروحي من رسول الله وآله الأطهار عليهم السلام، وفضله عزّ وجلّ على نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله ليس في فترة زمنيّة محدودة؛ بل كان فضل الله عليه (صلوات الله عليه وآله) مذ خلقه في العالم الأوّل قبل خلق الملائكة، والفضل إنما يكون بإعطاء المعارف وإلا فلا وجه لأسبقيّته على الملائكة، وكونه معلِّماً لهم كيفيّة السّير إلى الله تعالى والسّلوك إلى رضوانه، والتعليم لنبيّه كان سابقاً على وجود الملائكة؛ فثبت بذلك وجود العلم اللّدني؛ كما أنَّ كون النبيّ عيسى عليه السلام مباركاً ليس معناه أنّ الملائكة تباركه وتقدّسه، بل هو بنفسه مبارَكٌ ومقدَّسٌ أينما حلَّ وفي أيّ زمنٍ كان، والملائكة تلتمس البركة منه **(على نبينا وآله وعليه أفضل التحية والإكرام)**، ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون، وصدق الله تعالى حينما قال: ﴿ ..يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٧ ﴾[3].

---

(١) سورة النساء ١١٣.

(٢) سورة مريم عليها السلام.

(٣) سورة يس.

أهمية العلم اللدني:

يتضح من خلال هذا العرض الموجز للآيات أهميّة العِلْم اللّدني للنبيّ والعترة عليهم السلام ، وهو أحد أقسام العلم الرّبوبي ، وثبوته لهم بالعمومات والإطلاقات ؛ وإلا فإنَّ حصر العلم الإلهي بنزول الملائكة على السّفراء والحجج عليهم السلام يستلزم تقييد القدرة الأزليّة المطلقة التي لا يعجزها شيءٌ ، لا سيّما أنّ متعلَّقها هو العوالم الإمكانيّة التي لا يمكن أن تتخلَّف عن المراد الإلهي ، مع التّأكيد على أنّ الله جلَّت قدرتُهُ قد أفاض على العباد بعض العلوم الحضوريّة من دون واسطةِ مَلَكٍ ؛ كعلمنا بأنفسنا وأننا موجودون ، وعلمنا بأنَّ الشّمسَ مشرقةٌ وما شابه ذلك ، فقدرته على تخصيص العباد ببعض المعارف الحضوريّة يستلزم قدرته على تخصيص بعضهم ــ كالأولياء والأنبياء ــ بكلّ المعارف [إلا ما أخرجه الدّليل] يتمّ بطريق أولى إتماماً للحجّة وإسباغاً للنّعمة.

وبهذا يتمّ الاستدلال بالعمومات من الكتاب على صحّة إعطاء النّبي والإمام (عليهما السلام) الأوامر إلى الملائكة في ليلة القدر ، وليس العكس.

أمَّا بيان الأمر الثاني: الاستدلال على المدَّعى بالأخبار الخاصّة والقرائن الحافَّةِ بها.

لقد أشرنا سابقاً : بأنَّ القول الفصل في فلسفة نزول الملائكة في ليلة القدر على المعصوم عليه السلام هو أنّ الأئمّة المطهرين عليهم السلام يعطون الأوامر إلى الملائكة

المدبّرة للأمر بإذن الله سبحانه وتعالى لما ثبت بالأدلة أنّ لديهم العلم الحضوري الفعلي، ومعناه انكشاف المعلومات عند المعصوم عليه السلام فعلاً، في مقابل انكشافها الشّأني عليه بالقوّة والإرادة والتي يعبّر عنها بالعلم الإشائي أو الإرادي، وهو باطل جملةً وتفصيلاً كما أوضحنا ذلك في بحوثنا العقائدية في كتابنا القيِّم" شبهة إلقاء المعصوم في التهلكة ودحضها" ؛ وإنْ كانت الأدلة التي سنذكرها عمَّا قليلٍ كافية أيضاً في تفنيد دعوى العلم الإرادي للمعصوم عليه السلام.

العلم الجبري هو آخر ما توصل إليه العلماء القشريون!

تخبط الكثير من العلماء القشريين في حقيقة علم المعصوم (عليه السلام) فذهبوا إلى القول إن حصوله على العلم بالمقدرات إنما هو جبريٌّ في ليلة القدر من دون اختيار ؛ فقبل ليلة القدر كان جاهلاً بالجهل البسيط، فلا يدري ما له وما عليه حتى تأتي الملائكة فتصدِّر له الأوامر والتكاليف، وترشده إلى ما لم يكن يعلم ..!!

الإيراد على الدعوى المتقدِّمة: إن الاعتقاد بأنّ النّبيَّ والعترة عليهم السلام لا يعلمون إلا من خلال نزول الملك في ليلة القدر يستتبع نسبة الجهل إليهم قبل معرفتهم بالتفاصيل في ليلة القدر، وقد قامت الأدلّة القطعيّة من الكتاب والسنّة والعقل على بطلان ذلك، مضافاً إلى مصادمة هذا الاعتقاد المذكور

لعمومات الأدلّة الأربعة: الكتاب والسنّة والإجماع والعقل، الدّالة على فعليّة علومهم وعصمتهم من كلِّ زللٍ وخطأ وجهلٍ حتى في فترة زمنيّة قصيرة.

دليل الكتاب:

من محكمات الكتاب: عمومات وجوب التأسّي ومتابعة النّبي الأعظم وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام في عموم أقوالهم وأفعالهم، وعمومات وجوب التسليم والانقياد لهم أيضاً في كلِّ تصرّفاتهم وأقوالهم، وهل يمكن التسليم بجهلهم قبل نزول ليلة القدر عليهم؟! كلا وألف كلا.

ومن هذه العمومات قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ... ﴿٢١﴾﴾[1]، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ...﴿٣١﴾﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ...﴿١٥٧﴾﴾[3] ﴿..وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[4] وقوله: ﴿..وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ... ﴿٧﴾﴾[5] ﴿..أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ

(١) سورة الأحزاب.

(٢) سورة آل عمران.

(٣) سورة الأعراف.

(٤) سورة الأعراف.

(٥) سورة الحشر.

وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ... ﴿٥٩﴾﴾[1] ﴿ ..أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾[2] ﴿ ..وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴿٩٠﴾﴾[3] ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾﴾[4] ﴿ ..ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ... ﴿٢٤﴾﴾[5] ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾[6] ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[7].

وبما أنّ العترة الطّاهرة (سلام الله عليها) هي نفس النّبيﷺ بنصّ آية المباهلة وعِدْل الكتاب الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بنصّ حديث الثقلين، ما يعني ثبوت العصمة لهم تماماً كما هي للنّبي الأعظمﷺ وللكتاب، لأنّ ثبوتَ العصمةِ لهم ملازمٌ لمقتضياتٍ وملكاتٍ ذاتية في نفوسهم الطاهرة ولكونهم قدوةً حسنة يجب التأسّي بهم والتسليم لأمرهم، وما ثبت للنّبيﷺ من وجوب التأسّي والقدوة أيضاً ثابت لهم بلا

(١) سورة النساء.
(٢) سورة الأنفال.
(٣) سورة طه.
(٤) سورة الشعراء.
(٥) سورة الأنفال.
(٦) سورة التكوير.
(٧) سورة النجم.

فصل، إذ لو احتُمِلَ في فعلهم الجهلُ أو أنّ علمهم ليس حضوريّاً لما جاز التأسّي والمتابعة والتسليم لهم عموماً في جميع الأفعال، ولا مطلقاً في شيء من الأحوال لسراية ذلك الاحتمال المانع من التسليم والانقياد لكلّ الأعمال.

مضافاً إلى أنّ الاعتقاد بعدم فعليّة علومهم قبل نزول ليلة القدر يساوقُ القولَ بعدم عصمتهم المطلقة التي لم تَقتصر على وقتٍ معيّن أو زمنٍ دون آخر، وذلك لأنّ شأنيّة علومهم ملازمة لجهلهم؛ وهو خلف كونهم مطهَّرين من دون خصوصيّة لزمنٍ على آخر، فقوله تعالى: ﴿..وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[1] يشمل جميع حالاتهم وأزمانهم، فالتطهير عامٌ، ومَن حَصَرَهُ في وقتٍ أو زمنٍ دون آخر عليه أنْ يأتي بقرينة قطعيّة تثبت مدّعاه وهي مفقودة في البَيْن، فيبقى العمومُ سارٍ في جميع مراتبه وأزمانه وأوقاته وفي كلِّ متعلّقاته.

هذا مع التأكيد على أنّ هذه العمومات تتوافق مع الأخبار الدّالة على فعليّة علومهم، كما تتوافق مع عمومات الآيات الدّالة على عدم سلطة إبليس على المخلَصين كقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ... ﴿٦٥﴾﴾[2]. ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ

---

(١) سورة الأحزاب.

(٢) سورة الإسراء.

ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1]. ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾[2].

دليل السنَّة الشريفة:

وأمَّا محكمات السنَّة الدالّة على فعليّة علومهم وعدم جهلهم، بالإضافة إلى ما تقدّم من العمومات القرآنيّة الدّالة على وجوب التأسّي والتسليم والتفويض فيكفي منها ما ورد من أنّ الإمام (سلام الله عليه) عالمٌ لا يجهل، وعالمٌ بكلّ ما كان وما يكون وبمنطق الطير والبهائم والمسوخ كلّها، وبالآجال والمنايا، وأنهم يتكلّمون جميع الألسن واللّغات، ويخبرون عن جميع المغيّبات، وأنَّهم تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، ويرون من خلفهم كما يرون من أمامهم، وأنهم أوّل ما خلق الله تعالى، ومن نورهم اشتقّ خلق السّماوات والأرضين والبحار والجنان وحور العين، وأنّهم يرون ما بين المشرق والمغرب لا يخفى عليهم شيء من عالم المُلك وينصب لهم عامود من نور من الأرض إلى السّماء، وأنّ السّماوات والأرض عند الإمام (سلام الله عليه) كيده من راحته يعرف ظاهرها من باطنها، ورطبها من يابسها، وأنّ الإمام بشر ملكيٌّ وجسدٌ سماويٌّ، وأمرٌ إلهيٌّ، وروحٌ قدسيٌّ، ومقامٌ عليٌّ، ونورٌ جليٌّ، وسرٌّ خفيٌّ، ملكيُّ الذّات، إلهيُّ الصّفات، عالمٌ

---

(١) سورة ص.

(٢) سورة يوسف عليه السلام.

بالمغيّبات، مبرّأ من العيوب، مطّلعٌ على الغيوب، ظاهرُه إمامة وباطنُه غيبٌ لا يُدْرَك.

وكذا العمومات المعتبرة في (البصائر والإحتجاج) عن مولانا الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليهما السلام في ردّ الغلاة والمفوضة: ﴿ **لا تجاوزوا بنا العبوديّة ثمّ قولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا** ﴾. وكذا ورد في (الخصال والبصائر والبحار): أيضاً عن مولانا الإمام عليّ عليه السلام قال: ﴿ **إيّاكم والغلوّ فينا، قولوا إنّا عبيد الله مربوبون وقولوا في فضلنا ما شئتم**﴾.

فالقول بفعليّة علومهم وعدم سهوهم ليس من الغلوّ أصلاً، وإنّما الغلوّ إثبات العبوديّة والأُلوهيّة لهم.

وممّا يدلّ على فعليّة علومهم أيضاً ما ورد بالمستفيض في حضورهم موت كلِّ مؤمنٍ وكافرٍ، بحيث يراهم الميت، ويوصون ملك الموت بما يستحقّه من الرّفق أو العنف، فإنّ حضورهم موت كلّ مَن في مشارق الأرض ومغاربها في آنٍ واحدٍ على وجه المشاهدة والرؤية هو مما لا يتفق والجهل في شيء؛ بل يستلزم كونه من خوارق العادات، وهو أعظم من إحاطة علمهم الفعلي بجميع الكائنات كإحاطة الشّمس والقمر بها.

إجماع الطائفة:

لقد قام الإجماع على عصمتهم العلمية، ولم يختلف فيها أحدٌ على الإطلاق، سوى ما نسب إلى الصّدوق وأستاذه ابن الوليد في مسألة السّهو

التي ألصقاها برسول الله ﷺ، وعدّهما الاعتقاد بالعصمة المطلقة للنبيّ وآله هي أول درجة في الغلو، وأمّا مسألة فعليّة علومهم عليهم السلام فلم تكن من المسائل المعهودة والرّائجة في أزمنة المتقدّمين من علماء الطائفة المحقّة، إلا أن النّصوص الدّالة على فعلية علومهم عليهم السلام كانت منتشرة بكثرة في كتب المصادر الحديثيّة رغم وجود ما يخالفها، من دون أن يُظْهِروا ترجيحاً معتدّاً به، بل نجدهم على العكس من ذلك لا يخرجون عن المتعارف من خلال الجمع بين الأخبار النّافية والمثبتة لعلمهم بما يتناسب ومدركاتهم العقليّة، أو بحسب ما أدّى إليه ظنّهم واجتهادهم في فهم دلالة تلك الأخبار والعمل بها.

والظاهر أنهم لم يتصرّفوا بالأخبار حرصاً منهم على أداء الأمانة ونشر الأخبار وعدم التصرّف بها طبقاً لما يرتؤون من حفظ الأحاديث بحسب ما أمر أئمّة أهل البيت عليهم السلام، ولكنّنا نستغرب ــ من فطاحل تلك الفترة الزّمنيّة التي برز فيها ثلّةٌ من محقّقي الطائفة الشّيعيّة بالفقه والأُصول ــ كيف قلّ فيها التحقيق الفقهي والكلامي، سوى ما رشح من العلامة الحلّي والخواجا نصير الدّين الطّوسي، وهذان العلمان قد خلت كتبهما من مسألتنا هذه لعذرٍ خفي علينا، وسواء ذكرها المتقدّمون أم لا؛ فإن ذلك لا يؤثّر في أصل المسألة لكونها من مقدّمات أصول العقيدة، عدا عن أنَّها من أهم مقدّمات الفِقه والعصمة لما يترتب عليها من أهميّة على الصعيدين النّفسي والقيادي لدور المعصوم في إدارة المجتمعات وتسيير دفّة شؤونها لما في المسألة

من تنزيهٍ لكيان المعصوم من الخطأ أو الجهل فيما هو من مختصّاته الّتي جعلها الله سبحانه له كخليفة يحمل الأسماء الإلهيّة والصّفات التي تعكس عن الذّات الأحديّة المطلقة.

وعدم وجود إجماع على المسألة لا يقدح في أهمّيتها ؛ لكونها من أصول الاعتقادات التي لا يهمّ في تحقّقها وجود إجماعات لما اتضح في أصول الفقه من عدم اشتراط الإجماع في أصول الاعتقادات لابتنائها على الدّليليّة والحجّيّة لا على التعبّد والتوقّف الملازمَين للإجماع في أكثر حالاته.

دليل العقل:

وأمّا من العقل ـ الموافق للنّصوص المثبتة لفعليّة علمهم عليهم السلام ـ فيكفي ما اقتضته قاعدة اللّطف الدّالة على وجوب اتصاف الحكيم بها من حيث وجوب اتصاف الأكمل من الذّوات ـ وهو الإمام عليه السلام ـ بالأكمل من الصّفات، وهو فعليّة العلم وعموم كمّيته، ومِنْ أنّ علّة خلقه تعالى للخلق إنما هو معرفته سبحانه وتعالى لقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾[1] ؛ والعبادة هي المعرفة، وللحديث القدسي المعروف: "**كنت كنزاً مخفياً فخلقت الخلق لكي أُعرف**"؛ والمفروض أنّ معرفته متوقفة على عبادته وتنصيصه على خلق الخلفاء مَظْهرٌ لجميع صفاته

(١) سورة الذاريات.

الجلاليّـة، ومـرآةٌ لتجلّـي معارفـه الخفيّـة، وظـلٌّ ظليـلٌ لأوصـافه الكماليّـة، بحيث يكـون الـنّقص في المظهـر والمـرآة والظّـل نقصـاً في المظهـر والمرئـي وذي الظّل، وهو نقضٌ لغرضِ الحكيم وحكمتِه، ومستحيلٌ عقلاً.

مضافاً إلى أنّ عموم علم الإمام عليه السلام بأفعـال الأنـام واطّلاعـه فعـلاً عليهـا أقـرب إلى طـاعتهم وأبعـد عـن معصـيتهم قطعـاً، فيجـب حينئـذ فعلـه علـى الحكيم المتعال.

وبقاعـدة اللطـف نثبـت عصـمة الإمـام عليه السلام مـن جميـع المنـاقص الخُلُقيّـة والخَلقيّة والنسبيّة، بل إنّ قاعدة المقتضي وعدم المانع تستلزم عمـوم علمهـم الفعلي؛ وذلـك لأنَّ عمـوم علمهـم الفِعْلـي مـن الفيوضـات الدّاخلـة تحـت المقتضي وهو عموم قدرة المبدأ الفيّاض، وعدم المانع من تلقي فيض الإمامة.

وبعبارة أخرى: إنه تعالى قادر على تعميم علـم الإمـام، والحاجة للعـالم داعيـة إليـه، ولا مفسـدة فيـه، فيجـب علـى الحكـيم، بـل إنّ وصـف الـنّبيِّ بالعصمة المطلقة أكمل وأحسن من وصفه بضدّها؛ لذا وجب المصير إليـه لمـا فيه من دفع الضّرر المظنون بل المعلوم.

إلى هنا اتَّضحت معنا إمكانيّة حصول الأئمّـة الأطهـار عليهم السلام علـى العلـم الفعلي مـن عنـد عـلام الغيـوب حسـبما قـدّمنا بالأدلّـة الأربعـة، فـدعوى أنّ علمهـم إراديٌّ أو جبريٌّ باطلةٌ من أساسها لمناهضتها للأدلّة القطعيّـة لا سـيّما قاعدة اللطف.

عرض الأخبار الدالّة على فعليّة عِلْم الإمام عليه السلام:

ولا بأس هنا باستعراض بعض الأخبار الدّالة على أنَّ علمهم الفعلي ليس منحصراً في ليلة القدر، بل يتأكّد لهم فيها كما يتأكّد في كلّ صباح ومساء، وهي كثيرة منها:

ألف: ما رواه الكليني في (الكافي) باب الجفر والجّامعة، كما فصَّلناه في كتابنا "شبهة إلقاء المعصوم عليه السلام نفسه في التهلكة".

باء: ومنها ما رواه المجلسي في (البحار)، وهي الآتية:

(١) ـ بصائر الدرجات بإسناده عن الحسين بن عليّ، عن عبيس بن هشام، عن أبي غسان الذهلي، عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: ﴿ **الله أحكم، وأكرم من أن يفرض طاعة عبد يُحجب عنه خبر السماء صباحاً ومساءً** ﴾.

(٢) ـ بصائر الدرجات بإسناده عن عبد الله بن محمد عمن رواه، عن محمد بن خالد، عن صفوان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿ **إن الله أجل، وأعظم من أن يحتج بعبد من عبيده، ثم يخفي عنه شيئاً من أخبار السماء والأرض** ﴾.

(٣) ـ عبد الله بن محمد، عن اللؤلؤي، عن ابن سنان، عن سعد بن الأصبغ الأزرق قال: دخلت مع حصين، ورجل آخر على أبي عبد الله عليه السلام قال: فاستخلى أبو عبد الله عليه السلام برجل فناجاه ما شاء الله قال: فسمعت أبا

عبد الله عليه السلام يقول للرجل: « **أفترى الله يمن بعبد في بلاده، ويحتج على عباده ثم يخفي عنه شيئاً من أمره** ».

(٤) ـ بصائر الدرجات بإسناده عن ابن معروف، عن حماد، عن حريز، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: « **سُئِلَ عليّ عليه السلام، عن علم النبي صلى الله عليه وآله فقال: علم النبي علم جميع النبيين، وعلم ما كان، وعلم ما هو كائن إلى قيام الساعة. ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأعلم علم النبي صلى الله عليه وآله، وعلم ما كان، وعلم ما هو كائن فيما بيني، وبين قيام الساعة** ».

ملاحظة: قوله عليه السلام: « **وعلم ما هو كائن** »؛ إشارة واضحة إلى جميع الجزئيات والموضوعات، وهذا موافق لقول النبيِّ عيسى عليه السلام: ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ... ﴿٤٩﴾ ﴾[1].

(٥) ـ بصائر الدرجات بإسناده عن أحمد بن محمد، عن ابن أبي نجران، عن يونس بن يعقوب، عن الحارث بن المغيرة، عن عبد الأعلى، وعبيدة بن بشير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام ابتداء منه: «**والله إني لأعلم ما في السماوات، وما في الأرض، وما في الجنة، وما في النار، وما كان، وما يكون إلى أن تقوم الساعة، ثم قال: أعلمه من كتاب الله أنظر إليه**

---

(١) سورة آل عمران.

هكذا، ثم بسط كفيه، ثم قال: **إن الله يقول:** ﴿ .. وَنَزَّلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ فيه تِبْيان كُلِّ شَىْءٍ... ﴾.

ملاحظة: الموجود في المصحف الحالي: ﴿ .. وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ... ﴿٨٩﴾ ﴾[٢]

(٦) ـ بصائر الدرجات بإسناده عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن يونس، عن الحارث بن المغيرة، وعدة من أصحابنا فيهم عبد الأعلى وعبيدة بن عبد الله بن بشر الخثعمي وعبد الله بن بشير سمعوا أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿ **إني لأعلم ما في السماوات، وأعلم ما في الأرضين، وأعلم ما في الجنة، وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان، وما يكون،** ثم مكث هنيئة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه، فقال عليه السلام: **علمت من كتاب الله، أن الله يقول:** ﴿ **فيه تبيان كل شيء** ﴾.

(٧) ـ بصائر الدرجات بإسناده عن أحمد بن إسحاق، عن عبد الله بن حماد، عن سيف التمار قال: كنا مع أبي عبد الله عليه السلام جماعة من الشيعة في الحجر. فقال عليه السلام: ﴿ **علينا عين، فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نرَ أحداً** ﴾. فقلنا: ليس علينا عين. قال عليه السلام: ﴿ **ورب الكعبة، ورب البيت ثلاث مرات لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما، ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما لأن موسى والخضر أعطيا عِلْمَ ما**

---

(٢) سورة النحل.

كان، ولم يعطيا عِلْم ما هو كائن؛ وإن رسول الله ﷺ أعطي عِلْم ما كان، وما هو كائن إلى يوم القيامة فورثناه من رسول الله ﷺ وراثة ».

(٨) ـ بصائر الدرجات بإسناده عن عمران بن موسى، عن موسى بن جعفر، عن علي بن معبد، عن جعفر بن عبد الله بن حماد، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن أبي عمرو، عن معاوية بن وهب قال: استأذنت على أبي عبد الله عليه السلام فأذن لي فسمعته يقول في كلام له: « **يا من خصنا بالوصية، وأعطانا علم ما مضى، وعلم ما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، وجعلنا ورثة الأنبياء عليهم السلام** ».

ملاحظة: قوله عليه السلام: « **عِلْم ما بقي** »؛ إشارة إلى عِلْمِهِ بتفاصيل الجزئيات دون تخصيصٍ.

(٩) ــ بصائر الدرجات بالإسناد المتقدم، عن معاوية، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: « **اللهم يا من أعطانا علم ما مضى، وما بقي، وجعلنا ورثة الأنبياء، وختم بنا الأمم السالفة، وخصنا بالوصية** ».

(١٠) ـ الإحتجاج بإسناده عن أبان بن تغلب قال: كنت، عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أهل اليمن فسلم عليه فرد أبو عبد الله عليه السلام فقال له: « **مرحبا يا سعد** ».

فقال له الرجل: بهذا الاسم سمتني أمي، وما أقل من يعرفني به.

فقال أبو عبد الله عليه السلام : ﴿ **صدقت يا سعد المولى** ﴾.

فقال الرجل: جعلت فداك، بهذا كنت ألقب.

فقال أبو عبد الله عليه السلام : ﴿ **لا خير في اللقب إن الله تبارك، وتعالى يقول في كتابه:** ﴿ ..وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ... ﴿١١﴾ ﴾ **ما صناعتك يا سعد؟** ﴾.

فقال: جعلت فداك إنا أهل بيت ننظر في النجوم لا يقال: إن باليمن أحدا أعلم بالنجوم منا.

فقال أبو عبد الله عليه السلام : ﴿ **كم ضوء المشتري على ضوء القمر درجة؟** ﴾.

فقال اليماني: لا أدري.

فقال أبو عبد الله عليه السلام : ﴿ **صدقت، كم ضوء المشتري على ضوء عطارد درجة؟** ﴾.

فقال اليماني: لا أدري.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام : ﴿ **صدقت، فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت الإبل؟** ﴾.

فقال اليماني: لا أدري.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام : ﴿ **صدقت، فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت البقر؟** ﴾.

فقال اليماني: لا أدري.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ **صدقت فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت الكلاب؟** ﴾.

فقال اليماني: لا أدري.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ **صدقت، في قولك لا أدري، فما زحل عندكم في النجم؟** ﴾.

فقال اليماني: نجم نحس.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ **لا تقل هذا فإنه نجم أمير المؤمنين صلوات الله عليه فهو نجم الأوصياء** عليهم السلام، **وهو** ﴿ **النجم الثاقب** ﴾ **الذي قال الله في كتابه** ﴾.

فقال اليماني: فما معنى الثاقب؟.

فقال عليه السلام: ﴿ **إن مطلعه في السماء السابعة فإنه ثقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا فمن ثم سماه الله النجم الثاقب،** ثم قال: **يا أخا العرب، عندكم عالم؟** ﴾.

قال اليماني: نعم، جعلت فداك، إن باليمن قوماً ليسوا كأحدٍ من الناس في علمهم.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ **وما يبلغ من علم عالمهم؟** ﴾.

قال اليماني: إن عالمهم ليزجر الطير، ويقفو الأثر في ساعة واحدة مسيرة شهر للراكب المحث.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ **فإن عالم المدينة أعلم من عالم اليمن** ﴾.

قال اليماني: وما يبلغ من علم عالم المدينة؟.

قال عليه السلام: ﴿ **إن علم عالم المدينة ينتهي إلى أن يقفو الأثر، ولا يزجر الطير، ويعلم ما في اللحظة الواحدة مسيرة الشمس تقطع أثني عشر برجاً، وأثني عشر براً، وأثني عشر بحراً، وأثني عشر عالماً** ﴾.

فقال له اليماني: ما ظننت أن أحداً يعلم هذا، وما يدري ما كنهه، قال: ثم قام اليماني.

(١١) ـ بصائر الدرجات بإسناده عن محمد بن عيسى، عن أبي عبد الله المؤمن، عن علي بن حسان، عن أبي داود السبيعي، عن بريدة الأسلمي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿ **يا عليّ إن الله أشهدك معي سبع مواطن حتى ذكر الموطن الثاني أتاني جبرائيل فأسرى بي إلى السماء فقال: أين أخوك؟ فقلت: ودعته خلفي قال: فقال: فأدع الله يأتيك به قال: فدعوت فإذا أنت معي فكشط لي عن السماوات السبع، والأرضين السبع حتى رأيت سكانها، وعمارها، وموضع كل ملك منها فلم أرَ من ذلك شيئاً إلا وقد رأيته كما رأيتُه** ﴾.

جيم: ومنها ما رواه المجلسي نقلاً عن الصفّار أيضاً، وهو كالآتي:

١ ـ عن الصفار في بصائر الدرجات بإسناده عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن عبد الله بن هلال بن عقبة قال: كنت أنا والمعلّى بن خنيس عند أبي عبد الله، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ **ما جلس مجلسك أحد إلا عرفته** ﴾.

٢ ـ بصائر الدرجات عن الحسن بن علي، عن أحمد بن هلال، عن علي بن الحكم، عن ضريس الكناسي قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام مع جماعة من أصحابنا إذ دخل عليه رجل أعرفه فذكر رجلاً من أصحابنا ولمزه عند أبي عبد الله عليه السلام فلم يجبه بشيء فظنّ الرجل أنّ أبا عبد الله عليه السلام لم يسمع فأعاده أيضاً فلم يلتفت إليه، فظنّ الرّجل أنه لم يسمع فأعاد الثالثة.

فردّ أبو عبد الله عليه السلام يده إلى لحية الرّجل فقبض عليها فهزّها ثلاثاً حتى ظننت أنّ لحيته قد صارت في يده وقال له: ﴿ **إن كنت لا أعرف الرجل إلا بما أبلغ عنهم فبئس النسب نسبي** ﴾ ثمّ أرسل لحيته من يده ونفخ ما بقي من الشّعر في كفّه.

ملاحظة: هذان الحديثان يدلان على أنّ الإمام عليه السلام يعرف الرّجل من دون أنْ يبلّغ عنه أحد.

دال: ومنها ما رواه المجلسي في باب أنّ الله تعالى يرفع للإمام عليه السلام عموداً ينظر به إلى أعمال العباد، وهي كالآتي:

[١] : بصائر الدرجات بإسناده عن معاوية بن حكيم، عن أبي داود المسترق، عن محمّد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿ **إنّ الإمام**

يسمع الصوت في بطن أمّه، فإذا بلغ أربعة أشهر كتب على عضده الأيمن: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ... ﴿١١٥﴾ ﴾ **فإذا وضعته سطع له نورٌ ما بين السماء والأرض، فإذا درج رفع له عمود من نور يرى به ما بين المشرق والمغرب** ﴾.

[٢] : البصائر بإسناده عن عبد الله بن عامر، عن محمّد البرقي، عن الحسن بن عثمان، عن محمّد بن فضيل، عن الثماليّ قال: قال أبو جعفر عليه السلام : ﴿ **إنّ الإمام منّا ليسمع الكلام في بطن أمّه حتى إذا سقط على الأرض أتاه ملك فيكتب على عضده الأيمن:** ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ **حتى إذا شبّ رفع الله له عموداً من نور يرى فيه الدّنيا وما فيها لا يستر عنه منها شيء** ﴾.

[٣] : البصائر عن أحمد بن محمّد، عن علي بن حديد، عن جميل بن درّاج قال: روى غير واحد من أصحابنا قال: ﴿ **لا تتكلّموا في الإمام فإنّ الإمام يسمع الكلام وهو جنين في بطن أمّه، فإذا وضعته كتب الملك بين عينيه:** ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ... ﴿١١٥﴾ ﴾ **فإذا قام بالأمر رفع له في كلّ بلد منار ينظر به إلى أعمال العباد** ﴾.

[٤]: البصائر عن عمران بن موسى، عن أيوب بن نوح، عن عبد السّلام بن سالم، عن الحسين، عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله

الحسين عليه السلام قال: « **إنّ الإمام يسمع في بطن أمّه فإذا ولد خطّ على منكبيه خط، ثمّ قال: هكذا بيده فذلك قول الله تعالى:** ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ... ﴿١١٥﴾ ﴾ **وجعل له في قرية عمود من نور يرى به ما يعمل أهلها فيها** ».

[٥]: البصائر عن محمّد بن الحسين، عن النّضر بن شعيب، عن خالد بن ماد ومحمّد بن الفضيل، عن محمّد بن مروان، عن الفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول عليه السلام: « **إنّ الإمام ليسمع الكلام في بطن أمّه حتى إذا سقط على الأرض أتاه ملك فيكتب على عضده الأيمن:** ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ **فإذا شبّ رفع الله في كلّ قرية عموداً من نور مقامه في قرية ويعلم ما يعمل في القرية الأخرى** ».

[٦]: البصائر عن أحمد بن محمّد، عن الأهوازيّ، عن محمّد بن فضيل، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « **الإمام يسمع الكلام في بطن أمّه فإذا سقط إلى الأرض نصب له عمود في بلاده وهو يرى ما في غيرها** ».

[٧]: البصائر عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن الربيع بن محمّد المسلّي، عن محمّد بن مروان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: « **إنّ الإمام يسمع في بطن أمّه فإذا ولِد خطّ بين كتفيه:** ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ

رَبِّكَ صِدۡقًا وَعَدۡلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ... ﴿١١٥﴾ ﴾ **فإذا صار الأمر إليه جعل الله له عموداً من نور يبصر به ما يعمل به أهل كلّ بلدة** ﴾.

[٨]: البصائر عن محمّد بن عيسى، عن الوشّاء، عن محمّد بن الفضيل، عن محمّد بن مروان، عن الفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: ﴿ **إنّ الإمام إذا شبّ رفع الله له في كلّ قرية عموداً من نور يعلم ما يعمل في القرية الأخرى** ﴾.

[٩]: البصائر عن عبد الله بن محمّد بن عيسى، عن أحمد بن سليم أو عمّن رواه، عن أحمد بن سليم، عن أبي محمّد الهمداني، عن أبي إسحاق الجريري قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسمعته وهو يقول: ﴿ **إنّ لله عموداً من نور، حجبه الله عن الخلائق، طرفه عند الله وطرفه الآخر في أذن الإمام فإذا أراد الله شيئاً أوحاه في أذن الإمام** عليه السلام ﴾.

ملاحظة: يُراد من الوحي هنا الوحي التكويني، بمعنى إصدار الأوامر من الله تعالى لخليفته الإمام، وقد يُراد منه الوحي التشريعي الّذي نزل على جدّه رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله، ولكنّ الله يؤكّده له في اللحظة المعيّنة، ويدلّ على ما قلنا الحديث العاشر الآتي، حيث جعل بينه وبين الرّسول رسولاً مَلَكاً، ولم يجعل بينه وبين الإمام مَلَكاً، وليس وراء عبادان قرية ؛ فتدبّر.

[١٠]: البصائر عن الحسن بن عليّ، عن صالح بن سهل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنت جالساً عنده فقال لي ابتداءً منه: ﴿ **يا صالح بن سهل**

إنّ الله جعل بينه وبين الرسول رسولاً ولم يجعل بينه وبين الإمام رسولاً ﴾، قال: قلت: وكيف ذاك؟ قال عليه السلام: ﴿ **جعل بينه وبين الإمام عموداً من نور ينظر الله به إلى الإمام وينظر الإمام به إليه؛ فإذا أراد علم شيء نظر في ذلك النور فعرفه** ﴾.

[١١]: البصائر عن أحمد بن إسحاق، عن الحسن بن العبّاس بن جريش، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ **إنا أنزلناه نور كهيئة العين على رأس النبيّ والأوصياء لا يريد أحد منّا علْم أمر من أمر أو من أمر السّماء إلى الحجب الّتي بين الله وبين العرش إلا رفع طرفه إلى ذلك النور فرأى تفسير الّذي أراد فيه مكتوباً** ﴾.

ملاحظة: المراد من رفع طرفه إلى ذلك النور هو بيان الأحكام الشرعيّة الصّادرة من الله مباشرةً.

[١٢]: البصائر عن محمّد بن أحمد، عن محمّد بن موسى، عن محمّد بن أسد الخزّاز، عن محمّد بن إسماعيل، عن عبد الله الخراساني مولى جعفر بن محمّد، عن بنان الجوزيّ، عن إسحاق القمّي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك ما قدر الإمام؟ قال عليه السلام: ﴿ **يسمع في بطن أمّه، فإذا وصل إلى الأرض كان على منكبه الأيمن مكتوباً:** ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾.

ثمّ يبعث أيضاً له عموداً من نور من تحت بطنان العرش إلى الأرض يرى فيه أعمال الخلائق كلّها ثمّ يتشعّب له عمود آخر من عند الله إلى أذن الإمام كلّما احتاج إلى مزيد أفرغ فيه إفراغاً ﴾.

إشارة هامّة: يشير الحديث إلى استلهام الأحكام من الله مباشرةً كغيره من الأحاديث المتقدّمة، وذلك لكثرة المواضيع المتشعبة والتي لا تحصى من الكثرة فيلزم الإخبار عن الله عزّ شأنه ليحكم بها الإمام عليه السلام.

[١٣]: البصائر عن أبي محمّد، عن عمران بن موسى، عن موسى بن جعفر البغدادي، عن عليّ بن أسباط، عن محمّد بن الفضيل، عن أبي بكر الحضرميّ قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ **يا أبا بكر ما يخفى عليَّ شيء من بلادكم** ﴾.

[١٤]: البصائر عن أحمد بن محمّد، عن الأهوازيّ، عن عليّ بن أحمد بن محمّد، عن أبيه قال: كنت أنا وصفوان عند أبي الحسن عليه السلام وذكروا الإمام وفضله قال عليه السلام: ﴿ **إنما منزلة الإمام في الأرض بمنزلة القمر في السماء وفي موضعه هو مطّلع على جميع الأشياء كلّها** ﴾.

[١٥]: البصائر عن الهيثم النهديّ، عن إسماعيل بن مهران قال: كنت أنا وأحمد بن أبي نصر عند الرضا عليه السلام فجرى ذكر الإمام فقال الإمام الرّضا عليه السلام: ﴿ **إنما هو مثل القمر يدور في كلّ مكان أو تراه من كلّ مكان** ﴾.

[١٦]: وعن أحمد بن محمّد، عن علي بن الحكم، عن ابن عميرة، عن إسحاق بن عمّار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: « **إنّ الإمام يسمع الصوت في بطن أمّه، فإذا سقط إلى الأرض كتب على عضده الأيمن:** ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ... ﴿١١٥﴾ ﴾ **فإذا ترعرع نصب له عمود من نور من السّماء إلى الأرض يرى به أعمال العباد** ».

وزاد يونس بن ظبيان فيه: « **فإذا خرج إلى الأرض أوتي الحكمة وزيّن بالحلم والوقار وأُلبس الهيبة وجعل له مصباح يعرف به الضمير ويرى به أعمال العباد** ».

وزاد الفضل، عن أبي جعفر عليه السلام: « **فإذا وقع إلى الأرض سطع له نور من السّماء إلى الأرض يرى به ما بين المشرق والمغرب** ».

وهذه الطّائفة من الأخبار واضحةٌ لا غبار عليها في إطلالة الإمام عليه السلام على أعمال العباد لا يُسْتَر عنه منها شيءٌ، ويشهد لهذا ما ورد في صحيحة محمّد بن فضيل المتقدِّمة، كما أنَّه قد ورد في الخبرين الثالث والرابع ــ وهما خبر جميل بن درّاج ويونس بن ظبيان ــ من هذه الطائفة لفظان مهمّان هما: «**رفع له في كلّ بلد منار ينظر إلى أعمال العباد**» و« **جعل له في كلّ قرية عموداً من نور يرى به ما يعمل أهلها فيها** » وهذان القيدان يشيران إلى الاطّلاع التفصيلي للمعصوم على عامّة العباد، وصدق ما روي عنهم أنهم قالوا: « **أمرنا صعب مستصعب** »، كما يشهد لعِلْمه

التفصـيلي مـا روي في الخـبر الرابـع عشـر في صـحيحة الأهـوازي وموثقـة إسماعيل بن مهران من أنّ الإمام عليه السلام مثل القمر مطّلع على جميع الأشياء مـن دون اسـتثناء، وهـو في موضـعه، وفي ذلـك آيـة لِمَـنْ ألقـى السّـمع وهـو شهيد.

الهاء: ومنها ما رواه العلامة المجلسي رحمه الله في (البحار) باب أنهم لا يحجب عنهم شيء وأنّهم يعلمون ما يصيبهم من البلايا ويصبرون عليها وأنّهم يعلمون ما في الضّمائر وعلم المنايا والبلايا، وهي كالآتي:

(١) بصائر الدرجات: بإسناده عن عليّ بن إسماعيل عن محمّد بن عمر عن إسماعيل الأزرق قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿ **إنّ الله أحكم وأكرم وأجلّ وأعلم من أن يكون أحتجّ على عباده بحجّة ثمّ يغيِّب عنه شيئاً من أمرهم** ﴾.

(٢) بصائر الدرجات: بإسناده عن أحمد بن محمّد عن عليّ بن الحكم عن خالد الكيّال عن عبد العزيز الصائغ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿**أترى أنّ الله أسترعى راعياً وأستخلف خليفة عليهم يَحْجُبُ عنه شيئاً من أمورهم** ﴾.

(٣) بصائر الدرجات: بإسناده عن محمّد بن عيسى بن عبيد عن النضر عن أبان بن تغلب قال: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام وعنده رجل من أهل الكوفة يعاتبه في مال له أمره أن يدفعه إليه فجاءه فقال: ﴿ **ذهبت بمالي** ﴾،

فقال: والله ما فعلت، فغضب فأستوى جالساً ثمّ قال: ﴿ **تقول: والله ما فعلت؟** وأعادها مراراً، ثمّ قال: **أنت يا أبان وأنت يا زياد أما والله لو كنتما أمناء الله وخليفته في أرضه وحجّته على خلقه، ما خفي عليكما ما صنع بالمال** ﴾. فقال الرجل عند ذلك: جعلت فداك قد فعلت وأخذت المال.

(٤) بصائر الدرجات: بإسناده عن محمّد بن عيسى عن النضر عن أبي داود عن إسماعيل بن فروة عن محمّد بن عيسى عن سعد بن أبي الأصبغ قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالساً فدخل عليه الحسن بن السريّ الكرخيّ قال: سأله أبو عبد الله عليه السلام وجاراه في شيء فقال: ﴿ **ليس هو كذلك، ثلاثاً،** ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: **أترى من جعله الله خليفته على خلقه يخفى عليه شيء من أمورهم** ﴾.

(٥) بصائر الدرجات: بإسناده عن عبد الله بن محمّد عن الخشّاب عن عبد الله بن جندب عن عليّ بن إسماعيل الأزرق قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ **إنّ الله أحكم وأكرم وأجلّ وأعظم وأعدل من أن يحتجّ بحجّة ثمّ يغيّب عنه شيئاً من أمورهم** ﴾.

(٦) بصائر الدرجات: بإسناده عن إبراهيم بن هاشم عن علي بن معبد عن هشام بن الحكم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام بمنى عن خمسمائة حرف من الكلام فأقبلت أقول: كذا وكذا يقولون، فيقول لي: ﴿**قل كذا وكذا**﴾،

فقلت: جعلت فداك هذا الحلال والحرام والقرآن أعلم أنك صاحبه وأعلم الناس به وهذا هو الكلام، فقال لي عليه السلام: ﴿ **وتشك يا هشام من شك أن الله يحتج على خلقه بحجة لا يكون عنده كل ما يحتاجون إليه فقد أفترى على الله** ﴾.

إشارة هامّة: قوله عليه السلام: ﴿**ما يكون عنده كل ما يحتاجون إليه**﴾، يشمل كل الأزمنة سواءٌ أكان قبل نزول الملائكة في ليلة القدر أم بعدها، فتأمّل.

(٧) بصائر الدرجات: بإسناده عن علي بن إسماعيل عن حماد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ **مَن زعم أن الله يحتج بعبدٍ في بلاده ثم يستر عنه جميع ما يحتاج إليه فقد أفترى على الله** ﴾.

(٨) بصائر الدرجات: بإسناده عن الحسن بن علي بن النعمان عن أبيه عن الشامي عن أبي داود السبيعي عن أبي سعيد الخدري عن رميلة قال: وعكت وعكاً شديداً في زمان أمير المؤمنين عليه السلام فوجدت من نفسي خفةً في يوم الجمعة وقلت: لا أعرف شيئاً أفضل من أن أفيض على نفسي من الماء وأصلي خلف أمير المؤمنين عليه السلام ففعلت ثم جئت إلى المسجد فلما صعد أمير المؤمنين عليه السلام المنبر عاد عليَّ ذلك الوعك، فلما انصرف أمير المؤمنين عليه السلام ودخل القصر دخلت معه فقال عليه السلام: ﴿ **يا رميلة رأيتك وأنت متشبك**

بعضك في بعض ﴾، فقلت: نعم وقصصت عليه القصة التي كنت فيها والذي حملني على الرغبة في الصلاة خلفه فقال عليه السلام: ﴿ **يا رميلة ليس من مؤمن يمرض إلا مرضنا بمرضه ولا يحزن إلا حزنا بحزنه ولا يدعو إلا أمّنّا لدعائه ولا يسكت إلا دعونا له** ﴾، فقلت له: يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك هذا لمن معك في القصر أرأيت من كان في أطراف الأرض؟ قال عليه السلام: ﴿ **يا رميلة ليس يغيب عنا مؤمن في شرق الأرض ولا في غربها** ﴾.

إشكال ودفع:

قد يُقال: إنّ علمه عليه السلام بالجزئيات التفصيليَّة الغيبيَّة قد حصل عليه من خلال إعلام وإخبار الملائكة له.

والجواب من وجهين:

(الوجه الأول): إن الأصل في تحصيل العلم الغيبي التفصيلي للمعصوم من آل محمَّد (سلام الله عليهم) عدم كونه إخبارياً بتوسط الملائكة، بمعنى أنَّه إذا دار علمه الغيبي التفصيلي بين التلقي اللدني المباشر من عند علام الغيوب وبين التوسط الإخباري الملائكي، فإن أصالة العدم تنفي الثاني؛ أي: التوسط الملائكي، وتثبت الأول، وذلك لحاكمية الآيات والأخبار الدالة على وجود علم لدني لا دخل للوسائط في تحققه ونزوله؛ أي: من دون توسط الملائكة بنزوله على قلب النبيّ والوليّ (عليهما السلام) بل هو مطلَق

حتى يرد دليل يقيّد، وعلى فرض وجود دليل مقيِّد، فإخباره للإمام ليس ملازِماً لجهل الإمام بالمخبَر عنه، بل يُحمل على تأكيد المعلوم لدى الإمام عليه السلام.

(الوجه الثاني): إنَّ الأخبار الشريفة كشفت عن العلم الحضوري الفعلي للوليّ عليه السلام، وهي أخبار كثيرة دالة على كاشفية الإمام عليه السلام وهيمنته على عوالم التكوين بقدرة الله العزيز الجبَّار، منها ما استعرضناه سابقاً كما في صحيحة اسماعيل بن مهران قال: كنت أنا وأحمد بن أبي نصر عند الإمام الرضا عليه السلام فجرى ذكر الإمام، فقال الإمام الرّضا عليه السلام: ﴿ **إنما هو مثل القمر يدور في كلّ مكان أو تراه من كلّ مكان** ﴾.

ونظيره ما ورد في صحيحة الأهوازيّ المتقدِّمة، عن عليّ بن أحمد بن محمّد، عن أبيه قال: كنت أنا وصفوان عند أبي الحسن عليه السلام وذكروا الإمام وفضله قال عليه السلام: ﴿ **إنما منزلة الإمام في الأرض بمنزلة القمر في السماء وفي موضعه هو مطّلع على جميع الأشياء كلّها** ﴾.

وهكذا بقية الأخبار السابقة واللاحقة تؤيد علمَ الإمام عليه السلام المطلق الذي لا توسط للملائكة فيه، فينتفي الإشكال من الأساس.

(٩) الأمالي للشيخ الطوسي: بإسناده عن عن المفيد عن محمد بن محمد بن طاهر عن ابن عقدة عن أحمد بن الحسين بن سعيد عن أبيه عن ظريف بن ناصح عن محمد بن عبد الله الأصم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿**سمعت**

أبـي يقـول لجماعـة مـن أصـحابه: واللـه لـو أن علـى أفـواههم أوكيـة لأخبـرت كل رجـل منهم مـا لا يستوحش إلـى شـيء ولكـن فيكم الإذاعـة والله بالـغ أمـره ﴾.

(١٠) الأمالي للشيخ الطوسي: بإسناده عن الغضائري عن هارون بن موسى التلعكبري عن ابن عقدة عن عبد الله بن إبراهيم بن قتيبة عن علي بن الحكم عن سليمان بن جعفر عن خالد الكيال عن عبد العزيز الصائغ قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ **أترى أن الله استرعى راعياً واستخلف خليفة ثم يحجب عنه شيئاً من أمورهم؟** ﴾.

(١١) بصائر الدرجات بإسناده عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن ربيع بن محمد عن سعد بن طريف عن ابن نباتة قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا وقف الرجل بين يديه قال: ﴿ **يا فلان استعد وأعد لنفسك ما تريد فإنك تمرض في يوم كذا وكذا في ساعة كذا وكذا وسبب مرضك كذا وكذا وتموت في شهر كذا وكذا في يوم كذا وكذا، في ساعة كذا وكذا** ﴾.

إشارة هامّة: هذا الحديث يدلّ على سعة علم الإمام عليه السلام، ولو كان علمه منحصراً في ليلة القدر لما قدر على إخبار المريض بأنه يموت بعد سنين؛ لأنّ إعلام الملائكة إنما يكون للمقدّرات في تلك السنة، وليس إعلامهم لسنين عديدة؛ فتدبر جيداً في كلامنا، فإنه دقيقٌ لا تسعه إلا صدور أمينة.

(١٢) بصائر الدرجات: بإسناده عن ابن يزيد عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: ﴿ **سلوني قبل أن تفقدوني، ألا تسألون من عنده علم المنايا والبلايا والقضايا وفصل الخطاب؟** ﴾.

(١٣) بصائر الدرجات: بإسناده عن أحمد بن محمد عن ابن سلام عن مفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام: ﴿ **يقول أعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد من قبلي: علمت المنايا، والبلايا، وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني، ولم يعزب عني ما غاب عني، أبشر بإذن الله تعالى وأؤدي عنه كل ذلك، منٌّ من الله مكنني فيه بعلمه** ﴾.

(١٤) بصائر الدرجات: أحمد بن إبراهيم وأحمد بن زكريا عن أحمد بن نعيم عن يزداد بن إبراهيم عمن حدثه من أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿ **سمعته يقول عندي علم المنايا، والبلايا، والوصايا، والأنساب والأسباب، وفصل الخطاب، ومولد الإسلام، ومولد الكفر، وأنا صاحب الكرات، ودولة الدول، فاسألوني عما يكون إلى يوم القيامة** ﴾.

بيان: أنا صاحب الكرّات، ودولة الدّول؛ أي: الحملات، والغلبة فيها، أو صاحب الغلبة على أهل الغلبة فيها، أو صاحب عِلْم كل كرّة ودولة، أو المعنى: أرجع إلى الدنيا مرّاتٍ شتى، وكانت غلبة الأنبياء على أعاديهم،

ونجاتهم من المهالك بسبب التوسّل بنوري، أو يكون دولة الدّول أيضاً إشارة إلى الدّولات الكائنة في الكرّات والرّجعات له عليه السلام.

(١٥) بصائر الدرجات: بإسناده عن الحسين بن علي عن العباس بن عامر عن ضريس عن عبد الواحد بن المختار عن أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿ **لو كان لألسنتكم أوكية، لحدَّثتُ كلَّ امرئٍ بما له وعليه** ﴾.

بيان: قوله عليه السلام: ﴿ **كلّ امرئٍ بما له وعليه** ﴾ مطلَق من جميع الحيثيات، يشمل كلّ التفاصيل والجزئيات دون تخصيصٍ بشيء دون شيء، ومن دون تقييد بتوسط الملائكة، وهو دليلُ العِلْم اللدني التفصيلي للأئمّة عليهم السلام؛ فتدبّر.

(١٦) الخرائج والجرائح: بإسناده عن سعد عن ابن أبي الخطاب وأحمد وعبد الله ابني محمد بن عيسى عن ابن محبوب عن ابن رئاب عن ضريس الكناسي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول وعنده أناس من أصحابه وهم حوله: ﴿ **إني لأعجب من قوم يتولونا، ويجعلونا أئمة، ويصفون أن طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة الله، ثم يكسرون حجتهم، ويخصمون أنفسهم، لضعف قلوبهم فينقصونا حقنا، ويعيبون ذلك على من أعطاه الله برهان حقّ معرفتنا والتسليم لأمرنا، أترون الله أفترض طاعة أوليائه على عباده ثم يخفي** [ن: **يخفي عنهم**] **عليهم أخبار السماوات والأرض، ويقطع عنهم مواد العلم فيما يرد عليهم مما فيه**

قوام دينهم ﴾، فقال له حمران: يا ابن رسول الله أرأيت ما كان من قيام أمير المؤمنين والحسن والحسين وخروجهم وقيامهم بدين الله، وما أصيبوا به من قبل الطواغيت والظفر بهم، حتى قتلوا وغلبوا، فقال أبو جعفر عليه السلام: ﴿ **يا حمران إن الله تبارك وتعالى قد كان قدر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه على سبيل الاختيار، ثم أجراه عليهم فبتقدم علم إليهم من رسول الله** صلى الله عليه وآله **قام عليّ والحسن والحسين وبعلم صمت من صمت منا، ولو أنهم يا حمران حيث نزل بهم ما نزل من ذلك، سألوا الله أن يدفع عنهم وألحوا عليه في إزالة ملك الطواغيت، وذهاب ملكهم، لزال أسرع من سلك منظوم انقطع فتبدد، وما كان الذي أصابهم لذنبٍ اقترفوه، ولا لعقوبة معصية خالفوا فيها، ولكن لمنازل وكرامة من الله، أراد أن يبلغهم إياها فلا تذهبن بك المذاهب فيهم** ﴾.

تعقيب هامّ: أليس قوله عليه السلام معترِضاً على السائل: ﴿ **ثمّ يخفي عنهم أخبار السماوات والأرض، ويقطع عنه موادّ العِلْم فيما يرد عليهم...** ﴾؛ دليلاً على عِلْمه التفصيلي والحضوري؟!، أوليس عدم عِلْمه بالجزئيات قبل ليالي القدر، أو بعدها بسنين متمادية يستلزم قطع موادّ العِلْم عنهم؟!.

(إنْ قيل لنا): إنّ عِلْمهم في ليالي القدر بالجزئيات بواسطة الملائكة في كلّ عام؛ إنما هو مختصٌّ في عامٍ تلو الآخر؛ بمعنى: أنّ الملائكة تخبرهم عن

التفاصيل التي ستجري في العام الّذي نزلت الملائكة عليهم فيه إلى العام الآخر، فينتفي علمهم بالجزئيات في السنة اللاحقة حتى قدوم ليلة القدر، فيعلمون المقدرات فيها لتلك السنة.

(قلنا): إنَّ الإطلاقات الأخباريَّة ـ المؤيدة لآية التطهير النافية عنهم الرجس المطلق الذي من أبرز مصاديقه الجهل بالمقدرات في السنة اللاحقة لليلة القدر ـ تنسف هذا الإشكال من أساسه.

يضاف إلى ذلك: على فرض أنّ إخبار الملائكة لهم في كلّ عام على جهة التعليم؛ فلا يستلزم هذا جهل الأئمّة الطاهرين عليهم السلام بتلك التفاصيل، وإلا ما معنى ما ورد في الأخبار المتقدِّمة من أنهم كالقمر مطّلِعون على جميع الأشياء، وأنّ بينهم وبين الله تعالى عمود من نور يرون به أعمال العباد منذ أنْ يولد الإمام عليه السلام، وهذا غير مختصٍّ بليالي القدر، بل يعمّ غيرها من الأيام والليالي.

الواو: ومنها ما رواه المجلسي رحمه الله في بحاره: باب أنهم يعلمون جميع الألسن واللّغات، ويتكلمون بها، وهو الآتي:

(١): عن الهمداني، عن عليّ، عن أبيه، عن الهرويّ قال: كان الإمام الرِّضا عليه السلام يكلِّم الناس بلغاتهم، وكان والله أفصح الناس وأعلمهم بكلّ لسانٍ ولغة، فقلت له يوماً: يابن رسول الله إني لأعجب من معرفتك بهذه اللغات على أختلافها؟ فقال عليه السلام: ﴿ **يا أبا الصّلت أنا حجّة الله على**

خلقه، وما كان ليتخذ حجّة على قومٍ وهو لا يعرف لغاتهم، أوما بلغك قول أمير المؤمنين عليه السلام **: أوتينا فصل الخطاب؟ فهل فصل الخطاب إلا معرفة اللغات** ﴾.

(٢): محمّد بن عيسى، عن ابن فضال، عن عليّ بن أبي حمزة قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام إذ دخل عليه ثلاثون مملوكاً من الحبش وقد اشتروهم له، فكلّم غلاماً منهم وكان من الحبش جميل فكلّمه بكلامه ساعة حتى أتى على جميع ما يريد وأعطاه درهماً، فقال عليه السلام : ﴿ **أعطِ أصحابك هؤلاء كلّ غلام منهم كلّ هلال ثلاثين درهماً ثمّ خرجوا** ﴾. فقلت: جعلت فداك لقد رأيتك تكلّم هذا الغلام بالحبشيّة فماذا أمرته؟، قال عليه السلام : ﴿**أمرته أن يستوصي بأصحابه خيراً ويعطيهم في كلّ هلال ثلاثين درهماً، وذلك أني لمّا نظرت إليه علمت أنه غلام عاقل من أبناء ملكهم، فأوصيته بجميع ما أحتاج إليه فقبل وصيتي ومع هذا غلام صدق** ﴾.

ثمّ قال عليه السلام : ﴿ **لعلّك عجبت من كلامي إياه بالحبشيّة، لا تعجب فما خفي عليك من أمر الإمام أعجب وأكثر، وما هذا من الإمام في علْمِهِ إلا كطير أخذ بمنقاره من البحر قطرة من ماء، أفترى الّذي أخذ بمنقاره نقص من البحر شيئاً؟** ﴾.

قال عليه السلام : ﴿ **فإنّ الإمام** عليه السلام **بمنزلة البحر لا ينفد ما عنده وعجائبه أكثر من ذلك، والطّير حين أخذ من البحر قطرة لم ينقص**

مـن البحـر شـيئاً، كـذلك العـالم لا ينقصـه علمـه شـيئاً ولا تنفـد عجائبه﴾.

(٣): اليقطينيّ وإبراهيم بن مهزيار، عن عليّ بن مهزيار قال: أرسلت إلى الإمام أبي الحسن الثالث عليه السلام غلامي ـ وكان صقلابيّاً ـ فرجع الغلام إليَّ متعجباً فقلتُ له: ما لك يا بنيّ؟ قال: وكيف لا أتعجّب ما زال يكلّمني بالصقلابيّة كأنه واحدٌ منا فظننتُ أنه إنما أراد بهذا اللسان كي لا يسمع بعض الغلمان ما دار بينهم.

(٤): أحمد بن محمّد، عن عبد الرّحمن بن حمّاد وعبد الله بن عمران، عن محمّد بن بشير، عن رجل، عن عمّار الساباطي قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ **يا عمّار أبو مسلم فطلّله وكسا كسيحه بساطورا** ﴾. قال: فقلتُ له: ما رأيت نبطيّاً أفصح منك بالنبطيّة فقال: ﴿**يا عمّار وبكلّ لسان**﴾.

(٥): ابن عيسى، عن الأهوازي والبرقيّ، عن النضر بن يحيى الحلبيّ، عن أخي مليح، عن أبي يزيد فرقد قال: كنتُ عند أبي عبد الله عليه السلام وقد بعث غلاماً له أعجميّاً في حاجة فرجع إليه فجعل يغيّر الرّسالة فلا يحيرها حتى ظننتُ أنه سيغضب عليه، ، فقال عليه السلام: ﴿ **تكلّم بأيّ لسانٍ شئت، فإني أفهم عنك** ﴾.

(٦): محمّد بن جزك، عن ياسر الخادم قال: كان غلمان أبي الحسن عليه السلام في البيت سقالبة وروم فكان أبو الحسن عليه السلام قريباً منهم فسمعهم بالليل يتراطنون[1] بالسقلبيّة والرّوميّة ويقولون: إنا كنا نفتصد في بلادنا في كلّ سنة ثمّ لم نفتصد ههنا فلمّا كان من الغد وجّه أبو الحسن عليه السلام إلى بعض الأطبّاء فقال له: ﴿ **أفصد فلاناً عرق كذا وكذا، وأفصد فلاناً عرق كذا وكذا** ﴾.

ثمّ قال عليه السلام: ﴿ **يا ياسر لا تفتصد أنت** ﴾ قال: فافتصدت فورمت يدي وأخضرّت، فقال: ﴿ **يا ياسر ما لك؟** ﴾ فأخبرته فقال عليه السلام: ﴿ **ألم أنهك عن ذلك، هلمّ يدك فمسح يده عليها وتفل فيها ثمّ أوصاني أن لا أتعشّى** ﴾، فكنت بعد ذلك بكم شاء الله أتغافل وأتعشى فيضرب عليَّ.

(٧): ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿ **قال الحسن بن عليّ عليه السلام: إنّ لله مدينتين: إحداهما بالمشرق، والأخرى بالمغرب، عليها سور من حديد، وعلى كلّ مدينة ألف ألف باب مصراعين من ذهب وفيها سبعون ألف ألف لغة يتكلّم كلّ لغة بخلاف لغة صاحبتها وأنا أعرف جميع اللغات وما فيهما وما بينهما وما عليهما حجّة غيري وغير أخي الحسين** ﴾.

---

(١) رطن الأعجميّ رطانةً: تكلّم بلغته، وتراطناً: تخاطباً بالأعجميّة. راجع (المعجم الوسيط) ص٣٥٢ مادة رطن.

بيان في علم الأئمة الطاهرين عليهم السلام بالصناعات:

قال صاحب البحار رحمه الله تعقيباً على هذه الأخبار: « **أما كونهم عالِمين باللغات فالأخبار فيه قريبة من حدّ التواتر بانضمام الأخبار العامّة لا يبقى فيه مجال شكٍّ، وأما عِلْمهم بالصناعات فعمومات الأخبار المستفيضة دالّة عليه، حيث ورد فيها أنّ الحجّة لا يكون جاهلاً في شيء يقول: لا أدري، مع ما ورد أنّ عندهم عِلْم ما كان وما يكون، وأنّ علوم الأنبياء وصلت إليهم، مع أنّ أكثر الصناعات منسوبة إلى الأنبياء، وقد فُصِّل تعليم الأسماء لآدم بما يشمل جميع الصناعات، وبالجملة: لا ينبغي للمتتبع الشك في ذلك أيضاً، وأمّا حكم العقل بلزوم الأمرين ففيه توقُّف وإنْ كان القول به غير مستبعَدٍ** ».انتهى كلامه.

أقول: إنَّ عِلْمهم (سلام الله عليهم) بالصناعات واللغات واجبٌ بحكم العقل؛ لكون ذلك من الموضوعات التي يترتب عليها حكمٌ شرعيٌّ، ووجوبه عليه من أوضح الواضحات في الأخبار وحكم العقل القاضي بوجوب أعلمية المعصوم عليه السلام في كلّ العلوم والفنون والصناعات من بقية الرعيَّة.

(٨): وعن أبي علي الطبرسي قال: قال أبو عبد الله بن عيّاش: حدّثني عليّ بن حبشي بن قوني قال: حدّثنا جعفر بن محمّد بن مالك قال: حدّثنا أبو هاشم الجعفري قال: دخلتُ على أبي الحسن عليه السلام فكلّمني بالهنديّة، فلم أحسن أنْ أردّ عليه، وكان بين يديه ركوة مُلِئَت حصىً، فتناول حصاةً

واحدة ووضعها في فيه ومصّها مليّاً، ثمّ رمى بها إليَّ، فوضعتها في فمي، فوالله ما برحت من عنده حتى تكلّمت بثلاثة وسبعين لساناً أولها الهنديّة.

تنبيه: إذا كان المعصومون قادرين على معرفة كل اللّغات، فبطريق أولى أن يُقدرهم المولى تعالى على معرفة كلّ الأشياء من دون انتظار ليلة القدر حتى تخبرهم الملائكة بذلك.

زين: ومنها ما روي من أنهم أفضل من كل الأنبياء والمرسلين.

وقد روى صاحب البحار الجمّ الغفير من الروايات نذكر بعضاً منها:

[١]: عليّ بن محمّد بن سعيد، عن حمدان بن سليمان، عن عبيد الله بن محمّد اليمانيّ، عن مسلم بن الحجاج، عن يونس، عن الحسين بن علوان، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿ **إنّ الله خلق أولي العزم من الرّسل وفضّلهم بالعِلْم وأورثنا عِلْمهم وفضلنا عليهم في عِلْمهم، وعلِمَ رسُولُ الله صلى الله عليه وآله ما لم يعلموا، وعلِمْنَا عِلْمَ الرّسول وعِلمهم** ﴾.

[٢]: اليقطينيّ، عن محمّد بن عمر، عن عبد الله بن الوليد السّمّان قال: قال لي الإمام أبو جعفر عليه السلام: ﴿ **يا عبد الله ما تقول الشيعة في عليّ وموسى وعيسى عليهم السلام؟** ﴾ قال: قلت: جعلت فداك ومن أيّ حالات تسألني؟ قال عليه السلام: ﴿ **أسألك عن العِلْم، فأمّا الفضل فهم سواء** ﴾، قال: قلت: جعلت فداك فما عسى أقول فيهم؟ فقال عليه السلام: ﴿ **هو والله أعلم منهما** ﴾.

ثمّ قال عليه السلام : « **يا عبد الله أليس يقولون: إنّ لعليّ عليه السلام ما للرّسول من العِلْم؟** » قال: قلت: بلى، قال عليه السلام : « **فخاصِمْهُم فيه** »، قال عليه السلام : « **إنّ الله تبارك وتعالى قال لموسى عليه السلام : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ... ﴿١٤٥﴾ ﴾ فأعلَمَنا أنه لم يبيّن له الأمر كلّه، وقال الله تبارك وتعالى لمحمّد صلى الله عليه وآله : ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ... ﴿٨٩﴾ ﴾** ».

[٣]: محمّد بن الحسين، عن أحمد بن بشير، عن كثير، عن أبي عمران قال: قال أبو جعفر عليه السلام : « **لقد سأل موسى العالِم مسألة لم يكن جوابها ولقد سأل العالِم موسى مسألةً لم يكن عنده جوابها ولو كنت بينهما لأخبرتُ كلّ واحد منهما بجواب مسألته ولسألتهما عن مسألة لا يكون عندهما جوابها** ».

[٤]: محمّد بن الحسين، عن عثمان بن عيسى، عن ابن مسكان، عن سدير، عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: « **لمّا لقي موسى العالِم كلّمه وساءله نظر إلى خطّاف يصفر يرتفع في السّماء ويتسفّل في البحر فقال العالِم لموسى: أتدري ما يقول هذا الخطاف؟ قال: وما يقول؟ قال: يقول: وربّ السماء وربّ الأرض ما علمكما في علم ربكما إلا مثل ما أخذت بمنقاري من هذا البحر،** قال: فقال أبو جعفر عليه السلام : **أما لو كنت عندهما لسألتهما عن مسألةٍ لا يكون عندهما فيها عِلْم** ».

[٥]: إبراهيم بن إسحاق عن عبد الله بن حمّاد، عن سيف التمار قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام ونحن جماعة في الحجر فقال: « **وربّ هذه البنيّة وربّ هذه الكعبة - ثلاث مرّات - لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما** ».

[٦]: أحمد بن الحسين، عن الحسين بن راشد، عن عليّ بن مهزيار، عن الأهوازي قال: وحدثوني جميعاً عن بعض أصحابنا عن عبد الله بن حمّاد، عن سيف التمار قال: كنا مع أبي عبد الله عليه السلام في الحجر فقال: «**علينا عين**»، فالتفتنا يمنة ويسرة وقلنا: ليس علينا عين، فقال عليه السلام: «**وربّ الكعبة - ثلاث مرّات - أن لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما**».

[٧]: روى سعد، عن محمّد بن يحيى، عن عميد بن معمّر، عن عبد الله بن الوليد السّمّان قال: قال الإمام الباقر عليه السلام: « **يا عبد الله ما تقول في عليّ وموسى وعيسى؟** » قلت: ما عسى أن أقول، قال: « **هو والله أعلم منهما، ثمّ قال: ألستم تقولون: إنّ لعليّ ما لرسول الله صلى الله عليه وآله من العِلْم؟**» قلنا: نعم، والناس ينكرون.

قال عليه السلام: « **فخاصمهم فيه بقوله تعالى لموسى:** ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ... ﴿١٤٥﴾ ﴾ **فعلمنا أنه لم يكتب له الشيء كلّه، وقال لعيسى** عليه السلام: ﴿ ..وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِۖ... ﴿٦٣﴾ ﴾ **فعلمنا**

أنه لم يبيّن له الأمر كلّه، وقال لمحمّدﷺ: ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ... ﴿٨٩﴾ ﴾ ».

وسُئِل عن قوله: ﴿ ..قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾، قال عليه السلام: « **والله إيّانا عنى، وعليٌّ أوّلنا وأفضلنا وخيرنا بعد رسول الله**، وقال: **إنّ العِلْم الّذي نزل مع آدم على حاله، وليس يمضي منا عالِم إلا خلّف مَن يعلَم عِلْمَه والعِلْم يُتوارث** ».

فإذاً هم كانوا أعلم المرسلين والأنبياء، ومنهم الخضر الّذي كان يملك العلم اللّدني، ولم يكن بينه وبين الله ملك يلقي عليه المعارف والعلوم.

الحاء: ومنها ما روي من أفضليّتهم وأعلميّتهم على الملائكة قاطبة وكذا أفضليّتهم على الأنبياء:

(١) تفسير القمي: بإسناده عن أبي عن الأصبهاني عن المنقري عن حفص عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « **كان مما ناجى الله موسى** عليه السلام **إني لا أقبل الصلاة إلا ممن تواضع لعظمتي، وألزم قلبه خوفي، وقطع نهاره بذكري، ولم يبت مصراً على خطيئته، وعرف حقّ أوليائي وأحبائي، فقال: موسى يا رب تعني بأوليائك وأحبائك إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، فقال: هم كذلك إلا أني أردت بذلك مَن مِن أجله خلقت آدم، وحواء، ومَن مِن أجله خلقت الجنة، والنار فقال: ومن هو يا رب؟ فقال: محمّد أحمد شققت اسمه من اسمي لأني أنا المحمود،**

وهو محمّد، فقال موسى: يا رب أجعلني من أمته، فقال له: يا موسى أنت من أمته إذا عرفت منزلته، ومنزلة أهل بيته، إنَّ مَثَلَهُ ومَثَلَ أهل بيته فيمن خلقت كمثل الفردوس في الجنان لا ينتشر ورقها، ولا يتغير طعمها فمن عرفهم، وعرف حقهم، جعلت له عند الجهل علماً، وعند الظلمة نوراً أجيبه قبل أن يدعوني، وأعطيه قبل أن يسألني الخبر ﴾.

(٢) تفسير القمي: قال الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ الآية: ﴿ **كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبية، ولرسوله بالنبوة، ولأمير المؤمنين، والأئمة بالإمامة فقال:** ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾، **ومحمّد نبيكم، وعلي إمامكم، والأئمة الهادون أئمتكم فقالُوا: بَلى فقال الله:** ﴿ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ **أي لئلا تقولوا يوم القيامة** ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ **؛فأول ما أخذ الله عز وجل الميثاق على الأنبياء بالربوبية، وهو قوله:** ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ ﴾ **فذكر جملة الأنبياء ثم أبرز أفضلهم بالأسامي فقال: ومِنْكَ يا محمد فقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله لأنه أفضلهم، ومِنْ نُوحٍ، وإِبْراهِيمَ، ومُوسى، وعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء، ورسول الله أفضلهم ثم أخذ بعد ذلك ميثاق رسول الله صلى الله عليه وآله على الأنبياء له بالإيمان، وعلى أن ينصروا أمير المؤمنين فقال:** ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ

وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ **يعني رسول الله** ﷺ ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ **يعني أمير المؤمنين صلوات الله عليه تخبروا أممكم بخبره، وخبر وليه من الأئمة** ﴾.

(٣) الخصال: بإسناده عن محمد بن علي بن الشاه عن أبي حامد عن أحمد بن خالد الخالدي عن محمد بن أحمد بن صالح التميمي عن أبيه عن محمد بن حاتم القطان عن حماد بن عمرو عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب عليهما السلام عن النبي ﷺ أنه قال في وصية له: ﴿**يا عليّ إن الله عزّ وجل أشرف على الدنيا فأختارني منها على رجال العالمين ثم أطلع الثانية فأختارك على رجال العالمين بعدي ثم أطلع الثالثة فأختار الأئمة من ولدك على رجال العالمين بعدك ثم أطلع الرابعة فأختار فاطمة على نساء العالمين** ﴾.

(٤) الأمالي للشيخ الطوسي: بإسناده عن المفيد عن ابن قولويه عن أبيه عن سعد عن ابن عيسى عن ابن معروف عن محمد بن سنان عن طلحة بن زيد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: ﴿ **قال رسول الله** ﷺ: **ما قبض الله نبياً حتى أمره أن يوصي إلى عشيرته من عصبته، وأمرني أن أوصي فقلت: إلى من يا رب؟ فقال: أوص يا محمّد إلى ابن عمك عليّ بن أبي طالب فإني قد أثبته في الكتب السالفة، وكتبت فيها أنه وصيك، وعلى ذلك أخذت ميثاق الخلائق، ومواثيق**

أنبيائي، ورسلي أخذت مواثيقهم لي بالربوبية، ولك يا محمد بالنبوة، ولعلي بن أبي طالب بالولاية ﴾.

(٥) الأمالي للشيخ الطوسي: بإسناده عن المفيد عن المظفر بن محمد عن محمد بن أحمد بن أبي الثلج عن محمد بن موسى الهاشمي عن محمد بن عبد الله البداري عن أبيه عن ابن محبوب عن أبي زكريا الموصلي عن جابر عن أبي جعفر عن أبيه عن جده عليهم السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: **﴿أنتَ الذي احتج الله بك في ابتدائه الخلق حيث أقامهم أشباحاً فقال لهم: ﴿ ..أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ... ﴿١٧٢﴾ ﴾ قال: ومحمد رسولي؟ قالوا: بلى، قال: وعليّ أمير المؤمنين فأبى الخلق جميعاً إلا استكباراً، وعتواً عن ولايتك إلا نفر قليل، وهم أقل الأقلين، وهم أصحاب اليمين﴾**.

(٦) الأمالي للشيخ الطوسي: بإسناده عن المفيد عن الجعابي عن جعفر بن محمد بن سليمان عن داود بن رشيد عن محمد بن إسحاق الثعلبي قال سمعت جعفر بن محمد عليهما السلام يقول: ﴿ **نحن خيرة الله من خلقه، وشيعتنا خيرة الله من أمة نبيه ﴾**.

(٧) عيون أخبار الرضا عليه السلام: بإسناد التميمي عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: ﴿ **الحسن والحسين خير أهل الأرض بعدي، وبعد أبيهما، وأمهما أفضل نساء أهل الأرض ﴾**.

(٨) بصائر الدرجات: بإسناده عن أحمد بن محمد عن الحسن بن موسى عن علي بن حسان عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ... ﴿١٧٢﴾ ﴾ قال: « **أخرج الله من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة كالذر فعرَّفهم نفسه، ولو لا ذلك لم يعرف أحد ربه، وقال:** ﴿ ..أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ... ﴿١٧٢﴾ ﴾، **وأن محمداً رسول الله، وعلياً أمير المؤمنين** ».

(٩) بصائر الدرجات: بإسناده عن ابن يزيد عن ابن محبوب عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن عليه السلام قال: « **ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله نبياً إلا بنبوة محمد، ووصية عليّ صلوات الله عليهما** ».

(١٠) بصائر الدرجات: عن الحسن بن علي بن النعمان عن يحيى بن أبي زكريا عن أبيه، ومحمد بن سماعة عن فيض بن أبي شيبة عن محمد بن مسلم قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: « **إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق النبيين على ولاية علي، وأخذ عهد النبيين بولاية عليّ** ».

(١١) بصائر الدرجات: عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن ابن عميرة عن الحضرمي عن حذيفة بن أسيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **ما**

تكاملت النبوة لنبي في الأظلة حتى عرضت عليه ولايتي، وولاية أهل بيتي، ومثلوا له فأقروا بطاعتهم، وولايتهم ».

(١٢) بصائر الدرجات: عن ابن يزيد عن يحيى بن المبارك عن ابن جبلة عن حميد بن شعيب عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام: « **ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبياً قط إلا بها »**.

(١٣) كشف اليقين: من كتاب الإمامة، عن الحسن بن الحسين الأنصاري عن يحيى بن العلاء عن معروف بن خربوذ المكي عن أبي جعفر عليه السلام قال: « **لو يعلم الناس متى سمي عليّ أمير المؤمنين لم ينكروا حقه، فقيل له متى سمي فقرأ:** ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ... ١٧٢﴾ **الآية، قال: محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله، وعليّ أمير المؤمنين عليه السلام »**.

(١٤) تفسير فرات بن إبراهيم: عن علي بن عتاب معنعنا عن أبي جعفر عليه السلام قال: « **لو أن الجهال من هذه الأمة يعرفون متى سمي أمير المؤمنين لم ينكروا، وأن الله تعالى حين أخذ ميثاق ذرية آدم عليه السلام، وذلك فيما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وآله في كتابه فنزل به جبرائيل كما قرأناه يا جابر ألم تسمع الله يقول في كتابه:** ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ...

﴿١٧٢﴾ ﴾، وأنّ محمداً رسول الله، وأن علياً أمير المؤمنين فو الله لسماه الله تعالى أمير المؤمنين في الأظلة حيث أخذ من ذرية آدم الميثاق ﴾.

(١٥) الإختصاص للمفيد: بإسناده عن ابن سنان عن المفضل بن عمر قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ **إنّ الله تبارك، وتعالى توحد بملكه فعرّف عباده نفسه ثم فوض إليهم أمره، وأباح لهم جنته فمن أراد الله أن يطهر قلبه من الجن، والإنس عرّفه ولايتنا، ومن أراد أن يطمس على قلبه أمسك عنه معرفتنا.**

ثم قال: **يا مفضل، والله ما أستوجب آدم أن يخلقه الله بيده، وينفخ فيه من روحه إلا بولاية عليّ** عليه السلام، **وما كلم الله موسى تكليما إلا بولاية علي** عليه السلام، **ولا أقام الله عيسى ابن مريم آية للعالمين إلا بالخضوع لعلي** عليه السلام ثم قال: **أجمل الأمر ما أستأهل خلق من الله النظر إليه إلا بالعبودية لنا** ﴾.

(١٦) مشارق الأنوار للبرسي: بإسناده عن الحسن بن محبوب عن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: ﴿ **يا عليّ أنت الذي أحتج الله بك على الخلائق حين أقامهم أشباحاً في أبتدائهم، وقال لهم:** ﴿ ..أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ... ﴿١٧٢﴾ ﴾ **فقال: ومحمد نبيكم؟ قالوا: بلى قال: وعلي إمامكم؟ قال: فأبى الخلائق جميعاً عن ولايتك، والإقرار بفضلك، وعتوا عنها استكباراً إلا قليلاً منهم، وهم أصحاب**

اليمين، وهم أقلّ القليل، وإنّ في السماء الرّابعة ملك يقول في تسبيحه: سبحان من دلّ هذا الخلق القليل من هذا العالم الكثير على هذا الفضل الجليل ﴾.

(١٧) ومما رواه في كتاب المعراج عن الصّدوق عن أحمد بن محمّد الصقر عن محمّد بن العباس بن بسام عن عبد الله بن محمد المهلبي عن أحمد بن صبيح عن الحسن بن جعفر عن أبيه عن منصور عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: ﴿ **لما عرج بالنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى السماء قال العزيز عز وجل:** ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾ **قال قلت:** ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ ﴾، **قال: صدقت يا محمّد من خلفت لأمتك، وهو أعلم، قلت: خيرها لأهلها قال: صدقت يا محمّد إني أطلعت إلى الأرض أطلاعة فاخترتك منها ثم شققت لك اسماً من أسمائي فلا أذكر في موضع إلا ذكرت معي، وأنا المحمود وأنت محمّد ثم اطلعت إليها اطلاعة أخرى فاخترت منها علياً فجعلته وصيك فأنت سيد الأنبياء، وعليّ سيد الأوصياء إني خلقتك، وخلقت علياًّ، وفاطمة، والحسن، والحسين من شبح نور ثم عرضت ولايتهم على الملائكة، وسائر خلقي، وهم أرواح فمن قبلها كان عندي من المقربين، ومن جحدها كان عندي من الكافرين يا محمد، وعزتي وجلالي، لو أن**

عبداً عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشن البالي ثم أتاني جاحداً لولايتهم لم أدخله جنتي، ولا أظللته تحت عرشي ﴾.

فإذا كان آدم أعلم من الملائكة فكيف بمن كان أفضل من آدم بل إنّ الله تاب على آدم ببركة أسماء العترة الطّاهرة، وإذا كان جبرائيل وهو أفضل ملك عند الله يجلس أمام النّبي جلسة العبد وكان لا يدخل عليه حتى يستأذنه كيف يمكن أن يقال بأنّ النّبي صلى الله عليه وآله كان ينتظر تلقّي المعارف منه.

طاء: باب أنّ دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والإستشفاع بهم صلوات الله عليهم أجمعين:

١- جامع الأخبار، الأمالي للصدوق: ماجيلويه عن عمه عن أحمد بن هلال عن الفضل بن دكين عن معمر بن راشد قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: ﴿ **أتى يهودي النبي صلى الله عليه وآله فقام بين يديه يحد النظر إليه فقال: يا يهودي ما حاجتك؟ قال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النبي الذي كلمه الله، وأنزل عليه التوراة، والعصا، وفلق له البحر، وأظله بالغمام؟ فقال له النبي صلى الله عليه وآله: إنه يكره للعبد أن يزكي نفسه، ولكني أقول إن آدم عليه السلام لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال: اللهم إني أسألك بحق محمد، وآل محمد لما غفرت لي فغفرها الله له، وإن نوحاً لما ركب في السفينة، وخاف الغرق قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتني من الغرق فنجاه الله عنه، وإن**

إبراهيم عليه السلام لما ألقي في النار قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتني منها فجعلها الله عليه برداً، وسلاماً، وإن موسى لما ألقى عصاه، وأوجس فِي نَفْسِهِ خِيفَةً قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما آمنتني فقال: الله جلّ جلاله: لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأعلى، يا يهودي إن موسى لو أدركني ثم لم يؤمن بي، وبنبوتي ما نفعه إيمانه شيئاً، ولا نفعته النبوة يا يهودي، ومن ذريتي المهدي إذا خرج نزل عيسى بن مريم عليهما السلام لنصرته فقدمه، وصلى خلفه ».

٢- معاني الأخبار: بإسناده عن العجلي عن ابن زكريا القطان عن ابن حبيب عن ابن بهلول عن أبيه عن محمد بن سنان عن المفضل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: « **إنّ الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم صلوات الله عليهم فعرضها على السماوات والأرض والجبال فغشيها نورهم فقال الله تبارك وتعالى للسماوات والأرض والجبال: هؤلاء أحبائي، وأوليائي، وحججي على خلقي، وأئمة بريتي ما خلقت خلقاً هو أحب إلي منهم، ولهم، ولمن تولاهم خلقت جنتي، ولمن خالفهم وعاداهم خلقت ناري، ومن ادعى منزلتهم مني، ومحلهم من عظمتي عذبته عَذاباً، لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ، وجعلته مع المشركين في أسفل درك ناري، ومن أقر بولايتهم، ولم يدع**

منزلتهم مني، ومكانهم من عظمتي جعلته معهم في روضات جناتي، وكان لهم فيها ما يشاءون عندي، وأبحتهم كرامتي، وأحللتهم جواري، وشفعتهم في المذنبين من عبادي، وإمائي فولايتهم أمانة عند خلقي فأيكم يحملها بأثقالها، ويدعيها لنفسه دون خيرتي فأبت السماوات والأرض والجبال أَنْ يَحْمِلْنَها وأَشْفَقْنَ من أدعاء منزلتها، وتمني محلّها من عظمة ربها فلما أسكن الله عز وجل آدم، وزوجته الجنة قال لهما: ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ يعني شجرة الحنطة ﴿ ..فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ فنظرا إلى منزلة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من بعدهم فوجداها أشرف منازل أهل الجنة فقالا: يا ربنا لمن هذه المنزلة؟ فقال الله جل جلاله: إرفعا رؤوسكما [رأسيكما] إلى ساق عرشي فرفعا رؤوسهما فوجدا اسم محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم صلوات الله عليهم مكتوبة على ساق العرش بنور من نور الجبار جل جلاله فقالا: يا ربنا ما أكرم أهل هذه المنزلة عليك، وما أحبهم إليك، وما أشرفهم لديك فقال الله جل جلاله لولاهم ما خلقتكما، هؤلاء خزنة علمي، وأمنائي على سري إياكما أن تنظرا إليهم بعين الحسد، وتتمنيا منزلتهم عندي، ومحلهم من كرامتي فتدخلا بذلك في نهيي، وعصياني ﴿ ..فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ قالا: ربنا ومَن الظالمون؟ قال:

المدعون لمنزلتهم بغير حق قالا ربنا فأرنا منازل ظالميهم في نارك حتى نراها كما رأينا منزلتهم في جنتك فأمر الله تبارك وتعالى النار فأبرزت جميع ما فيها من ألوان النكال والعذاب، وقال الله عز وجل: مكان الظالمين لهم المدعين لمنزلتهم في أسفل درك منها كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيها، وكُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بدّلوا سواها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ.

يا آدم، ويا حواء لا تنظرا إلى أنواري، وحججي بعين الحسد فأهبطكما عن جواري، وأحل بكما هواني فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطانُ لِيُبْدِيَ لَهُما ما وُورِيَ عَنْهُما مِنْ سَوْآتِهِما، وقالَ ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ إِلا أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونا مِنَ الْخالِدِينَ، وقاسَمَهُما إِنِّي لَكُما لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلاهُما بِغُرُورٍ، وحملهما على تمني منزلتهم فنظرا إليهم بعين الحسد فخذلا حتى أكلا من شجرة الحنطة فعاد مكان ما أكلا شعيرا فأصل الحنطة كلها مما لم يأكلاه، وأصل الشعير كله مما عاد مكان ما أكلاه فلما أكلا من الشجرة طار الحلي، والحلل عن أجسادهما، وبقيا عريانين، وطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ، وناداهُما رَبُّهُما أَلَمْ أَنْهَكُما عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ، وأَقُلْ لَكُما إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبِينٌ فقالا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا، وإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا، وتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ قال: إهبطا من جواري فلا يجاورني

في جنتي من يعصيني فهبطا موكولين إلى أنفسهما في طلب المعاش فلما أراد الله عز وجل أن يتوب عليهما جاءهما جبرائيل فقال لهما: إنكما ظلمتما أنفسكما بتمني منزلة من فضل عليكما فجزاؤكما ما قد عوقبتما به من الهبوط من جوار الله عز وجل إلى أرضه فاسألا ربكما بحق الأسماء التي رأيتموها على ساق العرش حتى يتوب عليكما فقالا: اللهم إنا نسألك بحق الأكرمين عليك محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة إلا تبت علينا، ورحمتنا فتاب الله عليهما إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ فلم يزل أنبياء الله بعد ذلك يحفظون هذه الأمانة، ويخبرون بها أوصياءهم، والمخلصين من أممهم فيأبون حملها، ويشفقون من ادعائها، وحملها الإنسان الذي قد عُرِفْ فأصل كل ظلم منه إلى يوم القيامة، وذلك قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾.

بيان: الإنسان الذي عرف هو أبو بكر؛ أمَّا ما جاء في هذا الخبر من أنّ آدم وحوّاء عليهما السلام نظرا إلى آل محمّد بعين الحسد، فغريبٌ ومخالفٌ لعصمة الأنبياء عليهم السلام؛ وبناءً عليه، فإنَّ هذه الفقرة ملفّقة على الحديث، فلا بدّ من طرحها لعدم انسجامها مع أدلّة العصمة أو نؤولها بما لا ينافي أدلة العصمة، كما فعل صاحب البحار؛ فتدبّر.

٣- معاني الأخبار: عن الدقاق عن العلوي عن جعفر بن محمد بن مالك عن محمد بن الحسين بن زيد عن محمد بن زياد عن المفضل عن مولانا الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ ﴾ ما هذه الكلمات؟ قال: « **هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فَتَابَ عَلَيْهِ، وهو أنه قال: يا رب أسألك بحق محمد وعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين إلا تبت عليَّ فتاب الله عليه** ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ ». فقلت له: يا ابن رسول الله فما يعني عز وجل بقوله: ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ قال عليه السلام: « **يعني أتمهن إلى القائم** عليه السلام **اثني عشر إماماً، تسعة من ولد الحسين** عليه السلام »، قال المفضل: فقلت له: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ... ﴿٢٨﴾ ﴾ قال عليه السلام: « **يعني بذلك الإمامة جعلها الله في عقب الحسين** عليه السلام **إلى يوم القيامة** »، قال: فقلت له: يا ابن رسول الله فكيف صارت الإمامة في ولد الحسين دون ولد الحسن، وهما جميعا ولدا رسول الله صلى الله عليه وآله، وسبطاه، وسيدا شباب أهل الجنة؟ فقال عليه السلام: « **إن موسى وهارون كانا نبيين مرسلين أخوين فجعل الله النبوة في صلب هارون من دون صلب موسى، ولم يكن لأحد أن يقول لم فعل الله ذلك فإن الإمامة خلافة الله عز وجل ليس لأحد أن يقول لم جعلها الله**

في صلب الحسين دون صلب الحسن؟ لأن الله هو الحكيم في أفعاله لا يُسْأَلْ عَمَّا يَفْعَلُ، وهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾.

٤- تفسير الإمام عليه السلام: قال الحسين بن عليّ عليهما السلام: ﴿ **إن الله تعالى لما خلق آدم، وسوّاه، وعلمه أسماء كل شيء، و** ﴿ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ ﴾ **جعل محمداً، وعلياً، وفاطمة، والحسن، والحسين أشباحاً خمسة في ظهر آدم، وكانت أنوارهم تضيء في الآفاق من السماوات، والحجب، والجنان، والكرسي، والعرش فأمر الله الملائكة بالسجود لآدم تعظيما له، إنه قد فضّله بأن جعله وعاء لتلك الأشباح التي قد عمّ أنوارها الآفاق.**

فسجدوا إلا إبليس أبى أن يتواضع لجلال عظمة الله، وأن يتواضع لأنوارنا أهل البيت، وقد تواضعت لها الملائكة كلها فاستكبر، وترفع فكان بإبائه ذلك، وتكبره من الكافرين ﴾.

قال عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما: ﴿ **حدثني أبي عن أبيه عن رسول الله** صلى الله عليه وآله **قال: قال: يا عباد الله إن آدم لما رأى النور ساطعاً من صلبه إذ كان الله نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره رأى النّور، ولم يتبين الأشباح فقال: يا رب ما هذه الأنوار، قال الله عز وجل: أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك، ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك إذ كنت وعاء لتلك الأشباح فقال آدم: يا رب لو بينتها لي**

فقال الله تعالى: أنظر يا آدم إلى ذروة العرش فنظر آدم عليه السلام، ووقع نور أشباحنا من ظهر آدم على ذروة العرش فانطبع فيه صور أشباحنا كما ينطبع وجه الإنسان في المرآة الصافية فرأى أشباحنا فقال: ما هذه الأشباح يا رب؟ فقال: يا آدم هذه الأشباح أفضل خلائقي، وبرياتي، هذا محمّدٌ وأنا الحميد المحمود في أفعالي، شققت له اسماً من اسمي، وهذا عليّ وأنا العلي العظيم شققت له اسماً من اسمي، وهذه فاطمة وأنا فاطر السماوات والأرضين، فاطم أعدائي عن رحمتي يوم فصل قضائي، وفاطم أوليائي عما يعتريهم ويشينهم فشققت لها اسماً من اسمي، وهذا الحسن وهذا الحسين، وأنا المحسن المجمل شققت لهما اسماً من اسمي. هؤلاء خيار خليقتي، وكرام بريتي بهم آخذ، وبهم أعطي، وبهم أعاقب، وبهم أثيب، فتوسل إلي بهم يا آدم، وإذا دهتك داهية فاجعلهم إلي شفعاءك فإني آليت على نفسي قسماً حقاً لا أخيب بهم آملا، ولا أردّ بهم سائلاً، فلذلك حين زلت منه الخطيئة دعا الله عز وجل بهم فتاب عليه، وغفر له ».

ياء: في فضل النبي وأهل بيته عليهم السلام على الملائكة وشهادتهم بولايتهم:

[١]: إكمال الدين، وعيون أخبار الرضا عليه السلام، وعلل الشرائع: عن الحسن بن محمد بن سعيد الهاشمي عن فرات بن إبراهيم عن محمد بن أحمد الهمداني عن العباس بن عبد الله البخاري عن محمد بن القاسم بن إبراهيم

عن الهروي عن الرضا عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ﴿ **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما خلق الله عزّ وجلّ خلقاً أفضل مني، ولا أكرم عليه مني قال عليّ عليه السلام: فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أو جبرائيل؟ فقال صلى الله عليه وآله: يا عليّ إن الله تبارك وتعالى فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلني على جميع النبيين، والمرسلين، والفضل بعدي لكَ يا عليّ، وللأئمة من بعدك، وإن الملائكة لخدامنا، وخدام محبينا. يا عليّ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ، ومَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ويَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا بولايتنا يا عليّ لولا نحن ما خُلق آدم، ولا حواء، ولا الجنة، ولا النار، ولا السماء، ولا الأرض فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا، وتسبيحه، وتهليله، وتقديسه؟ لأن أول ما خلق الله عزّ وجلّ خلق أرواحنا فأنطقنا بتوحيده، وتحميده ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا فسبحنا لتعلم الملائكة أنّا خلق مخلوقون، وأنه منزّه عن صفاتنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا، ونزهته عن صفاتنا فلما شاهدوا عظم شأننا هللّنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلا الله، وأنّا عبيدٌ، ولسنا بآلهة يجب أن نعُبد معه أو دونه فقالوا: لا إله إلا الله فلما شاهدوا كبر محلنا كبرنا لتعلم الملائكة أن الله أكبر من أن ينال عظم المحل إلا به، فلما شاهدوا ما جعله لنا من العزّ والقوة قلنا: لا حول**

ولا قوة إلا بالله لتعلم الملائكة أن لا حول لنا ولا قوة إلا بالله. فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا، وأوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا: الحمد لله لتعلم الملائكة ما يحقّ لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه فقالت الملائكة: الحمد لله فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله، وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده ثم، إن الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه، وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله عزّ وجلّ عبودية، ولآدم إكراماً، وطاعةً لكوننا في صلبه فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون. وإنّه لما عرج بي إلى السماء أذن جبرائيل مثنى مثنى، وأقام مثنى مثنى ثم قال لي: تقدم يا محمد فقلت له: يا جبرائيل أتقدم عليك؟ فقال: نعم لأن الله تبارك وتعالى فضّل أنبياءه على ملائكته أجمعين، وفضلك خاصّة فتقدمت فصلّيت بهم، ولا فخر فلما انتهيت إلى حجب النّور قال لي جبرائيل: تقدم يا محمد، وتخلّف عني فقلت: يا جبرائيل في مثل هذا الموضع تفارقني؟ فقال: يا محمّد إن أنتهاء حدّي الذي وضعني الله عز وجل فيه إلى هذا المكان فإن تجاوزته احترقت أجنحتي بتعدّي حدود ربي جلّ جلاله. فزخ بي في النّور زخّةً حتى أنتهيت إلى حيث ما شاء الله من علو ملكه فنُوديت يا محمد فقلت: لبيك ربي، وسعديك تباركت، وتعاليت، فنوديت: يا محمد أنت

عبدي، وأنا ربك فإياي فاعبد، وعليٌّ فتوكل فإنك نوري في عبادي، ورسولي إلى خلقي، وحجّتي في بريتي لك، ولمن أتبعك خلقت جنتي، ولمن خالفك خلقت ناري، ولأوصيائك أوجبت كرامتي، ولشيعتهم أوجبت ثوابي. فقلت: يا رب، ومن أوصيائي؟ فنوديت: يا محمّد أوصياؤك المكتوبون على ساق عرشي فنظرت وأنا بين يدي ربي جل جلاله إلى ساق العرش فرأيت اثني عشر نوراً في كل نور سطر أخضر عليه اسم وصي من أوصيائي أولهم عليّ بن أبي طالب، وآخرهم مهدي أمتي. فقلت: يا رب هؤلاء أوصيائي من بعدي؟ فنوديت: يا محمد هؤلاء أوليائي، وأوصيائي، وأصفيائي، وحججي بعدك على بريتي، وهم أوصياؤك، وخلفاؤك، وخير خلقي بعدك، وعزّتي وجلالي لأظهرن بهم ديني، ولأعلّين بهم كلمتي، ولأطهّرنّ الأرض بآخرهم من أعدائي، ولأمكننّه مشارق الأرض، ومغاربها، ولأسخّرنّ له الرياح، ولأذللنّ له السحاب الصعاب، ولأرقينّه في الأسباب، ولأنصرنّه بجندي، ولأمدّنَّه بملائكتي حتى تعلو دعوتي، ويجتمع الخلق على توحيدي ثم لأديمنَّ ملكه، ولأداولنَّ الأيّام بين أوليائي إلى يوم القيامة ﴾.

[٢]: علل الشرائع : عن البرقي عن أبيه عن جده عن ابن أبي عمير عن عمرو بن جميع عن مولانا الإمام عبد الله عليه السلام قال : ﴿**كان جبرائيل إذا**

أتـى النبـي ﷺ قعـد بـين يديـه قعـدة العبـد، وكـان لا يـدخل حتـى يستأذنه﴾.

[٣]: علل الشرائع : عن ابن عبدوس عن ابن قتيبة عن ابن شاذان عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ﴿ **لمّا أُسري برسول الله ﷺ، وحضرت الصلاة أذن جبرائيل، وأقام الصلاة فقال: يا محمّد تقدم، فقال له رسول الله ﷺ: تقدم يا جبرائيل فقال له: إنا لا نتقدم على الآدميين منذ أُمرنا بالسجود لآدم** ﴾.

[٤]: الإحتجاج : عن تفسير الإمام عليه السلام : عن أبي محمد العسكري عليه السلام أنه قال : ﴿ **سأل المنافقون النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله أخبرنا عن علي عليه السلام هو أفضل أم ملائكة الله المقرّبون؟ فقال رسول الله: وهل شرفت الملائكة إلا بحبها لمحمّد، وعليّ، وقبولها لولايتهما، إنّه لا أحد من محبّي عليّ عليه السلام نظف قلبه من قذر الغش، والدغل، والغل، ونجاسة الذنوب إلا كان أطهر، وأفضل من الملائكة. وهل أمر الله الملائكة بالسجود لآدم إلا لما كانوا قد وضعوه في نفوسهم أنه لا يصير في الدنيا خلق بعدهم إذا رفعوا عنها إلا وهم - يعنون أنفسهم - أفضل منهم في الدين فضلاً، وأعلم بالله، وبدينه علماً. فأراد الله أن يعرفهم أنهم قد أخطأوا في ظنونهم، واعتقاداتهم فخلق آدم، وعلّمه الأسماء كلها ثم عرضها عليهم فعجزوا عن معرفتها فأمر آدم أن**

ينبّئهم بها، وعرفهم فضله في العلم عليهم ثم أخرج من صلب آدم ذرية منهم الأنبياء، والرسل، والخيار من عباد الله أفضلهم محمد ثم آل محمد، ومن الخيار الفاضلين منهم [بعض] أصحاب محمّد، وخيار أمّة محمّد، وعرف الملائكة بذلك أنهم أفضل من الملائكة.. ﴾. إلى آخر ما نقلنا سابقاً في باب غزوة تبوك في قصة العقبة.

[٥] : تفسير القمي: عن أبي عن الأصفهاني عن المنقري عن حماد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سُئل هل الملائكة أكثر أم بنو آدم؟ فقال: ﴿ **والذي نفسي بيده لملائكة الله في السماوات أكثر من عدد التراب في الأرض، وما في السماء موضع قدم إلا وفيها ملك يسبحه، ويقدسه، ولا في الأرض شجر، ولا مدر إلا وفيها ملك موكل بها يأتي الله كل يوم بعملها، والله أعلم بها، وما منهم أحد إلا ويتقرب كل يوم إلى الله بولايتنا أهل البيت، ويستغفر لمحبينا، ويلعن أعداءنا، ويسأل الله أن يرسل عليهم العذاب إرسالاً ﴾**.

بيان: قوله عليه السلام : ﴿ **وما في السّماء موضع قدم إلا وفيها ملَكٌ... موكّلٌ بها يأتي الله كلّ يوم بعملها... ﴾** ، إشارةٌ واضحة إلى أنّ الملائكة موكّلة بالنّظام التكويني وبجزئيّاته وتفاصيله ، فإذا كانت هي الّتي تصدّر الأوامر إلى الإمام في ليلة القدر ــ وهو أشرف منها وأفضل ــ فمن يا تُرى يصدّر إليها الأمر على كثرتها؟

إنْ قيل: إنّ الله سبحانه يصدّر إلى الملائكة الأوامر مباشرةً، وهي بدورها تصدّر الأوامر للإمام عليه السلام.

قلنا: إذا جاز أن يصدّر الله هذه البلايين البلايين من الأوامر إلى الملائكة، جاز بطريقٍ أولى أن يصدّر هذه البلايين من الأوامر إلى وليِّه الأعظم وخليفته المكرّم الإمام عليه السلام، مضافاً إلى أنّ تصدير الأوامر إليها من قبل الله مباشرةً يُلغي دور الخليفة وعلاقته المباشرة مع الله تعالى، وتصبح الملائكة أفضل منه من حيث احتياجه إليها في تعليم الأسماء، وقد قامت الآيات الشريفة على احتياجها إلى آدم الخليفة الّذي هو أدون بالفضيلة والمرتبة من محمّد وآله الأطهار.

[٦]: إكمال الدين: عن الهمداني عن علي عن أبيه عن علي بن معبد عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن علي بن موسى عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: ﴿ **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيّد من خلق الله، وأنا خير من جبرائيل، وإسرافيل، وحملة العرش، وجميع الملائكة المقربين، وأنبياء الله المرسلين، وأنا صاحب الشفاعة، والحوض الشريف، وأنا وعليّ أبوا هذه الأمة من عرفنا فقد عرف الله، ومن أنكرنا فقد أنكر الله عزّ وجلّ، ومن عليّ سبطا أمتي، وسيدا شباب أهل الجنة: الحسن والحسين، ومن ولد الحسين أئمة تسعة، طاعتهم طاعتي، ومعصيتهم معصيتي تاسعهم قائمهم ومهديهم** ﴾.

الكاف: ومنها ما روي من أنّ الإمام عليه السلام لا يُسأل عن شيء مما بين صدفيها إلا أجاب فيه، وأنّ الله فتح لهم عليهم السلام عن باطن ينابيع علمه، وأنه سبحانه شرّف الإمام بأعظم من العصمة، وأنه تعالى يُغشي الإمام النور؛ نذكر من هذه الأخبار ما يأتي:

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: تميم القرشي عن أبيه عن أحمد بن علي الأنصاري عن الحسن بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون يوماً، وعنده عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام، وقد اجتمع الفقهاء وأهل الكلام من الفرق المختلفة فسأله بعضهم فقال له: يا ابن رسول الله بأي شيء تصحّ الإمامة لمدعيها، قال عليه السلام: ﴿ **بالنّص والدلائل** ﴾.

قال له: فدلالة الإمام فيما هي؟ قال عليه السلام: ﴿ **في العلم وأستجابة الدعوة** ﴾، قال: فما وجه إخباركم بما يكون؟ قال عليه السلام: ﴿ **ذلك بعهد معهود إلينا من رسول الله صلى الله عليه وآله** ﴾ قال: فما وجه إخباركم بما في قلوب الناس؟

قال عليه السلام: ﴿ **أما بلغك قول الرسول صلى الله عليه وآله أتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله؟** ﴾ قال: بلى، قال عليه السلام: ﴿ **فما من مؤمن إلا وله فراسة ينظر بنور الله على قدر إيمانه، ومبلغ استبصاره، وعلمه، وقد جمع الله للأئمة منا ما فرّقه في جميع المؤمنين، وقال عزّ وجل في كتابه** ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥﴾ **؛فأول المتوّسمين رسول**

الله ﷺ **ثمّ أمير المؤمنين** عليه السلام **من بعده ثم الحسن والحسين، والأئمة من ولد الحسين إلى يوم القيامة** ﴾، قال: فنظر إليه المأمون فقال له: يا أبا الحسن زدنا مما جعل الله لكم أهل البيت.

فقال الرضا عليه السلام: ﴿ **إن الله عز وجل قد أيدنا بروح منه مقدّسة مطهرة ليست بملكٍ لم تكن مع أحد ممن مضى إلا مع رسول الله** ﷺ، **وهي مع الأئمة منا تسدّدهم، وتوفقهم، وهو عمود من نور بيننا وبين الله عزّ وجل...** ﴾.

(٢) عن أحمد بن إدريس عن ابن عيسى عن محمّد بن سنان عن أبي الجارود عن مولانا أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: جُعِلت فداك إذا مضى عالمكم أهل البيت فبأيّ شيءٍ يُعرف الّذي يجيئ بعده؟ قال عليه السلام: ﴿ **بالهدي والإطراق وإقرار آل محمّد له بالفضل، ولا يُسأل عن شيءٍ ممّا بين صدفيها إلا أجاب فيه** ﴾.

(٣) بصائر الدرجات: عمران بن موسى عن محمّد بن الحسين عن عبيس بن هشام عن الحسين بن يونس عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿ **إذا أراد الله أن يخلق إماماً أخذ الله بيده شربة من تحت عرشه فدفعه إلى ملك من ملائكته فأوصلها إلى الإمام فكان الإمام من بعده منها فإذا مضى عليه أربعون يوماً سمع الصوت، وهو في بطن أمه فإذا ولد أوتي الحكمة، وكتب على عضده الأيمن:** ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا

مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ **فإذا كان الأمر يصل إليه أعانه الله بثلاثمائة وثلاثة عشر ملكاً بعدد أهل بدر، وكانوا معه، ومعهم سبعون رجلاً، واثنا عشر نقيباً فأما السبعون فيبعثهم إلى الآفاق يدعون الناس إلى ما دعوا إليه أولاً، ويجعل الله له في كل موضع مصباحاً يبصر به أعمالهم** ﴾.

(٤) الخصال: عن العجلي عن ابن زكريا القطان عن ابن حبيب عن ابن بهلول عن أبي معاوية عن سليمان بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿**عشر خصال من صفات الإمام العصمة، والنصوص، وأن يكون أعلم الناس، وأتقاهم لله، وأعلمهم بكتاب الله، وأن يكون صاحب الوصية الظاهرة، ويكون له المعجز، والدليل، وتنام عينه، ولا ينام قلبه، ولا يكون له فيءٌ، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه** ﴾.

(٥) بصائر الدرجات: عن محمّد بن الحسين عن أبي داود المسترق عن عيسى الفراء عن مالك الجهني قال: كنت بين يدي أبي عبد الله عليه السلام فوضعت يدي على خدي، وقلت: لقد عصمك الله، وشرّفك، فقال عليه السلام: ﴿ **يا مالك! الأمر أعظم مما تذهب إليه** ﴾.

بيان: قال العلامة المجلسي في توضيح الخبر: « **أي ليس محض العصمة والتّشريف كما زعمت، بل هي الخلافة الكبرى وفرض الطّاعة على كافّة الورى**».

(٦) بصائر الدرجات: عن محمد بن عيسى، ويعقوب بن يزيد، وغيرهما عن ابن محبوب عن إسحاق بن غالب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿ **مضى رسول الله صلى الله عليه وآله، وخلف في أمته كتاب الله، ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام أمير المؤمنين، وإمام المتقين، وحبل الله المتين، وعروته الوثقى التي** ﴿ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾**، وعهده المؤكّد صاحبان مؤتلفان يشهد كل واحد لصاحبه بتصديق ينطق الإمام عن الله عزّ وجل في الكتاب بما أوجب الله فيه على العباد من طاعة الله، وطاعة الإمام، وولايته، وأوجب حقه الذي أراه الله عزّ وجل من استكمال دينه، وإظهار أمره، والاحتجاج بحجته، والاستضاءة بنوره في معادن أهل صفوته، ومصطفى أهل خيرته. فأوضح الله بأئمة الهدى من أهل بيت نبينا عن دينه، وأبلج بهم عن سبيل مناهجه، وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه فمن عرف من أمة محمد صلى الله عليه وآله، وأوجب حقّ إمامه وجد طعم حلاوة إيمانه، وعلم فضل طلاوة إسلامه لأن الله نصب الإمام علماً لخلقه، وجعله حجةً على أهل عالمه ألبسه الله تاج الوقار، وغشّاه من نور الجبار يمد بسبب إلى السّماء لا ينقطع عنه مواده، ولا ينال ما عند الله تبارك وتعالى إلا بجهة أسباب سبيله، ولا يقبل الله أعمال العباد إلا بمعرفته فهو عالم بما يرد عليه من ملتبسات الوحي، ومعمّيات السنن، ومشتبهات الفتن، ولم يكن الله ليُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ**

هَداهُمْ حتى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ، وتكون الحجة من الله على العباد بالغة ﴾.

(٧) بصائر الدرجات: عن سلمة بن الخطاب عن سليمان بن سماعة الحذّاء، وعبد الله بن محمد جميعاً عن عبد الله بن القاسم عن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ﴿ **الإمام منّا ينظر من خلفه كما ينظر من قدامه** ﴾.

(٨) بصائر الدرجات: عن أحمد بن موسى عن الحسن بن علي الخشاب عن علي بن حسان عن عبد الرحمن بن كثير قال: قال أبو جعفر عليه السلام يوماً ونحن عنده جماعة من الشّيعة: ﴿ **قوموا تفرقوا عني مثنى وثلاث، فإني أراكم من خلفي كما أراكم من بين يدي فليسرّ عبد في نفسه ما شاء فإن الله يعرّفنيه** ﴾.

(٩) عن أحمد بن محمّد عن عمر بن العزيز عن الخيبري عن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ ثمّ قال: **هذا حرفٌ في الأئمّة خاصّة**، ثمّ قال: **يا يونس إنّ الإمام يخلقه الله بيده لا يليه أحدٌ غيره وهو جعله يسمع ويرى في بطن أمّه حتى إذا صار إلى الأرض خُطّ بين كتفيه:** ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ ﴾.

بيان: الخلق باليد كناية عن غاية اللّطف والاهتمام بشأنه ؛ فإنّ من يهتم بأمرٍ يليه بنفسه أو المراد أنّه يخلقه بقدرته من غير ملكٍ في تسبيب أسبابه.

(١٠) الغيبة للنعماني: عن الكليني عن محمد بن يحيى عن ابن عيسى عن إسحاق بن غالب عن أبي عبد الله عليه السلام في خطبة له يذكر فيها حال الأئمة عليهم السلام، وصفاتهم فقال عليه السلام: ﴿ **إن الله تبارك، وتعالى أوضح بأئمة الهدى من أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله عن دينه، وأبلج بهم عن سبيل منهاجه، وفتح لهم عن باطن ينابيع علمه.**

فمن عرف من أمة محمد صلى الله عليه وآله واجب حقّ إمامه وجد طعم حلاوة إيمانه، وعلم فضل طلاوة إسلامه إن الله نصب الإمام علماً لخلقه، وجعله حجّة على أهل طاعته ألبسه الله تاج الوقار، وغشّاه من نور الجبار يمدّ بسبب من السماء لا ينقطع عنه مواده، ولا ينال ما عند الله إلا بجهة أسبابه، ولا يقبل الله الأعمال للعباد إلا بمعرفته.

فهو عالم بما يرد عليه من مشكلات الوحي، ومعميات السّنن، ومشتبهات الدين لم يزل الله يختارهم لخلقه من ولد الحسين صلوات الله عليه من عقب كل إمام فيصطفيهم لذلك، ويجتبيهم، ويرضى بهم لخلقه، ويرتضيهم لنفسه كلما مضى منهم إمام نصّب عزّ وجل لخلقه من عقبه إماماً علماً بيّناً، وهادياً منيراً، وإماماً قيماً، وحجةً عالماً أئمةً من الله ﴿..يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ **حجج**

الله، ودعاته، ورعاته على خلقه يدين بهداهم العباد، وتستهل بنورهم البلاد، وتنمي ببركتهم التلاد، وجعلهم الله حياة الأنام، ومصابيح الظلام، ودعائم الإسلام جرت بذلك فيهم مقادير الله على محتومها.

فالإمام هو المنتجب المرتضى، والهادي المجتبى، والقائم المرتجى اصطفاه الله لذلك، واصطنعه على عينه في الذّر حين ذرأه، وفي البريّة حين برأه ظلاً قبل خلقه نسمة عن يمين عرشه محبوّاً بالحكمة في علم الغيب عنده اختاره بعلمه، وانتجبه بتطهيره بقية من آدم، وخيرة من ذرية نوح، ومصطفى من آل إبراهيم، وسلالة من إسماعيل، وصفوة من عترة محمد ﷺ.

لم يزل مرعياً بعين الله ويكلاه بسرّه مدفوعاً عنه وقوب الغواسق، ونفوث كل فاسق مصروفاً عنه قواذف السوء مبرأ من العاهات محجوباً عن الآفات مصوناً من الفواحش كلها معروفاً بالحلم، والبر في بقاعه منسوباً إلى العفاف والعلم والفضل عند انتهائه مسنداً إليه أمر والده صامتاً عن المنطق في حياته.

فإذا انقضت مدة والده انتهت به مقادير الله إلى مشيته، وجاءت الإرادة من عند الله فيه إلى محبته، وبلغ منتهى مدة والده فمضى، وصار أمر الله إليه من بعده، وقلّده الله دينه، وجعله الحجّة على عباده، وقيّمه في بلاده، وأيّده بروحه، وأعطاه علمه، واستودعه سره،

وأنتدبه لعظيم أمره، وآتاه فضل بيان علمه، ونصبه علماً لخلقه، وجعله حجّةً على أهل عالمه، وضياء لأهل دينه، والقيم على عباده، رضي الله به إماماً لهم استحفظه علمه، واستخبأه حكمته، واسترعاه لدينه، وحباه مناهج سُبُلِه، وفرائضه، وحدوده فقام بالعدل عند تحيّر أهل الجهل، وتحبير أهل الجدل بالنّور السّاطع، والشّفاء النّافع بالحق الأبلج، والبيان من كل مخرج على طريق المنهج الذي مضى عليه الصّادقون من آبائه، فليس يجهل حق هذا العالم إلا شقي، ولا يجحده إلا غوي، ولا يصدّ عنه إلا جريء على الله جلّ وعلا ﴾.

(١١) الغيبة للشيخ النعماني: بإسناده عن علي بن أحمد عن عبد الله بن موسى عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى عن أبي سعيد المكاري عن الحارث بن المغيرة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بأي شيء يعرف الإمام؟ قال عليه السلام: ﴿ **بالسكينة والوقار** ﴾. قلت: بأي شيء؟ قال عليه السلام: ﴿**وتعرفه بالحلال والحرام، وبحاجة النّاس إليه، ولا يحتاج إلى أحد، ويكون عنده سلاح رسول الله** صلى الله عليه وآله ﴾. قلت: يكون إلا وصياً ابن وصي؟ قال عليه السلام: ﴿ **لا يكون إلا وصياً، وابن وصي** ﴾.

(١٢) رجال الكشي: قال أبو الحسن علي بن محمد بن قتيبة: ومما وقع عبد الله بن حمدويه البيهقي، وكتبته من رقعته أن أهل النيسابور قد أختلفوا في دينهم، وخالف بعضهم بعضاً، ويكفّر بعضهم بعضاً، وبها قوم يقولون:

إن النبي صلى الله عليه وآله عرف جميع لغات أهل الأرض، ولغات الطّيور، وجميع ما خلق الله، وكذلك لا بد أن يكون في كل زمان من يعرف ذلك، ويعلم ما يضمر الإنسان، ويعلم ما يعمل أهل كل بلاد في بلادهم ومنازلهم، وإذا لقي طفلين فيعلم أيهما مؤمن، وأيهما يكون منافقاً، وأنّه يعرف أسماء جميع من يتولاه في الدنيا، وأسماء آبائهم، وإذا رأى أحدهم عرفه باسمه من قبل أن يكلّمه.

ويزعمون جعلت فداك أن الوحي لا ينقطع، والنبي صلى الله عليه وآله لم يكن عنده كمال العلم، ولا كان عند أحد من بعده، وإذا حدث الشيء في أي زمان كان، ولم يكن علم ذلك عند صاحب الزّمان أوحى الله إليه وإليهم. فقال: ﴿ **كذبوا لعنهم الله، وأفتروا إثما عظيماً** ﴾. وبها شيخ يقال له: فضل بن شاذان يخالفهم في هذه الأشياء، وينكر عليهم أكثرها، وقوله: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن الله عزّ وجل في السّماء السابعة فوق العرش كما وصف نفسه عزّ وجل أنه جسم فوصفه بخلاف المخلوقين في جميع المعاني ﴿ ..لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾.

وإنّ من قوله إن النبي صلى الله عليه وآله قد أتى بكمال الدين، وقد بلغ عن الله عزّ وجل ما أمره به، وجاهد في سبيله، وعبده حتى أتاه اليقين، وإنه عليه السلام أقام رجلاً يقوم مقامه من بعده، فعلمه من العلم الّذي أوحى الله فعرف ذلك الرجل الذي عنده من العلم الحلال والحرام، وتأويل الكتاب، وفصل

الخطاب، وكذلك في كل زمان لا بد من أن يكون واحد يعرف هذا، وهو ميراث من رسول الله ﷺ يتوارثونه، وليس يعلم أحد منهم شيئاً من أمر الدين إلا بالعلم الذي ورثوه عن النبي ﷺ، وهو ينكر الوحي بعد رسول الله ﷺ، فقال: ﴿ **قد صدق في بعض، وكذب في بعض** ﴾.

وفي آخر الورقة: ﴿ **قد فهمنا رحمك الله كل ما ذكرت، ويأبى الله عزّ وجل أن يرشد أحدكم، وأن يرضى عنكم، وأنتم مخالفون معطلون الدين لا تعرفون إماماً، ولا تتولون ولياً كلما تلافاكم الله عزّ وجل برحمته، وأذن لنا في دعائكم إلى الحق، وكتبنا إليكم بذلك، وأرسلنا إليكم رسولاً لم تصدّقوه فأتقوا الله عباد الله، ولا تلجوا في الضّلالة من بعد المعرفة، وأعلموا أن الحجّة قد لزمت أعناقكم، وأقبلوا نعمته عليكم تدم لكم بذلك السعادة في الدّارين عن الله عزّ وجل إن شاء الله.**

وهذا الفضل بن شاذان ما لنا وله يفسد علينا موالينا، ويزين لهم الأباطيل، وكلما كتبنا إليهم كتاباً أعترض علينا في ذلك، وأنا أتقدم إليه أن يكف عنّا، وإلا، والله سألت الله أن يرميه بمرض لا يندمل جرحه في الدنيا ولا في الآخرة أبلغ موالينا هداهم الله سلامي، وأقرئهم هذه الرقعة إن شاء الله تعالى ﴾.

(١٣) الكافي: عن علي بن محمّد عن بعض أصحابنا عن ابن أبي عمير عن حريز عن زرارة عن أبي جعفرعليه السلام قال: ﴿ **للإمام عشر علامات: يولد مطهراً مختوناً، وإذا وقع على الأرض وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشهادتين، ولا يجنب، وتنام عينه ولا ينام قلبه، ولا يتثاءب، ولا يتمطى، ويرى من خلفه كما يرى من أمامه، ونجوه كرائحة المسك، والأرض موكلة بستره، وأبتلاعه، وإذا لبس درع رسول الله صلى الله عليه وآله كانت عليه وفقاً، وإذا لبسه غيره من الناس طويلهم وقصيرهم زادت عليه شبراً، وهو محدَّثٌ إلى أن تنقضي أيامه** ﴾.

(١٤) البرسي في مشارق الأنوار عن طارق بن شهاب عن أمير المؤمنينعليه السلام أنه قال: ﴿ **يا طارق الإمام كلمة الله، وحجة الله، ووجه الله، ونور الله، وحجاب الله، وآية الله يختاره الله، ويجعل فيه ما يشاء، ويوجب له بذلك الطاعة، والولاية على جميع خلقه فهو وليّه في سماواته، وأرضه أخذ له بذلك العهد على جميع عباده فمن تقدّم عليه كفر بالله من فوق عرشه فهو يفعل ما يشاء، وإذا شاء الله شاء.**

ويُكتب على عضده ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ ... ﴿١١٥﴾ ﴾ **فهو الصّدق والعدل، ويُنصب له عمود من نور من الأرض إلى السماء يرى فيه أعمال العباد، ويلبس الهيبة، وعلم الضمير، ويطلع على الغيب،**

ويرى ما بين المشرق والمغرب، فلا يخفى عليه شيء من عالم الملك، والملكوت، ويُعطى منطق الطير عند ولايته.

فهذا الذي يختاره الله لوحيه، ويرتضيه لغيبه، ويؤيده بكلمته، ويلقنه حكمته، ويجعل قلبه مكان مشيته، وينادي له بالسلطنة، ويذعن له بالإمرة، ويحكم له بالطّاعة، وذلك لأن الإمامة ميراث الأنبياء، ومنزلة الأصفياء، وخلافة الله، وخلافة رسل الله فهي عصمة، وولاية، وسلطنةٌ، وهداية، وإنه تمام الدين، ورجح الموازين.

الإمام دليل للقاصدين، ومنارٌ للمهتدين، وسبيلُ السالكين، وشمس مشرقة في قلوب العارفين وولايته سبب للنجاة، وطاعته مفترضة في الحياة، وعدّة بعد الممات، وعز المؤمنين، وشفاعة المذنبين، ونجاة المحبّين، وفوز التابعين لأنها رأس الإسلام، وكمال الإيمان، ومعرفة الحدود والأحكام، وتبيين الحلال من الحرام فهي مرتبة لا ينالها إلا من أختاره الله، وقدّمه وولاه، وحكّمه.

فالولاية هي حفظ الثغور، وتدبير الأمور، وتعديد الأيام والشهور، الإمام الماء العذب على الظمأ، والدال على الهدى، الإمام المطهر من الذنوب المطّلع على الغيوب، الإمام هو الشمس الطالعة على العباد بالأنوار فلا تناله الأيدي والأبصار، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ والمؤمنون عليّ وعترته، فالعزة للنبي

وللعترة، والنبي والعترة لا يفترقان في العزَّة إلى آخر الدهر فهم رأس دائرة الإيمان، وقطب الوجود، وسماء الجود، وشرف الموجود، وضوء شمس الشَّرف، ونور قمره، وأصل العز والمجد، ومبدؤه، ومعناه، ومبناه، فالإمام هو السراج الوهاج، والسّبيل والمنهاج، والماء الثجّاج، والبحر العجاج، والبدر المشرق، والغدير المغدق، والمنهج الواضح المسالك، والدليل إذا عمّت المهالك، والسحاب الهاطل، والغيث الهامل، والبدر الكامل، والدليل الفاضل، والسّماء الظليلة، والنعمة الجليلة، والبحر الذي لا ينزف، والشّرف الذي لا يوصف، والعين الغزيرة، والرّوضة المطيرة، والزهر الأريج، والبدر البهيج، والنّيّر اللائح، والطيب الفائح، والعمل الصالح، والمتجر الرابح، والمنهج الواضح، والطيّب الرفيق، والأب الشفيق.

مفزع العباد في الدواهي، والحاكم والآمر والناهي، مهيمن الله على الخلائق، وأمينه على الحقائق، حجة الله على عباده، ومحجته في أرضه وبلاده، مطهّر من الذنوب، مبرأ من العيوب، مطّلع على الغيوب، ظاهره أمر لا يملك، وباطنه غيب لا يدرك، واحد دهره، وخليفة الله في نهيه وأمره.

لا يوجد له مثيل، ولا يقوم له بديل، فمن ذا ينال معرفتنا، أو يعرف درجتنا، أو يشهد كرامتنا، أو يدرك منزلتنا، حارت الألباب والعقول،

وتاهت الأفهام فيما أقول، تصاغرت العظماء، وتقاصرت العلماء، وكلّت الشعراء، وخرست البلغاء، ولكَنَتْ الخطباء، وعجزت الفصحاء، وتواضعت الأرض، والسّماء عن وصف شأن الأولياء.

وهل يُعرف أو يُوصف أو يُعلم أو يُفهم أو يُدرك أو يُملك مَنْ هو شعاع جلال الكبرياء، وشرف الأرض والسّماء؟ جلّ مقام آل محمد ﷺ عن وصف الواصفين، ونعت النّاعتين، وأن يقاس بهم أحد من العالمين، كيف، وهم الكلمة العلياء، والتسمية البيضاء، والوحدانية الكبرى التي أعرض عنها ﴿ ..مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ١٧ ﴾، وحجاب الله الأعظم الأعلى.

فأين الأختيار من هذا؟ وأين العقول من هذا؟ ومن ذا عرف أو وصف من وصفت؟ ظنّوا أن ذلك في غير آل محمد كذبوا، وزلت أقدامهم أتخذوا العجل رباً، والشياطين حزباً، كل ذلك بغضةً لبيت الصفوة، ودار العصمة، وحسداً لمعدن الرسالة والحكمة، وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فتبّاً لهم وسحقاً كيف اختاروا إماماً جاهلاً عابداً للأصنام جباناً يوم الزحام؟

والإمام يجب أن يكون عالماً لا يجهل، وشجاعاً لا ينكل، لا يعلو عليه حسب، ولا يدانيه نسب فهو في الذّروة من قريش، والشّرف من هاشم، والبقية من إبراهيم، والنّهج من النبع الكريم، والنّفس من الرّسول، والرّضى من الله، والقول عن الله.

فهو شرف الأشراف، والفرع من عبد مناف، عالمٌ بالسياسة، قائم بالرئاسة، مفترض الطاعة إلى يوم الساعة، أودع الله قلبه سرّه، وأطلق به لسانه فهو معصوم موفق ليس بجبان، ولا جاهل فتركوه يا طارق: واتَّبَعُوا ﴿ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ ﴾؟.

والإمام يا طارق بشر ملكيّ، وجسدٌ سماوي، وأمرٌ إلهي، وروحٌ قدسي، ومقام علي، ونور جلي، وسر خفي، فهو ملكيُّ الذات، إلهي الصفات، زائد الحسنات، عالمٌ بالمغيبات، خصّاً من رب العالمين، ونصاً من الصادق الأمين.

وهذا كله لآل محمد لا يشاركهم فيه مشارك لأنهم معدن التنزيل، ومعنى التأويل، وخاصة الرّبّ الجليل، ومهبط الأمين جبرائيل، صفوة الله وسره وكلمته، شجرة النبوة، ومعدن الصفوة، عين المقالة، ومنتهى الدلالة، ومحكم الرسالة، ونور الجلالة، جنب الله ووديعته، وموضع كلمة الله ومفتاح حكمته، ومصابيح رحمة الله وينابيع نعمته، السبيل إلى الله والسلسبيل، والقسطاس المستقيم، والمنهاج القويم، والذّكر الحكيم، والوجه الكريم، والنّور القديم، أهل التشريف والتقويم، والتقديم، والتعظيم، والتفضيل، خلفاء النبي الكريم، وأبناء الرؤوف الرحيم، وأمناء العليِّ العظيم ﴿ ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤ ﴾.

السّنام الأعظم، والطريق الأقوم، من عرفهم وأخذ عنهم فهو منهم، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ ﴾ **خلقهم الله من نور عظمته، وولاهم أمر مملكته، فهم سر الله المخزون، وأولياؤه المقربون، وأمره بين الكاف والنون، إلى الله يدعون، وعنه يقولون و** ﴿ بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ ﴾.

عِلْمُ الأنبياء في علمهم، وسرّ الأوصياء في سرهم، وعزّ الأولياء في عزهم كالقطرة في البحر، والذرة في القفر، والسماوات والأرض عند الإمام كيده من راحته يعرف ظاهرها من باطنها، ويعلم برّها من فاجرها، ورطبها، ويابسها لأن الله علّم نبيّه علم ما كان، وما يكون، وورث ذلك السّرّ المصون، الأوصياء المنتجبون، ومن أنكر ذلك فهو شقيٌّ ملعون، يلعنه الله، ويلعنه اللاعنون.

وكيف يفرض الله على عباده طاعة من يحجب عنه ملكوت السماوات والأرض؟ وإنَّ الكلمة من آل محمد تنصرف إلى سبعين وجهاً، وكل ما في الذّكر الحكيم، والكتاب الكريم، والكلام القديم من آية تذكر فيها العين، والوجه، واليد، والجنب فالمراد منها الوليُّ لأنه جنب الله، ووجه الله يعني حق الله، وعلم الله، وعين الله، ويد الله فهم الجنب العلي، والوجه الرضي، والمنهل الروي، والصّراط السوي، والوسيلة إلى الله، والوصلة إلى عفوه، ورضاه.

وسرّ الواحد والأحد، فلا يقاس بهم من الخلق أحد، فهم خاصة الله وخالصته، وسرّ الدّيّان وكلمته، وباب الإيمان وكعبته، وحجة الله ومحجته، وأعلام الهدى ورايته، وفضل الله ورحمته، وعين اليقين وحقيقته، وصراط الله وعصمته، ومبدأ الوجود وغايته، وقدرة الربّ ومشيته، وأمّ الكتاب وخاتمته، وفصل الخطاب ودلالته، وخزنة الوحي وحفظته، وآية الذكر وتراجمته، ومعدن التنزيل ونهايته، فهم الكواكب العلوية، والأنوار العلوية المشرقة من شمس العصمة الفاطمية في سماء العظمة المحمدية، والأغصان النبوية النابتة في دوحة الأحمدية، والأسرار الإلهية المودعة في الهياكل البشرية، والذُّرية الزكية، والعترة الهاشمية الهادية المهديّة ﴿..أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ۞﴾.

فهم الأئمة الطّاهرون، والعترة المعصومون، والذُّرية الأكرمون، والخلفاء الراشدون، والكبراء الصدّيقون، والأوصياء المنتجبون، والأسباط المرضيُّون، والهداة المهديون، والغُرُّ الميامين من آل طه وياسين، وحجج الله على الأولين والآخرين.

إسمهم مكتوب على الأحجار، وعلى أوراق الأشجار، وعلى أجنحة الأطيار، وعلى أبواب الجنة والنَّار، وعلى العرش والأفلاك، وعلى أجنحة الأملاك، وعلى حجب الجلال، وسرادقات العزِّ والجمال،

وباسمهم تسبِّح الأطيار، وتستغفر لشيعتهم الحيتان في لجج البحار، وإن الله لم يخلق أحداً إلا وأخذ عليه الإقرار بالوحدانية، والولاية للذرية الزكية، والبراءة من أعدائهم، وإنَّ العرش لم يستقر حتى كتب عليه بالنُّور لا إله إلا الله محمّداً رسول الله علي ولي الله ﴾.

اللام: إنّ بيوت الأئمّة معراج الملائكة في كل ساعة ويوم، وليس في ليلة القدر فقط، نذكر منها:

١ـ عن محمّد بن جمهور، عن موسى بن بكر، عن زرارة، عن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عمّا يفرق في ليلة القدر هل هو ما يقدّر الله فيها؟ قال عليه السلام: **﴿لا توصف قدرة الله إلا أنه قال:** ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ ﴾ **فكيف يكون حكيماً إلا ما فرق، ولا توصف قدرة الله سبحانه لأنه يحدث ما يشاء. وأمّا قوله:** ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ ﴾ **يعني فاطمة** عليها السلام، **وقوله:** ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا... ۝٤ ﴾ **والملائكة في هذا الموضع المؤمنون الّذين يملكون علم آل محمّد** عليهم السلام**: والرّوح روح القدس وهو في فاطمة** عليها السلام ﴿..مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ.. ۝٥ ﴾ **يقول من كلّ أمر مسلّمة** ﴿ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥ ﴾ **يعني حتى يقوم القائم** عليه السلام **﴾.**

٢- قال المحدِّث المجلسي رحمه الله: وفي هذا المعنى ما رواه الشيخ أبو جعفر الطوسي قدّس الله روحه عن رجاله عن عبد الله بن عجلان السكّوني قال:

قال: سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول: «**بيتُ عليّ وفاطمة من حِجرة رسول الله صلوات الله عليه وسقف بيتهم عرش ربّ العالمين، وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوطة إلى العرش معراج الوحي والملائكة تنزل عليهم الوحي صباحاً ومساءً، وفي كلّ ساعة وطرفة عين، والملائكة لا ينقطع فوجهم، فوجٌ ينزل وفوجٌ يصعد، وإنّ الله تبارك وتعالى كشط لإبراهيم عليه السلام عن السماوات حتى أبصر العرش، وزاد الله في قوة ناظره، وإنّ الله زاد في قوّة ناظرة محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، وكانوا يبصرون العرش ولا يجدون لبيوتهم سقفاً غير العرش، فبيوتهم مسقّفة بعرش الرحمن، ومعارج معراج الملائكة والروّح فوجٌ بعد فوج لا انقطاع لهم وما من بيت من بيوت الأئمّة منّا إلا وفيه معراج الملائكة لقول الله:** ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم.. ۝٤﴾ ﴿بكلّ أمرٍ سلام﴾ قال: قلت: من كلّ أمر؟ قال: ﴿بكلّ أمر﴾ قلت: هذا التنزيل؟ قال عليه السلام: **نعم**».

بيان هام:

قوله عليه السلام: «**بكلّ أمرٍ..**» الباء للسببيّة؛ أي: بسبب كلّ أمر، بمعنى أنّ الملائكة تهبط على الإمام عليه السلام بسبب كلّ أمر يصدِّره الإمام عليه السلام إليها، وهذه قرينة واضحة على أنّ الإمام عليه السلام يملي الأوامر على الملائكة دون

العكس، من هنا جاء تأكيد قوله عليه السلام: إنّ الآية هكذا تقرأ: ﴿ بكلّ أمر ﴾؛ ولا يبعد ذلك.

٣- البصاير عن ابن هاشم، عن ابن المغيرة، عن عبد المؤمن الأنصاري، عن حميد بن معاز من أهل البصرة، عن الضحاك بن مزاحم الخراساني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿ **إنا أهل البيت؛ أهل بيت الرّحمة، وشجرة النّبوّة، وموضع الرّسالة، ومختلف الملائكة، ومعدن العِلْم** ﴾.

٤- الكافي عن ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن عيسى، عن الأهوازيّ، عن حمّاد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر، عن سليم بن قيس، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال: ﴿ **إنّ الله عزّ وجلّ طهّرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه وحجّته في أرضه، وجعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا** ﴾.

٥- كشف اليقين: عن أحمد بن محمّد الطبري، عن جعفر بن محمّد الكوفي، عن الحسن بن عبد الواحد الخزاز، عن يحيى بن الحسن بن فرات، عن عامر بن كثير، عن الحسن بن سعيد، عن زياد بن المنذر، قال: سمعت أبا جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام وهو يقول: ﴿ **نحن شجرة أصلها رسول الله، وفرعها أمير المؤمنين عليّ، وأغصانها فاطمة بنت محمّد، وثمرتها الحسن والحسين عليهما السلام، فإنّها شجرة النبوّة، وبيت الرّحمة، ومفتاح الحكمة، ومعدن العِلْم، وموضع الرّسالة، ومختلف الملائكة،**

وموضـع سـرّ اللـه ووديعتـه والأمانـة التـي عُرِضَـت علـى السـماوات والأرض، وحرم الله الأكبر وبيت الله العتيق وحرمه.

عندنا علْم المنايا والبلايا والوصايا وفصل الخطاب ومولد الإسلام وأنساب العرب، كانوا نوراً مشرِقاً حول عرش ربّهم فأمرهم فسبّحوا فسبّح أهل السماوات بتسبيحهم، ثمّ أهبطوا إلى الأرض فأمرهم فسبّحوا فسبّح أهل الأرض لتسبيحهم، فإنهم لَهُمُ الصّافون وإنهم لهم المسبّحون، فمن أوفى بذمّتهم فقد أوفى بذمّة الله، ومَن عرف حقهم فقد عرف حقّ الله.

هم ولاة أمر الله وخزّان وحي الله وورثة كتاب الله وهم المصطفون بسرّ الله والأمناء على وحي الله، هؤلاء أهل بيت النبوّة ومعدن الرّسالة والمستأنسون بخفق أجنحة الملائكة، مَن كان يغزوهم جبرائيل من الملك الجليل بخبر التنزيل وبرهان التأويل.

هؤلاء أهل بيت أكرمهم الله لسرّه وشرّفهم بكرامته وأعزّهم بالهدى وثبّتهم بالوحي وجعلهم أئمّة هدى ونوراً في الظّلم للنجاة، وأختصّهم لدينه وفضّلهم لعلمه وآتاهم ما لم يؤتَ أحداً من العالمين، وجعلهم عماداً لدينه ومستودَعاً لمكنون سرّه وأمناء على وحيه ونجباء من خلقه وشهداء على بريّته.

إختـارههم اللـه وحبـاهم وخصّـهم واصـطفاهم وفضّـلهم وارتضـاهم وأنتجبهم وأنتقـاهم وجعلهـم للبلاد والعبـاد عُمَّـاراً، وأدلاء للأمّـة علـى الصّـراط، فهـم أئمّـةُ الهـدى والـدّعاة إلـى التقـوى وكلمـة اللـه العليـا وحجّتـه العظمـى، وهـم النجـاة والزلفـى، هـم الخيـرة الكرام، الأصفياء الحكّام، هم النجوم الأعلام، هم الصّراط المستقيم، هـم السّبيل الأقوم، الرّاغب عنهم مارق والمقصّر عنهم زاهق واللازم لهم لاحق.

نور الله في قلوب المؤمنين والبحار السائغة للشاربين، أمنٌ لمن التجأ إلـيهم وأمـان لمـن تمسّـك بهـم، إلـى اللـه يـدعون ولـه يسـلّمون وبـأمره يعملـون وبكتابـه يحكمـون، مـنهم بعـث اللـه رسـوله، وعلـيهم هبطـت ملائكتـه، وفـيهم نزلت سكينته وإليهم بعث الرّوح الأمين، منّـاً مـن اللـه علـيهم، وفضّـلهم بـه وخصّـهم، وأصـول مباركـة مسـتقرُّ قـرار الرّحمـة، خـزّان العِلْم وورثـة الحلـم وأولـو التقـوى والنّهـي والنّور والضّياء، وورثـة الأنبياء وبقيّة الأوصياء.

منهم الطيّب ذكره، المبارَك اسمه محمّد المصطفى المرتضى ورسوله الأمّيّ، ومـنهم الملك الأزهـر والأسـد المرسَل: حمـزة، ومـنهم المصطفى بـه يوم الزيارة العبّاس بن عبد المطّلب عمّ رسول الله ﷺ وصنو أبيـه، وذو الجناحين والهجرتين والقبلتين والبيعتين من الشجرة المباركة صحيح الأديم واضح البرهان، ومنهم حبيب محمّد وأخوه المبلـغ عنـه مـن بعـده

البرهان والتأويل ومحكم التّفسير أمير المؤمنين ووليّ المؤمنين ووصيّ رسول ربّ العالمين: عليّ بن أبي طالب، عليه من الله الصلوات الزكيّة والبركات السنيّة.

هؤلاء الّذين أفترض الله مودّتهم وولايتهم على كلّ مسلم ومسلمة، فقال في محكم كتابه لنبيّه ﷺ: ﴿ ..قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ فقال أبو جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام : **《 إقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت 》.**

الميم: ومنها ما روي من أنّ أمرهم صعبٌ مستصعب، وإنّ علمهم سر مستسر؛ نذكر منها:

[١] الصّفّار بإسناده إلى أبي بصير قال: قال أبو جعفر عليه السلام : **《 حديثنا صعبٌ مستصعب لا يؤمن به إلا ملك مقرّب أو نبيّ مرسَل أو عبد أمتحن الله قلبه للإيمان، فما عرفت قلوبكم فخذوه، وما أنكرت فردّوه إلينا 》.**

[٢] الصفار بإسناده إلى الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سمعته يقول: **《 إنّ حديثنا صعبٌ مستصعب خشنٌ مخشوش فابنذوا إلى الناس نبذاً فمن عرف فزيدوه ومَن أنكر فأمسكوا لا يحتمله إلا ثلاث: ملك مقرَّب أو نبيّ مرسَل أو عبدٌ أمتحن الله قلبه للإيمان 》.**

[٣] الصّفّار بإسناده إلى أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿ **إنّ حديثنا صعبٌ مستصعب لا يؤمن به إلا نبيّ مرسَل أو مَلَك مقرَّب أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فما عرفت قلوبكم فخذوه وما أنكرت قلوبكم فردّوه إلينا** ﴾.

[٤] الصفار بإسناده إلى المفضّل قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿ **حديثنا صعبٌ مستصعب لا يحتمله إلا مَلَك مقرَّب أو نبيّ مرسَل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان** ﴾.

[٥] الصفار بإسناده إلى أبي الصامت قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿ **إنّ من حديثنا ما لا يحتمله ملكٌ مقرَّب ولا نبيّ مرسَل ولا عبدٌ مؤمن**، قلتُ: فمَن يحتمله؟، قال عليه السلام: **نحن نحتمله** ﴾.

[٦] الصّفّار بإسناده إلى جابر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿ **إنّ أمرنا سرٌّ في سرّ، وسرٌّ مستسر، وسرٌّ لا يفيد إلا سرّ، وسرٌّ على سرّ، وسرّ مقنّع بسرّ** ﴾.

[٧] الصفار بإسناده إلى أبان بن عثمان قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ﴿ **إنّ أمرنا هذا مستورٌ مقنَّع بالميثاق، مَن هتكه أذلّه الله** ﴾.

[٨] الصفار بإسناده إلى مرازم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ **إنّ أمرنا هو الحقّ، وحقّ الحق، وهو الظّاهر، وباطن الباطن، وهو السّرّ، وسرّ السّرّ، وسرّ المستسرّ، وسرٌّ مقنَّع بالسّر** ﴾.

[٩] الصّفّار بإسناده إلى أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قرأتُ عليه آية الخُمس فقال: ﴿ **ما كان لله فهو لرسوله، وما كان لرسوله فهو لنا، قال: لقد يسّر الله على المؤمنين أنّه رزقهم خمسة دراهم وجعلوا لربّهم واحداً وأكلوا أربعة حلالاً ثمّ قال: هذا من حديثنا صعبٌ مستصعب لا يعمل به ولا يصبر عليه إلا ممتحن قلبه للإيمان**﴾.

النون: ما روي من أنّ الدنيا تمثّل للإمام في مثل فلقة الجوز، منها:

(١) منتخب البصائر والخرايج بإسنادهما إلى جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ﴿ **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ حديث آل محمّد عظيم صعب مستصعب لا يؤمن به إلا ملك مقرَّب أو نبيّ مرسَل أو عبد أمتحن الله قلبه للإيمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلَّك فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه، وما اشمأزّت له قلوبكم فأنكرتموه فردّوه إلى الله وإلى الرّسول وإلى العالِم من آل محمّد صلّى الله عليه وعليهم، وإنما الهالك أنْ يحدّث أحدكم بالحديث أو بشيء لا يحتمله فيقول: والله ما كان هذا، والله ما كان هذا، والإنكار لفضائلهم هو الكفر**﴾.

(٢) الإختصاص والبصائر بإسنادهما إلى الأسود بن سعيد قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: ﴿ **يا أسود بن سعيد إنّ بيننا وبين كلّ أرض تُرٌ مثل تر**

البنـاء، فـإذا أمرنـا بـأمر جـذبنا ذلـك التُّـر، فأقبلـت الأرض بقليبهـا وأسواقها ودورها حتى تنفذ فيها ما نؤمر به من أمر الله تعالى ﴾.

تفسير التُّر: قال ابن منظور في لسان العرب: " والتُّرُّ: الأصل؛ يقال: لأَضْطَرَّنَّكَ إلى تُرِّكَ وقُحاحِكَ. ابن سيده: لأَضْطَرَّنَّكَ إلى تُرِّكَ أي إلى مجهودك. والتُّرُّ، بالضم: الخيط الذي يُقَدَّرُ به البِناءُ، فارسي مُعَرَّبٌ؛ قال الأصمعي: هو الخيط الذي يمدّ على البناء فيبنى عليه وهو بالعربية الإِمام، وهو مذكور في موضعه.

التهذيب: الليث: التُّرُّ كلمة يتكلم بها العرب، إذا غضب أحدهم على الآخر قال: والله لأُقيمنك على التُّرِّ. قال الأصمعي: المِطْمَرُ هو الخيط الذي يقدَّر به البناء يقال له بالفارسية التُّرُّ؛ وقال ابن الأعرابي: التُّرُّ ليس بعربي"؛ انتهى كلامه.

والجدير بنا أن ننوّه بما ذكره الأصمعي في تفسيره للتر الذي يعني الإمام بالعربية وهو موافق لما ورد عن إمامنا الصادق عليه السلام قال لحمران: " التُّرُّ ترّ حمران، ثمّ قال: يا حمران مدّ المِطمَر بينك وبين العالم، قلت: يا سيدي وما المطمر؟ فقال: أنتم تسمونه خيط البناء، فمن خالفك على هذا الأمر فهو زنديق، فقال حمران: وإن كان علويّاً فاطميّاً؟ فقال أبو عبد الله (عليه السلام): وإن كان محمّديّاً علويّاً فاطميّاً... ".

وكأن الإمام عليه السلام يشير بقوله الشريف" أنتم تسمونه خيط البناء" إلى أن معناه الأصلي هو الإمام، ويكون الخيط معنىً مجازياً كاشفاً عن حقيقة التواصل الروحي مع الإمام عليه السلام وهو ما أشارت إليه صحيحة زرارة المروية في أُصول الكافي بإسناده عن عليّ بن إبراهين عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن زرارة قال: دخلت أنا وحمران أو أنا وبكير على أبي جعفر عليه السّلام فقلنا له إنَّا نمد المطمار، قال وما «المطمار» قلت التر فمن وافقنا من علوي أو غيره توليناه ومن خالفنا من علوي أو غيره برئنا منه فقال لي « يا زرارة قول اللَّه تعالى أصدق من قولك فأين الذين قال اللَّه عز وجل « إلاّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالْوِلْدانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا» أين المرجون لأمر اللَّه أين الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا أين أصحاب الأعراف أين المؤلفة قلوبهم وزاد حماد في الحديث قال فارتفع صوت أبي جعفر عليه السّلام وصوتي حتى كاد يسمعه من على باب الدار فزاد فيه جميل عن زرارة فلما كثر الكلام بيني وبينه قال لي يا زرارة حقا على اللَّه تعالى أن يدخل الضلال الجنة » .

و المطمار بالمهملتين خيط للبناء يقدر به وكذا التر بضم المثناة الفوقانية والراء المشددة يعني أنا نضع ميزانا لتولينا الناس وبراءتنا منهم وهو ما نحن

عليه من التشيع فمن استقام معنا عليه فهو ممن توليناه ومن مال عنه وعدل فنحن منه براء كائنا من كان.

(٣) الإختصاص والبصائر بإسنادهما إلى إدريس عن الصادق عليه السلام قال: سمعته يقول: ﴿ **إنّ منا أهل البيت لَمَن الدنيا عنده بمثل هذه وعقد بيده عشرة** ﴾.

(٤) الإختصاص: عن البصائر بإسناده عن عليّ بن إسماعيل عن موسى بن طلحة عن حمزة بن عبد المطلب عن عبد الله الجعفي قال: دخلتُ على الرّضا عليه السلام ومعي صحيفة أو قرطاس فيه عن جعفر عليه السلام: ﴿ **إنّ الدنيا مُثلَت لصاحب هذا الأمر في مثل فلقة الجوزة، فقال: يا حمزة ذا والله حقّ فانقلوه إلى أديم** ﴾.

(٥) الإختصاص والبصائر: عن محمّد بن الحسين عن موسى بن سعدان، عن عبد الله بن القاسم، عن سماعة بن مهران، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ **إنّ الدنيا تمَثَّل للإمام في مثل فلقة الجوز، فما يعرض لشيء منها** [ن ختص: **فلا يعزب عنه منها شيء**] **وإنه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء، فلا يعزب عنه منها شيء** ﴾.

(٦) عبد الله بن محمّد، عمّن رواه، عن محمّد بن خالد، عن حمزة بن عبد الله الجعفري، عن أبي الحسن عليه السلام قال: كتبتُ في ظهر قرطاس: إنّ

الدنيا مَمَثلة للإمام كفلقة الجوزة فدفعته إلى أبي الحسن عليه السلام وقلت: جعلت فداك إنّ أصحابنا رووا حديثاً ما أنكرته، غير أني أحببتُ أنْ أسمعه منك، قال: فنظر فيه ثمّ طواه حتى ظننتُ أنه شقّ عليه، ثمّ قال: ﴿ **هو حقٌّ فحوّله في أديم** ﴾.

(٧) وفي نوادر الحكمة عن إسحاق القمّي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لحمران بن أعين: ﴿ **يا حمران إنّ الدنيا عند الإمام والسماوات والأرضين إلا هكذا** - وأشار بيده إلى راحته - **يعرف ظاهرها وباطنها وداخلها وخارجها ورطبها ويابسها** ﴾.

(٨) وفي المختضر من نوادر الحكمة يرفعه إلى أبي بصير قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليه المفضّل بن عمر، فقال: مسألة يابن رسول الله، قال: ﴿ **سل يا مفضّل** ﴾، قال: ما منتهى عِلْم العالِم؟ قال عليه السلام: ﴿**قد سألت جسيماً وقد سألت عظيماً، ما السماء الدنيا في السّماء الثانية إلا كحلقة درع ملقاة في أرض فلاة، وكذلك كلّ سماء عند سماءٍ أخرى، وكذا السّماء السابعة عند الظلمة ولا الظلمة عند النور ولا ذلك كلّه في الهواء ولا الأرضين بعضها في بعض، ولا مثل ذلك كلّه في عِلْم العالِم يعني الإمام مثل مدٍّ من خردل دققته دقّاً ثم ضرَبته بالماء حتى إذا أختلط ورغا أخذت منه لعقة بأصبعك، ولا عِلْم العالِم في علم الله تعالى إلا مثل مدّ من خردل دققته دقّاً ثمّ ضرَبْته**

بالماء حتى إذا أختلط ورغا أنتهزت منه برأس إبرة نهزةً، ثمّ قال ﷺ : **يكفيك من هذا البيان بأقلّه وأنتَ من بأخبار الأمور تصيب** ﴾.

تنبيه: إذا كان عِلْم الأئمّة صعبٌ مستصعَب لعدم درك كنهه، وإذا كانت الدنيا كفلقة جوز يقلّبها بكفّه كيفما شاء بقدرة الملك العلام، فكيف يمكن سلب العِلْم الحضوري عنه، وهي عنده بهذه الصّفة؟ وإذا كان الإمام كالقمر مطّلِعاً ومشرِفاً على عامّة الاشياء؛ فكيف يُدَّعى أنّ عِلْمه حصولي؟!.

إنّ ولاية الأئمّة التكوينية عامّة، لم يرد في آية أو خبر تقييدها أو تخصيصها بشيء من دون شيء، والعِلْم الحضوريّ أثرٌ من آثار ولايتهم التكوينية، لكونهم أوعية لإرادة الله تعالى، إذا شاء شاؤوا، وإذا أراد أرادوا، لِمَا رواه الصفّار في البصائر عن مولانا أبي الحسن الثالث ﷺ أنه قال: ﴿ **إنّ الله جعل قلوب الأئمّة مورداً لإرادته، فإذا شاء الله شيئاً شاؤه، وهو قول الله:** ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ... ﴿٢٩﴾ ﴾ ﴾.

وأيضاً لما رواه ابن قولويه في (كامل الزيارت) بسندٍ معنعن صحيح في خبرٍ طويل عن مولانا أبي عبد الله ﷺ قال للسائل لمّا سأله: هل يرى الإمام ما بين المشرق والغرب؟ قال ﷺ : ﴿ **يا بن بكر، فكيف يكون حجّة على ما بين قطرَيها وهو لا يراهم ولا يحكم فيهم؟ وكيف تكون حجّة على قومٍ غُيَّب لا يقدر عليهم ولا يقدرون عليه؟ وكيف يكون مؤدياً عن الله**

وشاهداً على الخلق وهو لا يراهم؟ وكيف يكون حجّة عليهم وهو محجوب عنهم وقد حيل بينهم وبينه أنْ يقوم بأمر ربّه فيهم؟ والله يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ... ﴿٢٨﴾﴾ **يعني به: مَن على الأرض، والحجّة من بعد النبيّ يقوم مقامه، وهو الدليل على ما تشاجرت فيه الأمّة، والآخذ بحقوق الناس والقيام بأمر الله والمنصف لبعضهم من بعض، فإذا لم يكن معهم مَن ينفذ قوله وهو يقول:** ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ... ﴿٥٣﴾﴾ **فإيّ آية في الآفاق غيرنا أراها الله أهل الآفاق؟ وقال:** ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا... ﴿٤٨﴾﴾ **فأيّ آية أكبر منا؟ والله إنّ بني هاشم وقريشاً لتعرف ما أعطانا الله ولكنّ الحسد أهلكهم كما أهلك إبليس، وإنهم ليأتون إذا اضطروا وخافوا على أنفسهم فيسألونا فنوضح لهم فيقولون: نشهد أنكم أهل العِلْم ثمّ يخرجون فيقولون: ما رأينا أضلّ ممن أتبع هؤلاء ويقبل مقالتهم﴾**.

وما روي عن الأسود بن سعيد قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقال مبتدئاً من غير أنْ أسأله: ﴿**نحن حجّة الله ونحن باب الله ونحن لسان الله ونحن وجه الله ونحن عين الله في خلقه ونحن ولاة أمر الله في عباده**﴾.

بل إنَّ الإمام عليه السلام وكرٌ لإرادة الله حسبما أشار إلى ذلك المفضّل عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿ **لو أذن لنا أنْ نعلْم الناس حالنا عند الله ومنزلتنا منه لَمَا أحتملتم** ﴾، فقال له: في العِلْم؟ فقال عليه السلام: ﴿**العلْم أيسر من ذلك، إنّ الإمام وِكْرٌ لإرادة الله**[1] **عزّ وجلّ لا يشاء إلا مَن يشاء الله** ﴾.

عودٌ على بدء:

إنّ دعوى أنّ علوم النبيّ والعترة عليهم السلام مستقاة من الملائكةِ في ليلة القدر دونَها خَرْطُ القتاد، وهي مدفوعةٌ على أقلّ تقدير ــ مضافاً لِما تقدَّم من الأدلّة القطعيّة ــ بأنهم عليهم السلام أفضل من جبرائيل الذي ينزل بالوحي التشريعي على الأنبياء والمرسلين، والأفضليّة إنما تكون بسبق المعارف والعلوم على قلب المتحلّي بها، وإذا افترضنا نزولَ الفيضِ الإلهي على الأئمّة الأطهار عليهم السلام بواسطةِ الملائكة لرابطة السّببية والمسببيَّة، فمن ذا يكون الواسطةُ حينئذٍ بين الله تعالى والملائكة لإنزال الفيض عليهم؟!، إنْ قلنا إنه لا واسطة بينهم وبين الله تعالى في نزول الفيض باعتبار قربهم من المبدأ الفياض، نكون قد خالفنا النصوص القرآنية والأخبار النبويّة التي دلّت على أنهم أدنى مرتبة وأقلّ شأناً من النبيِّ والعترة عدا عن الأنبياء والأولياء عليهم السلام، فلا بدّ حينئذٍ أن نذعن للحقيقة القرآنية الدالة على وجود

[1] ـ الوِكْر هو: عشّ الطائر.

سبب موجبٍ لنزول الفيض إليهم، وهذا السبب هو آدم الشخص الذي يمثل الآدميّة النوعية، حيث خضعت له الملائكة كلهم، لأنّ الله تبارك وتعالى هو المعلّم له بمقتضى قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا.. ﴾[1] وتعليمه للأسماء بواسطة سببٍ وهو العقل الأول سيّد الرّسل محمّد وآله الطاهرين عليهم السلام حيث لا سبب بينهم وبين تعليم الله سبحانه لهم، وآدم عليه السلام هو السبب في تعليم الملائكة ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾[2] أي: أنبئ الملائكة، وقد يسأل المرء: لماذا جعل الواسطة الآدميّة لتعليم الملائكة، أليس اللهُ بقادرٍ على أنْ ينبئ الملائكة مباشرةً؟ فنقول: من البديهي أن الله تعالى قادرٌ على ذلك، ولكنّه أراد أن يبيّن أنّ النظريّة ليست نظرية وسائط وأسباب ـ كما يتصور بعضُ مَن كتب في الإمامة ـ وإنما هي نظريّة ارتقاء نحو عالَم القرب الملكوتي من الذّات الأحديّة المقدَّسة، فمَن كان جوهره أصفى كان جواره من الله سبحانه أقرب، وفيضه منه أعظم وأقوى.

ونحن لا ننكر وجودَ الوسائل والأسباب من خلال ما تصوّرناه بشأن النبي والعترة عليهم السلام ونزول الفيض عليهم بلا سببٍ في عوالم الأنوار، إذ السبب بينه وبينهم هو الأمر الصادر منه تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة البقرة.

﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾[1]، ولا ريب في إمكان الباري مباشرة إعطاء الأوامر من دون واسطةٍ، وذلك لعموم قدرته سبحانه على كلِّ شيء حين لزومه بلا وساطة أحدٍ، ولكن بدَّ لهذا الأمر من سببٍ حكيم يستدعي نصب سفراء بينه وبين خلقه، وقد أفصحت نصوصنا الشريفة من القرآن والسنّة المطهرة عن وجه الحكمة من نصب الحجج الطاهرين عليهم السلام؛ وهو سوق الخلق إلى معرفته وتوحيده، وأفضل خلقه للقيام بهذه المهمة العظيمة هم النبيّ وأهل بيته المطهرين عليهم السلام لذا انتخبهم واصطفاهم ليكونوا القادة إلى سبيله والهداة إلى توحيده، فكانوا الواسطة بينه وبين خلقه لقربهم منه ومحبته التامة لهم دون غيرهم من عامة مخلوقاته؛ فتدبّر.

وبعبارةٍ أُخرى: إنّ ذات الله سبحانه هي سببٌ لإيجاد العلم في ذواتهم من دون واسطة أخرى تقتضي ذلك، فمن كان من ربه كقاب قوسين أو أدنى كيف يحتاج في تحصيل العلم إلى واسطة؟ ومَنْ كان يوافي العرشَ كلَّ ليلةِ جمعة ـ حسبما جاء في بعض الأخبار ـ ولا يرجع إلا بعلمٍ مستفادٍ ويحدّث عن الله مباشرةً وبغير وحيٍّ متعارفٍ، كيف يحتاج إلى الملك رغم كونه يعلم أشياء لا تعلمها حتى الملائكة المقرَّبين؟، ويشهد لهذا ما ورد بين آدم وتعليمه الأسماء وبين الملائكة الذين جهلوا تلك الأسماء المقدَّسة المحبوبة عند الله

(١) سورة يس.

تعالى وهي النبيُّ الأعظم وأهل بيته الطيبين المطهرين عليهم السلام الذين من أجلهم خلق السماواتِ والأرضين والعرش والفرش.

فالإمام عليه السلام هو واسطة الفيض بين الله والوجودات الإمكانيّة ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ... ﴿٣١﴾﴾(١) بل هو النقطة التي تميِّز العلومَ والمعارفَ.

وبناءً عليه: لا بُدَّ أنَّ اقتران العلم بالإمام عليه السلام ليكون الإمام عليه السلام الخليفة؛ لكونه ـ أي العلم ـ من أهم الخصائص التي امتاز بها الإنسان عن باقي الموجودات، إنه يعلم أشياءَ لا تعلمها حتى الملائكة، مع أنهم من المقرَّبين الداخلين في التدبير الربوبي ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾(٢).

فمِنْ أبرز خصائص الخليفة الإلهي أنّه مزوَّدٌ بعلمٍ لا يحظى به حتى الملائكة المقرَّبون، وهو عين التسديد الّذي وهبه الله سبحانه وتعالى للإنسان كخليفة، ومن الطبيعي أنّ من كانت هذه خصائصه لا يمكن أن يبخل المولى عزّ وجلّ عليه بجعل الملائكة خدماً له لمرتبته السَّامية عنده عزّ شأنه.

ومن الطبيعي أيضاً أنْ يكون هناك تلازمٌ بين السّجود لآدم عليه السلام وبين أعلميّته على الملائكة، حتى المقرَّبون منهم، وما ثُبتَ لآدم يثبت لمن كانوا أفضل من آدم وهم آل البيت عليهم السلام باتفاق الأمّة.

---

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة النازعات.

إذاً لا بدَّ من القول: بأنّ نزول الملائكة على المعصوم عليه السلام في ليلة القدر لا ليعرِّفُوه أو يعلِّمُوه أوامرَ اللهِ وأحكامه؛ لأنَّ هذا التصوّر مخالفٌ للأدلّة القطعيّة الدالة على أعلميّته وأفضليّته على عامّة خلق الله عزّ وجلّ، بل إنّ نزولهم إنما هو لتلقّي الأمر من معلِّمِهم وسيّدهم، ولكسب الفيض من الله تعالى عبر الحجج الكرام عليهم السلام، من هنا ورد من أنهم مخْتَلفُ الملائكة أي محلّ تردّدهم في كلِّ الأوقات والأزمان، ولا خصوصيّة لليلة القدر في الاختلاف عليهم سوى جنَبَة تلقّي الأمر بالعمل، لذا جاء في أخبارنا الشريفة أنّ نزولهم إنما ﴿ **لأمر قد كانوا علموه أُمِروا كيف يعملون فيه** ﴾ وفيه دلالة قطعيّة واضحة على أنّ الأوامر تأتيهم من أجل العمل لا التعليم، وليس في الحديث دلالة على نزولهم لإعطاء الأوامر حسبما قدّمناه سابقاً.

وبناءً عليه: فلا يجوز إلصاق الجهل بالأئمّة المطهرين عليهم السلام من خلال ما صوَّرته تلك النظريّة الزّائفة والتي لا أساس لها من الصحّة، تماماً كبعض المشهورات التي لا واقع لها أصلاً.

مضافاً إلى أنَّه لا داعي للقول باختلافِ الملائكة لإعطاء الأوامر لسيِّد ليلة القدر صلوات الله عليه، بالرغم من كثرتها وتشعّبها، فيهبط كلُّ مَلَكٍ بأمرٍ ليلقيه على صاحب الليلة المباركة، إذ بمقدور الله تعالى شأنه أنْ يُعْلِمَ صاحبَها بتلك الأوامر من دونِ وساطةِ نزول الملائكة التي تعدّ بألوف البلايين ـ كما تصفهم الأخبار ـ من أنّ الأرض تضيق بهم لكثرتهم.

وسبب تضيّقها لا بدَّ مِنْ أنْ يكونَ لتلقي الأمر وحصول البركة بالسَّلام على صاحبها لكونهم – أي الملائكة – مخلوقين من أشعّة أنوار وجود الأئمّة عليهم السلام، فوجود الكلّ فرع وجود الأصل، ولا شكّ في أنّ الفرعَ يتخذ وظائفَه من الأصل، ومرجعه في جميع شؤونه إليه، حيث إنّ قوامَ وجوده به فلا محالة يرتبط في حالاته بأصله.

فالأئمّة عليهم السلام مبدأ انبعاث الملائكة بأقسامها المدبّرات للأمور السّماويّة والأرضيّة بأنحائها.

توضيح ذلك: إنه لا ريب في اختلاف جهات قوابل الملائكة واستمدادهم من أئمّة آل البيت عليهم السلام في بدء خلقهم من أنوارهم عليهم السلام، وأيضاً الملائكة مختلفون في تلقّيهم الكمالات بأنحاء الاستمدادات المتنوّعة من المعارف وساير العلوم، ومن أنحاء التحمّلات لتلك العلوم والقوى للتأدية إلى من شاء الله وإلى ما شاء الله من أنواع الخلق.

إذ من المعلوم أنّ الملائكة ـ في تلقّي تلك الأمور ـ مختلفون في الجهات والأفعال والمفعولات اختلافاً كبيراً عدد ذرّات الموجودات، فكلُّ ملكٍ يتحمّل – بحسب قابليّته وما يناسبه، وما هو جنسه أو نوعه أو شخصه – كلَّ ذلك الإختلاف.

والتباين والتمايز منحصر في جهتهم عليهم السلام وهم معلِّمو الملائكة في ذلك، ولذلك يكون اختلاف الملائكة بهذه الجّهة والعلّة إليهم عليهم السلام.

وتدلّ أحاديث كثيرة على أنّ الملائكة منبعثون من أنوارهم في عالم الأرواح والأنوار:

منها ما رواه العلامة المجلسي في (البحار) من كتاب رياض الجنان عن أنس بن مالك قال: بينا رسول الله صلّى صلاة الفجر ثمّ استوى في محرابه كالبدر في تمامه، فقلنا: يا رسول الله رأيت تفسّر لنا هذه الآية قوله تعالى: ﴿ ..فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ... ﴿٦٩﴾ ﴾.

فقال رسول الله ﷺ: ﴿ **أمّا النبيون فأنا، وأمّا الصدّيقون فعليّ بن أبي طالب، وأما الشهداء فعمّي حمزة، وأمّا الصالحون فابنتي فاطمة وولداها الحسن والحسين** ﴾، فنهض العباس من زاوية المسجد بين يديه ﷺ وقال: يا رسول الله ألست أنا وأنت وعليّ وفاطمة والحسن والحسين من ينبوع واحد؟ قال ﷺ: ﴿ **وما وراء ذلك يا عمّاه؟** ﴾ قال: لأنك لم تذكرني حين ذكرتهم ولم تشرفني حين شرفتهم. فقال ﷺ: ﴿ **أمّا قولك أنا وأنت وعليّ وفاطمة والحسن والحسين من ينبوع واحد فصدقت، ولكن خلقنا الله نحن حيث لا سماء مبنية ولا أرض مدحيّة، ولا عرش ولا جنة ولا نار، كنا نسبّحه حين لا تسبيح ونقدّسه حين لا تقديس، فلما أراد الله بدء الصّنعة فتق نوري، فخلق منه العرش، فنور العرش من ربّي، ونوري من نور الله، وأنا أفضل من العرش. ثم فتق نور**

ابن أبي طالب، فخلق منه الملائكة، فنور الملائكة من نور ابن أبي طالب، ونور ابن أبي طالب أفضل من نور الملائكة. وفتق نور إبنتي فاطمة، فخلق منها السّماوات والأرض، فنور السماوات والأرض من نور إبنتي فاطمة، ونور إبنتي فاطمة أفضل من السَّماوات والأرض. ثم فتق نور الحسن فخلق منه الشمس القمر، فنور الشمس والقمر من نور الحسن، ونور الحسن من نور الله، والحسن أفضل من الشمس والقمر.

ثم فتق نور الحسين فخلق منه الجنة والحور العين، فنور الجنة والحور العين من نور الحسين، والحسين من نور الله، والحسين أفضل من الجنة والحور العين ثم إنّ الله خلق الظُّلْمة بالقدرة، فأرسلها في سحائب البصر، فقالت الملائكة: سبوح قدّوس، ربنا مذ عرفنا هذه الأشباح ما رأينا سوءاً، بحرمتهم إلا كشفت ما نزل بنا، فهنالك خلق الله تعالى قناديل الرحمة، وعلَّقها على سرادق العرش، فقالت: إلهنا لمن هذه الفضيلة وهذه الأنوار؟ فقال: هذا نور أَمَتي فاطمة الزهراء، فلذلك سميتُ أَمَتي الزهراء، لأنّ السّماوات والأرضين بنورها ظهرت، وهي إبنة نبيّ وزوجة وصيّ وحجّتي على خلقي أُشهِدُكُم يا ملائكتي أنّي قد جعلت ثواب تسبيحكم وتقديسكم لهذه المرأة وشيعتها إلى يوم القيامة ﴾.

فعند ذلك نهض العباس إلى علي بن أبي طالب وقبَّلَ ما بين عينيه وقال: يا عليّ لقد جعلك الله حجة بالغة على العباد إلى يوم القيامة. إنتهى.

فعُلِمَ من قوله ﷺ: ﴿ .. **ثم فتق نور ابن أبي طالب فخلق منه الملائكة...** ﴾، أنّ مبدأ انبعاث الملائكة الذين هم حمَلَة العرش وقوام العرش بهم، بما لهم من الأصناف الكائنة في السَّماوات والأرضين، والمربية لأمورٍ قد وُكِّلوا بها، فجميع الملائكة بأقسامها منبعثة ومخلوقة من نور الإمام عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، وهذا يقتضي القول بأنّ شؤونهم بأجمعها منشعبة من نور الإمام عليه السلام فلهم ارتباط تكويني مع نوره عليه السلام نحو ارتباط الفرع بالأصل.

إشكال عويص: حاصل الإشكال: إنه بعد ما كان النبي ﷺ والعترة الطاهرة عليهم السلام أفضل من الملائكة أجمعين، وإنّهم معلِّموهم كما تقدّم، فعندئذٍ ما معنى تحديثهم أو إرسال الوحي إلى جدّهم رسول الله ﷺ، فهل هو إلا من باب تعليم المتعلِّم لمعلّمه وهو كما ترى؟.

لكنّه مدفوع بما حاصله: إنه ثُبتَ ــ بالآيات والأخبار ــ حصول الولاية المطلقة بقسميها التكويني والتشريعي لهم عليهم السلام؛ حيث أقدَرَهم عزّ وجلّ على إعمال القدرة بحيث يتصرّفون بالموجودات بحسب ما ترتئيه إرادتهم التي هي في طول إرادة المولى.

وتصرّفهم من لوازم قربهم من المبدأ الفيّاض لكون الولاية تُشعر بالتدبير والقدرة والفعل وما لم يجتمع فيه ذلك لم يُطلق عليه اسم الوالي، من هنا اشتُقَّ اسم " الوليّ " من الولاية وهي السّلطة والقدرة، والوليُّ هو القريب لذا يُقال: " تباعد بعد ولي "؛ أي: بعد قرب.

مضافاً إلى وجود أحاديث كثيرة تدلّ على أنهم حقائق الأسماء الحسنى لله تعالى وأنّ نورهم أوّل ما خلق الله، وأنّ جميع الموجودات مخلوقة من شعاع أنوارهم من السماء والأرض والجنة وما يُرى وما لا يُرى، وأنّ عندهم جميع الأسماء الدالة على الاسم الأعظم، وأنّ حقائقهم النورية وذواتهم القدسيّة هي التجلّي الأعظم لله سبحانه وتعالى الذي ألقاه على قلوبهم الطاهرة بقول جدّهم رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله: ﴿ **اللهم إني أسألك بالتجلّي الأعظم** ﴾.

فحقيقة الولاية العلوية هي ذلك التجلي الكلي الذي شمل جميع مراتب أسماء الله الحسنى بحيث لا يشذّ عنه شاذ، فالنبي صلى الله عليه وآله يسأل ربَّه بحقيقة التجلي العلوي لمحبوبيته عنده سبحانه، فصار قلبه الشريف محيطاً بعوالم الإمكان بقدرة الله الملك العلام، ولعلّه إليه يشير قوله صلى الله عليه وآله: " إنّ أسماءَ جميع الخلق من أهل الجنة والنار يكون في كفّي " كما في الحديث المروي عنه في (بصائر الدرجات) بإسناده عن محمّد بن عبد الله قال: سمعت الإمام جعفر بن محمّد عليهما السلام يقول: ﴿ **خطب رسول الله صلى الله عليه وآله الناس ثم رفع يده**

اليمنى قابضاً على كفّه، قال: أتدرون ما في كفّي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: فيها أسماء أهل الجنة، وأسماء أبآئهم وقبائلهم إلى يوم القيامة، ثم رفع يده اليسرى فقال: أيها الناس أتدرون ما في يدي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: فيها أسماء أهل النار وأسماء آبآئهم وقبائلهم إلى يوم القيامة، ثمّ قال: حكم وعدل وحكم الله وعدل، فريق في الجنة وفريق في السعير ».

ومن المعلوم أنه ما كان في كفّيه المباركتين شيء من الأديم، فإنما كنّى بذلك العمل على أنّ وجوده المقدّس له من الإحاطة والسّعة ما وسع جميعَ الخلق، سعيدهم وشقيّهم، وهو عالِمٌ بجميع أحوالهم وهو مسيطر عليهم وعارف بخصوصيّاتهم إلى يوم القيامة.

وما ثبت لرسول الله ﷺ من التجلّي بحقائق الأسماء ــ بكماله وتمامه ــ ثابت ومنتقل إلى أمير المؤمنين والأئمّة الأطهار عليهم السلام حسبما جاء في الأخبار الصّحيحة، فحينئذٍ يُستفاد مما تقدّم: إنّ جميع الملائكة حتى جبرائيل وميكائيل وغيرهما من الملائكة المقرَّبين من شؤونهم عليهم السلام ؛ فهم محيطون بهم ولا عكس، وذلك لأنّ الأصل محيط بالفرع كما لا يخفى.

فالملائكة بأجمعها بما لها من الأفعال المختلفة إنما هي عوامل القدرة الكائنة والقائمة بحقيقتهم، فالملائكة الفعّالة والمدبِّرة وسائرها من شؤون حقائقهم وآثارها.

وبناءً على ما تقدَّم: فإنّ معنى نزول الوحيّ على النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله أو نزول الملائكة وتحديثهم لأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام هو ظهورها مع ما لها من الوحيِّ والإلهام على حقائقهم وعقولهم ونفوسهم الشريفة وظواهرهم المقدَّسة، وفي كلِّ مقامٍ من هذه المهابط الأربعة ينزل فيه ممّا هو أعلى منه إلى ما هو أدنى؛ أي: يظهر شأنٌ من حقيقتهم العالية إلى شأنٍ من حقيقتهم النازلة.

توضيح ذلك: إنّ الشّأن العالي لهم هو حقائقهم الأوليّة ثم المرتبة النازلة وهي عقولهم، ثم النازلة منها وهي نفوسهم، ثم المرتبة النازلة وهي ظواهرهم المرتبَة في عالم الوجود الظاهري الدنيوي.

وبعبارة أخرى: يتجلّى منه تعالى نورُه الأبهر في حقائقهم، وتتجلّى حقائقهم في عقولهم، وتتجلّى عقولهم في نفوسهم، وتتجلّى نفوسهم في ظواهرهم في الحالات والأفعال والأقوال الصادرة منهم صلوات الله عليهم، فيعبّر حينئذٍ عن تلك التجليات وعن الحامل لها بجبرائيل وبالملك ونحوهما كما لا يخفى.

فظهر أنّ جبرائيل ينزل بالوحي منه تعالى إليهم، أي يتجلّى بعض شأنهم العالي لبعض شأنهم النازل، فالملك أو جبرائيل خادمهم في هذا الأمر،

وهذه التجليات بأمر الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ...﴿٥٢﴾﴾(١).

والحاصل: إنّ كلَّ تلك الإيحاءات والتجليات والإلهامات بإذنه تعالى على حسب ما تقتضيه حكمته البالغة وعلمه النافذ، فهم عليهم السلام كلُّهم أفضل من جميع الملائكة مطلقاً، والملائكة في الوحي وغيره مأمورون بأمر الله من خلال أمرهم عليهم السلام، وهم الخدمة لهم صلوات الله عليهم أجمعين.

ونوضّح لك هذا: بأنّ خواطرك التي ترد عليك ـ بالتذكر والفهم والمعرفة حتى تستفيد منها العلوم والفهم والتذكر ـ إنما ترد عليك من قلبك.

بيانه: إنّ حقيقتك هي روحُكَ وقلبُكَ، فهما مخزنٌ لمعارفِكَ وأنحاءِ علومِكَ، ففيه مثلاً من علم المعارف والفقه والفلسفة والهيئة ونحو ذلك، كما لو كنت في جماعةٍ وسألك واحدٌ عن الفلسفة، فترجع بقوّة المفكّرة إلى الذّهن الذي تجتمع فيه تلك الأمور، فتأخذ منه المطالب الفلسفيّة مثلاً، وهكذا بالنسبة إلى ساير العلوم.

فأنت بالحقيقة لك القلب الجامع لتلك العلوم، ثم في تطورات الحالات الوجودية تحتاج إلى ما في قلبك، فتستمدّ من بعض قواك لدرك ما في خزينة قلبك فتفيده لغيرك.

---

(١) سورة الشورى.

هذا وقد حقق في محلّه بأنّ الإنسان الكامل هو العالَم الكلي، الذي انطوى فيه العالم الأكبر كما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

وتزْعَمُ أنَّكَ جُرْمٌ صغيرٌ وفيكَ انطوى العالَمُ الأكبرُ
وأنت الكتابُ المبينُ الذي بأحرفِهِ يَظْهَرُ المضْمَرُ

فإذا أمكن لفردٍ أن يكون كذلك، فما ظنّك بالنبيِّ والائمةّ عليهم السلام، فإنّ حقيقتهم عليهم السلام هي اللوح المحفوظ المجتمع فيه حقائق الأمور؟!!.

ويبقى إشكال آخر طالما سجّله علماءُ العامّة على علماء الشّيعة الإماميّة وهو ما يلي: كيف يوفِّق الشّيعة بين نزول الملائكة على أئمّة أهل البيت سواء في ليلة القدر أو غيرها وبين ما ورد من أنّ جبرائيل قال للنبيِّ صلى الله عليه وآله عند استشهاده: ﴿**هذا آخر نزولي إلى الدنيا**﴾؟.

والجواب:

إنّ نزول جبرائيل على النبيِّ صلى الله عليه وآله هو من أعظم مظاهر الحق المتضمّن لمعنى النبوة التشريعيّة المخصوصة برسول الله صلى الله عليه وآله دون الأئمّة الأطهار عليهم السلام لا لعجز عندهم أو ضعفٍ في قابليّاتهم بل هو تشريفٌ لجدّهم وتفخيم لأمرهم لكونه صلى الله عليه وآله داعياً إليهم ودالاً عليهم، فنزول جبرائيل عليه السلام حينئذٍ بالوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله إنّما يكون تأسيساً لقواعد الشّريعة المطهَّرة ولا نبوّة تشريعيّة بعده صلى الله عليه وآله، وإلى هذا النحو من النزول يشير جبرائيل عليه السلام بقوله: ﴿ **هذا آخر نزولي إلى الدنيا** ﴾، أي هذا آخر

نزولي بعنوان الإيحاء منه تعالى إلى النبيِّ الأعظم من حيث ظهور جهة النبوة له ﷺ، وأمّا من غير هذه الجهة فلا ريب في أنّ جبرائيل عليه السلام حيث إنه ملك العلم فله شؤون من الأمر، وله نزول كثير في عالم الخلق خصوصاً على الإمام عليه السلام، هذا وقد ورد في الحديث أنه قال ﷺ: ﴿ **إنّ جبرائيل ينزل بعد النبي عشر مرات، في كل مرتبة يرفع أمراً من الخلق كالرحم والأمانة** ﴾، فيُعلم منه أنّ لجبرائيل عليه السلام أنحاءً متعددة من النزول، فالمنفي بقوله عليه السلام: ﴿ **هذا آخر نزولي إلى الدنيا** ﴾، هو النزول بالوحي التأسيسي المتضمِّن لظهورِ معنى النبوة كما لا يخفى.

فقوله عليه السلام المتقدِّم، لا ينافي نزولَهُ ونزولَ سائرِ الملائكة على أهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم) بل ثبت بأنّ الإمامَ أميرَ المؤمنين عليه السلام كان يسمعُ كلامَ الوحي من جبرائيل حينما كان ينزل على رسول الله ويرى شخصَ الملك، ولما ثبت من أنّه يرى الأشياء على حقائقها وأنّه ناظر إلى شجرة طوبى وسدرة المنتهى، ولما ورد من قوله ﷺ: ﴿ **يا علي إنّك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا إنّك لست بنبي** ﴾.

وتأويل بعضهم "الرؤية على الواسطة بمعنى أنّك ترى بواسطتي ما أرى بالواسطة" خلاف الإطلاق الوارد في قوله ﷺ: ﴿ **إنّك.. ترى ما أرى** ﴾ فتقييدها بالواسطة يعتبر جمعاً تبرعيّاً مخالفاً لمقدّمات الحكمة المعروفة في أُصول الفقه، إذ لو أراد ﷺ التقييد لكان فعل، ولكنه لم يفعل، فتحمل

حينئذٍ الرؤية على المباشرة لدلالة العرف عليها حيث يتبادر عندهم من كلمة الرؤية هو المشاهدة المباشرة، والرؤية بالواسطة قيدٌ زائد منتفٍ بالأصل.

وما ورد في بعض الاخبار من أنّ الرّسول يرى الملك دون الإمام " لا بدّ من تأويله، وذلك لمعارضته الأخبار الصحيحة الدالة على أنّ أهل البيت عليهم السلام مختَلف الملائكة، وأنّ جبرائيل عليه السلام نزل على الصدّيقة الطاهرة عليها السلام وسمعت منه كلاماً فدوّنته في مصحفٍ، وأنّ الملائكة كانت تأتيهم ويقعدون على فرشهم ومتكآتهم ويرونهم؛ فيحمل حينئذٍ الخبر المتقدِّم على الرؤية لأخذ الوحي التأسيسي، فيكون معنى قوله صلى الله عليه وآله: ﴿ **وترى ما أرى** ﴾؛ أي: أنت يا عليّ ترى جبرائيل وكيفية نزوله بالوحي التشريعي عليّ لا عليك، فيرى الإمام علي عليه السلام كيفية نزول جبرائيل بالوحي عليه صلى الله عليه وآله مع إنّه ليس نازلاً على الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فيكون اختصاص نزول الوحي التشريعي به صلى الله عليه وآله دون العترة الطاهرة عليهم السلام.

وبهذا البيان المتقدِّم: يظهر معنى ما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة من أنهم مهبط الوحي، لأنّ الإمام عليّاً عليه السلام كان يرى هبوطَ جبرائيل بالوحي على النبي صلى الله عليه وآله على ما هو عليه، إذ كيف لا يراه وقد كان السَّامري يراه حينما كان ينزل جبرائيل على موسى عليه السلام فأخذ قبضة من أثر الرسول بحسب ما جاء في الأخبار وما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسَـٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ

بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ ﴾[1]، فإذا صحّت للسامري رؤية جبرائيل، صحّ حينئذٍ رؤيته بطريق أولى لمن هم أفضل من النبيّ موسى عليه السلام فضلاً عن أحد رعيّته الذي انحرف - أي السامري - عنه لمّا غاب عن قومه في الطور، وأمّا سائر الائمّة عليهم السلام فإنّهم أيضاً يرون جبرائيل لكونهم مثل رسول الله ونفسه صلى الله عليه وآله كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿..وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ... ﴿٦١﴾ ﴾[2] ويشير إلى مماثلتهم الحقيقيّة لجدّهم النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله قوله تبارك وتعالى: ﴿۞مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ.. ﴿١٠٦﴾ ﴾. فالآية المنسوخة هم الأنبياء السابقون لرسول صلى الله عليه وآله، وهو خير منهم لكونه أعلم منهم وأفضل، والمراد من ﴿ مِثْلِهَآ ﴾ هو أئمّة آل البيت عليهم السلام حيث إنّهم نفسه كما أشرنا سابقاً.

توضّح ممّا سبق: خطأ التصوّر السّائد عند جمهور المفسّرين من أنّ الملائكة تهبط لإعطاء الأوامر للولي عليه السلام، أو إعلامه بالمغيبات، فإنّ نسبة ذلك إلى من جعله الله قِبْلَةً للملائكة يستلزم إنزاله عن المرتبة التي رتّبه الله تعالى فيها، كما يستلم محاذير قدّمنا شطراً منها، مضافاً إلى أنّ إضافة الملائكة إلى الروح

(١) سورة طه.

(٢) سورة آل عمران.

في قوله: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا... ﴿٤﴾ ﴾[1] لا يعود له أيُّ أثرٍ أو فائدة ما دامت وظيفة الروح - حسبما جاء في الأخبار - هي تسديد الائمّة عليهم السلام في غير ليالي القدر، فعلام ينزل إذن في ليلة القدر؟ وهل الغاية من نزوله في ليلة القدر هي إعطاء الأمر في حين يعطي الأوامر دائماً للإمام عليه السلام في غير ليلة القدر؟!.

فإذا كان المقصودُ من نزول روح القدس مع الملائكة لإعطاء الأمر، فإنّ ذلك يتمّ عبر وسيط واحدٍ وليس عبر ملايين الوسائط من الملائكة، كلّ واحدٍ يحمل أمراً من الله ليصدِّره إلى الإمام عليه السلام.

لذا من المهمّ جدّاً البحثُ عن حقيقة تلك الروح التي تنزل في ليلة القدر، وهل هي مَلَكٌ كسائرِ الملائكة أم أنّه يتميّز عنهم بخصائص كبرى، أو أنها شيءٌ آخر لا بدّ من الكشف عنه؟ وما مدى علاقة الروح بالعلم الحضوري للمعصوم عليه السلام المهيمن على عوالم التكوين بقدرة الله تبارك وتعالى؟.

تساؤلات مهمة لا يسع كتابنا هذا للإجابة عنها، ولكننا ـ بفضل الله تعالى والحجج عليهم السلام ـ قد أجبنا عنها بشكلٍ تفصيليٍّ ليس له نظير في الجزء الأول من بحثنا القيِّم "شبهة إلقاء المعصوم عليه السلام نفسه في التهلكة" فليراجع؛ ولكن ما لا يدرك كلّه لا يترك جلُّه، فنشير إليه بإجمال في النوع السادس ونترك التفاصيل لكتابنا المتقدِّم ذكره.

---

(١) سورة القدر.

(النوع السادس): روح القدس؛ وقد تعددت في معناه الأخبار الشريفة، فتارةً تصفه بالملك العظيم وأنَّه أعظم من جبرائيل وميكائيل عليهما السلام، وتارةً تصفه بالروح الإلهي أو الإرادة الإلهية المتجلية على فؤاد الإمام عليه السلام في ليلة القدر، وكلا الوصفين صحيحان، فالملك يسدد به الوليّ عليه السلام كما يسدد به النبيّ صلى الله عليه وآله أيضاً.

يضاف إلى ذلك: إن المفهوم من كون الروح بمعنى الإرادة الإلهية يعني التسديد الإلهي الذي لا ينقطع أبداً، كما أنه دلالة واضحة على أن وظيفة الإمام عليه السلام كوظيفة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله تتنزل عليه الملائكة بأمر ربِّها من كلّ أمرٍ تمييزاً له عن بقية خلقه في عالم الملك والملكوت؛ لأن علومه ومعارفه إنما هي من عند الله تعالى، وليس للعباد فيها صنعٌ أو سببٌ.

ووظيفة هذا الملك أو الإرادة تنحصر في تأكيد الأمر الإلهي المفاض على قلبه الشريف بعدما وضَّحنا لكم سابقاً اتصاف الإمام عليه السلام بالعلم اللدني الفعلي الحضوري لا المقدَّر الإرادي، فتكون ليلةُ القدر والملائكة والروح النازلة فيها مؤكدةً للعلم الحضوري المفاض عليه من عند علام الغيوب مذ كان في العالم الأول، ما يعني هيمنته التامة وسلطنته الكاملة على عوالم التكوين بعناصره الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل، ولعلَّ هذا التمييز اللامتناهي أدَّى إلى تململ ضعاف النفوس، فضاقت صدور أكثرهم بعلو مقام آل محمد عليهم السلام، وهو ما جاء في أخبارهم الشريفة بألفاظ متعددة:

﴿**أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبيٌّ مرسل أو عبد أمتحن الله قلبه بالإيمان**﴾ وقد استفضنا بتحليل ذلك في كتابنا الكريم " الحقيقة الغراء في تفضيل مولاتنا الصدّيقة الكبرى زينب الحوراء على مريم العذراءعليها السلام " ؛ فليُراجَع.

(النوع السابع): مصحف الصدّيقة الكبرى الشهيدة المظلومة مولاتنا فاطمة الزهراءعليها السلام ولعن الله الظالمين لها ؛هو علمٌ لدنيٌّ خاصٌّ بها دون سواها من أئمة الهدىعليهم السلام من جهة نزوله على شخصها الكريم الميمونعليها السلام ، ووراثي من جهة وراثة أولادها له من حيثية عدم نزوله عليهم، بل نزوله خاصٌّ بسيِّدة نساء العالمينعليها السلام باعتبارها من أعمدة الأولياء العظام وقطب رحاهم (روحي فداها) كيف لا؟ وقد دارت على معرفتها القرون الأُولى، وما تكاملت نبوة نبيّ إلا بولايتها.

ولا يراد من مصحفها الشريف ما توهمه المخالفون من كونه قرآناً في مقابل القرآن الكريم، وإنما هو مصحف تكويني من كلام الله تعالى لها واختصاصه بها بواسطة الملاك جبرائيل، ما يعني أنها سفيرة الله وحجته الكبرى على الخلق ؛ ولا يعني ذلك أنها نبيّة نزل عليها كتابٌ تشريعيٌّ جديد في مقابل القرآن الكريم.. كلا! إذ لا ملازمة بين الإنزال الجبرائيلي بالوحي إليها وبين النبوة التشريعية، وإلا لكانت مريم العذراءعليها السلام نبيّة لنزول جبرائيل عليها بالوحي ـ وإن كان الألوسي من أعلام العامة يعتقد بصحة

تنصيب بعض النسوة الطاهرات في مقام النبوة، وقد استفضنا بالبحث حول ذلك في كتابنا القيِّم "نفحات الأبرار في شرح زيارة عاشوراء" ـ بل هو اختصاصٌ من الوهاب علام الغيوب، وفيه مزيد كرامة لها وتفضيل من الله تعالى لها على عامة خلقه، ولا يقارنها نبيٌّ مُرْسَلٌ ولا مَلَكٌ مقرَّبٌ إلا أبوها وبعلها... إنها الصدّيقة الكبرى روح النبيِّ الأعظم وكبد المرتضى أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وفي هذا المصحف الفاطمي الشريف تفاصيل الحوادث التكوينية وأسماء الشيعة الموالين برمتهم إلى يوم القيامة، كما توجد فيه أسماء الملوك الذين سيملكون الأرض من الفجار وغيرهم، وفيه أسماء الشيعة وأسماء آبائهم، كما يوجد فيه وصية مولاتنا سيِّدة نساء العالمين عليها السلام، وكأنها وصية للإمام الحجة القائم أرواحنا فداه كما سوف نشير إليه في الحديث رقم ٢٣ من الأحاديث التي سوف نستعرضها لبيان حقيقة مصحفها الشريف، ويمتاز مصحفها الشريف باحتوائه على أسماء الموالين من الشيعة المناصرين للصدّيقة الكبرى ولبعلها وأولادها؛ كما لعلّه يمتاز بوصيةٍ خاصة لإمام الزمان الحجة القائم عجل الله فرجه الشريف، وكأنه تكليف منها له (أرواحنا فداه) لم تفصح الأخبار عن كنه تلك الوصية، ولعلَّها تكشف عن شيءٍ مهم وهو أن إمامنا الحجَّة القائم عجل الله فرجه الشريف سينفِّذ شيئاً مهماً أوصته به جدته الصدِّيقة الكبرى مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام؛ والظاهر لي بأنَّه شيءٌ من الشكاية والظلامة لإمام

العصر ووليّ الأمر (أرواحنا فداه) وأمراً بأخذ الثأر لها من أبي بكر وعمر وعائشة وما فعلوه بها من الظلم والإعتداء عليها؛ وقريب منه ما دلت عليه رواية المفضل بن عمر المروية في كتاب: (الهداية الكبرى) للخصيبي الجنبلائي، وقد رواها المجلسي في (البحار) من أنه سيخرج الصنمين من قبريهما في المدينة ويحييهما ثم يقصّ عليهما ما فعلاه بأمير المؤمنين وزوجته الصديقة الكبرى وأولادها الخمسة المطهرين عليهم السلام... ويحيي عائشة لينتقم لجدته منها كما ورد في خبر عبد الرحيم القصير عن إمامنا أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿ **أما لو قام قائمنا لقد ردت إليه الحميراء حتى يجلدها الحدّ وحتى ينتقم لأبنة محمد فاطمة** عليها السلام **منها** ﴾.

وحيث إنَّ المصحف الفاطمي له أهمية على صعيد الإخبارات الغيبية المتعلقة بيوم الظهور الشريف، وحيث إنَّه من القنوات العلميَّة اللدنيَّة من علام الغيوب لمولاتنا سيِّدة نساء العالمين (سلام الله عليها)، كان لا بدَّ لنا من البحث فيه ضمن ثلاث نقاط مهمة هي الآتية:

(النقطة الأُولى): معنى المصحف الزهرائي الفاطمي لغةً واصطلاحاً.

(النقطة الثانية): تفنيد دعوى البتري محمّد حسين فضل الله ومن لفَّ لفَّه من عمائم السوء في شبهته حول المصحف الفاطمي على صاحبته آلاف التحية والسلام والإجلال والإكرام.

(النقطة الثالثة): الأخبار الشريفة الدالة على المصحف الزهرائي الفاطمي.

بيان النقطة الأُولى: في معنى المصحف الزهرائي الفاطمي لغةً واصطلاحاً.

يجب لفت نظر المخالفين إلى مسألةٍ مهمَّةٍ هي أن مصحفَ سيِّدتنا الطاهرة الصدّيقة الكبرى الشهيدة ـ على يد الفظِّ الغليظ عمر بن الخطاب ـ ليس قرآناً كما أشرنا إليه سابقاً، فهم يزخرفون الأباطيل على سيِّدة نساء العالمين عليها السلام وعلى شيعتها المخلصين، بل هو كتاب تكويني فيه إخبارات غيبية، وليس فيه شيءٌ من القرآن حسبما كشفت عن ذلك أخبارنا الشريفة.

المصحف في اللغة:

إن " المصحف " لغةً هو: الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين، والصحف جمع صحيفة وهي التي يُكْتَبُ عليها، وسمّي القرآن مصحفاً لأنه أُصحفَ؛ أي: جُعِلَ جامعاً للصحف المكتوبة على ورق الكاشفة عن أحوال الأمم السابقة واللاحقة وما فيه من قصص ومواعظ وحكم وتشريعات؛ ومن معاني المصحف؛ ما اشتهر في القرن الحالي والماضي بما تنشره دور الإعلام السياسي من الصحف اليومية الدالة على الحوادث التكوينية التي تبتلى بها الأُمة والشعوب في العالم ولا أحد يدَّعي بأنَّ الصحفَ السياسية قرآنٌ يتلى آناءَ الليل وأطرافَ النهار، فليكن حال مصحف سيدتنا المعظمة الزهراء البتول عليها السلام من هذا القبيل؛ فما هذه الشنشنة يا أعداء السيِّدة الزهراء عليها السلام وشيعتها الموالين...!!.

المصحف في الاصطلاح العقائدي:

وأمَّا " المصحف " اصطلاحاً فهو: عبارة عن ثلاثة أشياء: أحدهما القرآن الكريم، وثانيها المصحف الفاطمي الكريم، وثالثها كتب الأنبياء وكتب الأعمال يوم القيامة؛ والثالث كشف عنه القرآن، وهذه المعاني كلّها من كلام ربِّ العالمين باعتبارها منزلة من جهة ربّ العالمين تماماً كالسُنَّة النبويَّة الصادرة من النبيِّ بوحيٍ من الله تعالى لرسوله الكريم إلا أن الأول ــ أي القرآن الكريم ـ كلام تشريعي وقصصي، والثاني والثالث ــ أي المصحف الفاطمي وكتب الأعمال والأنبياء ــ فكلامٌ إخباري محض؛ وتعيين الثاني يحتاج إلى قرينة تصرفه عن القرآن الكريم، وقد دلت القرائن الكثيرة من أئمتنا الطاهرين عليهم السلام على أن المراد من المصحف الفاطمي هو غير القرآن بل هو إخبارات غيبية دالة على حوادث وأسماء تكوينية.

والحاصل: إن المصحف قد ورد ذكره في القرآن الكريم ثماني مرات، وكلها تشير إلى كُتب الأنبياء وكتب الأعمال تُنْشَر يوم القيامة وهي التالي:

١- ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَ لَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٣٣ ﴾[1].

٢- ﴿ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦ ﴾[2].

---

(١) سورة طه.

(٢) سورة النجم.

٣- ﴿ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ ﴾[(١)].

٤- ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ١٠ ﴾[(٢)].

٥- ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ ﴾[(٣)].

٦- ﴿ بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ٥٢ ﴾[(٤)].

٧- ﴿ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ٢ ﴾[(٥)].

٨- ﴿ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩ ﴾[(٦)].

هذه المعاني المتعددة للفظ "صحف" كلّها معانٍ حقيقية؛ ولكنَّ تعيين أو ترجيح أحد المعاني على الأُخرى إنما يتم بواسطة القرينة الصارفة، لذا فإن لفظ "مصحف" يعتبر معنىً حقيقياً لما يُكتب على الجلود والقراطيس، وهذا المكتوب أعم من كونه قرآناً، فيحتاج في تعيين غيره إلى قرينة تصرفه عن المعاني الأُخرى للفظ المصحف، ومن هنا وردت النصوص الشريفة عن أئمتنا الطاهرين عليهم السلام موضحةً معنى "مصحف السيِّدة المطهرة فاطمة الزهراء عليها السلام" وأنه ليس فيه من القرآن حرفٌ حسبما ورد في خبر أبي

---

(١) سورة عبس.

(٢) سورة التكوير.

(٣) سورة الأعلى.

(٤) سورة المدثر.

(٥) سورة البينة.

(٦) سورة الأعلى.

بصير عن الإمام الصادق عليه السلام قال السائل: وما مصحف فاطمة؟ قال عليه السلام: ﴿ **مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد..** ﴾ وغيرها من الأخبار التي استعرضناها في النقطة الثالثة.

بيان (النقطة الثانية) وهي: تفنيد دعوى البتري فضل الله ومن لفَّ لفَّه في شبهته حول المصحف الفاطمي على صاحبه آلاف التحية والسلام.

استعراض دعوى المشكّك: بالرغم من وضوح الأخبار على أنّ مصحف مولاتنا سيِّدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام هو إخبار جبرائيل عليه السلام لها بما يكون من حوادث زمنية مستقبلية، إلا أنَّ المشكّكَ المذكور يدّعي أنه مصحف تشريعي مليء بالأحكام الشرعية من الحلال والحرام سمعته مولاتنا الصدّيقة الكبرى عليها السلام من أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، بمعنى أنّ الصدّيقة الكبرى سيّدة النساء عليها السلام كانت تسمع من رسول الله وتكتبه، متغافلاً عن أنّ المصحف التكويني للصدّيقة الشهيدة هو أحد المنابع العلميّة لآل البيت عليهم السلام، وأنَّ فيه تفاصيل ما يجري على شيعتها إلى يوم القيامة وغير ذلك، وعلى هذا الأساس لا يمكن حينئذٍ الجمع بين ما قيل من أنه حلالٌ وحرامٌ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وبين ما سمعته من الملاك جبرائيل عليه السلام.

سُئل صاحب الشبهة محمد حسين فضل الله: " ورد حديث في الكافي للكليني عن الإمام جعفر الصّادق عليه السلام يشير فيه إلى أنّ للشيعة مصحف يُسمّى بمصحف فاطمة، وورد أنّ هذا المصحف يوازي ثلاثة أضعاف القرآن الّذي بين أيدي

المسلمين، ما مدى صحّة هذا الحديث وهل هناك بالفعل مصحف فاطمة؟ ثمّ هل صحيح الأحاديث الواردة بالكافي صحيحة، علماً بأنّ الكثير منها لا يوافق المنطق؟ ".

فأجاب: " أمّا بالنسبة إلى موضوع مصحف فاطمة، قطعاً الآن غير موجود عند أحد في العالم، غير موجود عند أي شخص من الشيعة، لا من العلماء ولا من غيرهم، ورد في حديثٍ، لكن كلمة المصحف ليس معناه القرآن، كلمة المصحف معناها الأوراق، ولهذا القرآن يسمى كمصحف باعتبار أنه يشتمل على أوراق مكتوب فيها هذا الشيء. فكلمة المصحف لا يراد منها أن هناك عند الشيعة قرآناً يسمّى مصحف، وإنما هو كتاب كانت تكتبه فاطمة، بعض الروايات تقول أنها كانت تكتبه فيما تسمعه من أبيها ومن عليّ عليه السلام حول قضايا الأحكام الشرعيّة، ولذا كان الإمام الصادق يقول لبعض بني عمّه من بني الحسن أنه هذا الحكم موجود في مصحف جدتك فاطمة عليها السلام، يعني في الكتاب الذي ألفته الزهراء عليها السلام. وينقل أنّ الزهراء كان عندها كتابٌ وكانت تقرأ على النساء من خلال الكتاب. وهناك قول بأنّ الزهراء عليها السلام، أنّ الله أرسل - وهو غير ثابت - إليها مَلَكاً بعد وفاة أبيها ليؤنسها ويحدثها بأمور العالَم، وكانت تكتب ذلك. على كل حال ليس المراد بالمصحف القرآن أو ما يكون بديلاً عن القرآن الإشتباه الذي حاصل إنما هو من إطلاق كلمة مصحف يعني المفروض أنّ القرآن ليس اسمه مصحف. إنما سمي مصحف مثلما يسمى كل كتاب مصحف يعني من الصحف. مثل الصحف الأولى صحف إبراهيم

وموسى أو صحف الناس.. أما مسألة موضوع الكافي، فالكافي ليست كل الأحاديث الموجودة فيه صحيحة بل هناك أحاديث صحيحة وهناك أحاديث غير صحيحة ولهذا لا بدّ لنا في دراسة أحاديث الكافي لا بدّ أنْ ندرس أساليب الحديث ولا بدّ أنْ ندرس طبيعة الحديث من أنه موافقٌ للكتاب والسنّة القطعيّة وموافقٌ للعقل أو ليس موافق للعقل لنأخذ به أو لا نأخذ به "[1].

وبالجملة: يُلاحَظُ على كلامه المتقدِّم أنَّه شكَّك في ثلاثة أمور، نلخِّصُها في ثلاثِ نقاطٍ:

(النقطة الأُولى): إنكاره ــ في صدر جوابه ــ وراثة الإمام الحُجَّة القائم المهدي وآبائه الطاهرين عليهم السلام للمصحف الفاطمي على صاحبته آلاف التحية والسلام.

(النقطة الثانية): تشكيكه في أحاديث كتاب الكافي، وأنّ الخبر الصحيح هو ما كان موافِقاً للكتاب والسنّة والعقل.

(النقطة الثالثة):تفسيره للمصحف بأنه كتابٌ يشتمل على الأحكام الشرعية التي سمعتهاالصدّيقة الشهيدة (صلوات الله عليها) من أبيها وبعلها أمير المؤمنين **(صلوات الله عليه وآله الطيبين)**، مستشهِداً برواية سلمة بن الخطاب عن الإمام

---

(١) كتاب حوار مع السيّد.. ثلاثة آلآف مسألة وجواب: ٣١٧ و ٣١٨. نقلنا كلامه بعين ألفاظه من دون تصليح لألفاظه الركيكة.

جعفر الصّادق عليه السلام التي يُخبر فيها بعض بني عمّه من بني الحسن بعض الأحكام الشرعيّة ؛ وإليكم الخبر المذكور :

روى الشيخ الصدوق[1] بإسناده عن البرقي ، عن سلمة بن الخطّاب ، عن الحسين بن راشد ، عن عليّ بن إسماعيل الميثمي عن حبيب الخثعمي قال : كتب أبو جعفر الخليفة إلى محمّد بن خالد بن عبد الله القسريّ ـ وكان عامله على المدينة ـ أنْ يسأل أهل المدينة عن الخمسة في الزكاة من المائتين كيف صارت وزن سبعة ولم يكن هذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأمره فيمن يسأل عبد الله بن الحسن ، وجعفر بن محمّد عليهما السلام .

فسأل أهل المدينة. فقالوا : أدركنا مَن كان قبلنا على هذا.

فبعث إلى عبد الله وجعفر عليه السلام ، فسأل عبد الله فقال كما قال المستفتون من أهل المدينة.

قال : فما تقول أنت يا أبا عبد الله؟. فقال عليه السلام : « **إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله جعل في كلّ أربعين أوقيّة؛ أوقيّة، فإذا حسبت ذلك كان على وزن سبعة** [وقد كانت وزن ستة] **كانت الدراهم خمس دوانيق** ». قال حبيب : فحسبناه ، فوجدناه كما قال. فأقبل عليه عبد الله بن الحسن فقال : من أين أخذتَ هذا؟. فقال عليه السلام : « **قرأته في كتاب أمّك فاطمة عليها السلام** ». ثمّ أنصرف. فبعث إليه محمّد : إبعث إليّ بكتاب فاطمة عليها السلام.

---

[1] علل الشرائع : ج٢ ، باب ١٠١ ح١.

فأرسل إليه الإمام أبو عبد الله عليه السلام : « **إني إنما أخبرتك أني قرأته، ولم أخبرك أنه عندي** ».

قال حبيب : فجعل محمّد [بن خالد] يقول : ما رأيت مثل هذا قط.

الإيراد الإجمالي على المشكِّك بالآتي : إنّ الأخبار متضافرة بل متواترة على أنّ مصحف مولاتنا الشهيدة فاطمة عليها السلام عبارة عن إخبارات تكوينية هبط بها الملاك جبرائيل عليه السلام ليسلّي عزاءها وغمّها مما أصابها من عمر بن الخطّاب وأبي بكر وزمرتهما يومذاك ، وهو خلاف دعواه في أن المصحف هو إخبارات تشريعية ، فدعواه في المصحف التشريعي في مقابل الأخبار الدالة على المصحف التكويني المتعلق بالحوادث التكوينية فقط وليس فيه شيءٌ من الأحكام الشرعية ، ودعواه المتقدِّمة بمثابة اجتهاد في مقابل النصوص القطعية ، تدخل صاحبها في الهلاك الأبدي.

مضافاً إلى تشكيكه بالأخبار الدالّة على نزول جبرائيل على الصدّيقة المظلومة فاطمة عليها السلام بعد وفاة والدها رسول الله صلى الله عليه وآله ليؤنسها ويحدّثها بأمور العالَم ، مدّعياً وجود خبرٍ ضعيفٍ من الناحية السّنديّة يدلّ على أنّ جبرائيل كان ينزل إليها.



الإيراد التفصيلي:

الإيراد على النقطة الأُولى بوجهين:

(الوجه الأول): يكفي في ردّ إنكاره لوراثة الإمام الحجَّة القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف ما ورد في الأخبار التي فاقت التواتر بمرات الدالة على أن الأئمة الطاهرين عليهم السلام هم الوارثون لمصحف جدتهم الصدِّيقة الكبرى الشهيدة المظلومة عليها السلام، وهي أخبار متنوعة المضامين، مبثوثة في المصادر الحديثية وأبواب الأدعية المقطوعة الصدور عنهم، وهي على كثرتها خفيت على ذاك البتري الذي لا يستحي من العلماء الأعلام الذين لا تخفى عليهم هرطقاته وأكاذيبه العلنية، لا سيَّما أن الأخبار صريحة في وراثتهم لمصحفها كما سوف ترون في صحيحة عبد الملك بن أعين وموثقة فضيل بن سكرة؛ وموثقة ابن أبي العلاء ورواية الأعمش.. إلخ؛ وهي أخبار واضحة بمضمونها في أن المصحف عندهم عليهم السلام، وهم ورثته الحقيقيون حصراً، حتى أن الإمام أبا جعفر عليه السلام وصفه بالتفصيل لأبي بصير كما في رواية الطبري في (دلائل الإمامة).

(الوجه الثاني): إذا لم يكن أئمتنا الطاهرون عليهم السلام هم الوارثون لمصحف جدتهم الطاهرة الزكيَّة عليها السلام كما ورثوا تركات الأنبياء عليهم السلام، فمَنْ يا تُرى هو الوارث لها ولهم...؟! وإلى أين ذهبت تلكم المواريث؟ فهل تبخرت في الفضاء من دون أن يكون الله تعالى حافظاً لها عبر سفرائه وحججه

الطاهرين عليهم السلام؟! حاشا لله ثم حاشا أن ترفع علومهم من دون أن تكون محفوظة في صدورهم يتناقلها اللاحق عن السابق، وهو أمر واضح في النصوص الشريفة الدالة على أن علوم السابق يرثها اللاحق منهم عليهم السلام، وهو ما حفظه لنا الكليني رضي الله عنه حينما عقد باباً خاصاً في أن الأئمة عليهم السلام ورثة العلم، نستعرض جملةً منها على النحو الآتي:

[الخبر الأول]: صحيحة الفضيل بن يسار قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّه عليه السلام يَقُولُ: ﴿ **إِنَّ فِي عَلِيٍّ عليه السلام سُنَّةَ أَلْفِ نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وإِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي نَزَلَ مَعَ آدَمَ عليه السلام لَمْ يُرْفَعْ ومَا مَاتَ عَالِمٌ فَذَهَبَ عِلْمُه والْعِلْمُ يُتَوَارَثُ** ﴾.

[الخبر الثاني]: الكليني بإسناده عن مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبَانٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: ﴿ **إِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي نَزَلَ مَعَ آدَمَ عليه السلام لَمْ يُرْفَعْ ومَا مَاتَ عَالِمٌ فَذَهَبَ عِلْمُه** ﴾.

[الخبر الثالث]: الكليني بإسناده عن مُحَمَّدٌ عَنْ أَحْمَدَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ رَفَعَه عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: ﴿ **يَمُصُّونَ الثِّمَادَ ويَدَعُونَ النَّهَرَ الْعَظِيمَ** ﴾ قِيلَ لَه: ومَا النَّهَرُ الْعَظِيمُ؟ قَالَ عليه السلام: ﴿**رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله والْعِلْمُ الَّذِي أَعْطَاه اللَّه إِنَّ اللَّه عَزَّ وجَلَّ جَمَعَ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله سُنَنَ النَّبِيِّينَ مِنْ آدَمَ وهَلُمَّ جَرّاً إِلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله** ﴾ قِيلَ لَه: ومَا تِلْكَ السُّنَنُ؟ قَالَ عليه السلام: ﴿ **عِلْمُ النَّبِيِّينَ بِأَسْرِه وإِنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وآله**

صَيَّرَ ذَلِكَ كُلَّه عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ﴾ فَقَالَ لَه رَجُلٌ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّه فَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمُ أَمْ بَعْضُ النَّبِيِّينَ؟ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام : ﴿**اسْمَعُوا مَا يَقُولُ إِنَّ اللَّه يَفْتَحُ مَسَامِعَ مَنْ يَشَاءُ؛ إِنِّي حَدَّثْتُه أَنَّ اللَّه جَمَعَ لِمُحَمَّدٍ** صلى الله عليه وآله **عِلْمَ النَّبِيِّينَ وأَنَّه جَمَعَ ذَلِكَ كُلَّه عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ** عليه السلام **وهُوَ يَسْأَلُنِي أَهُوَ أَعْلَمُ أَمْ بَعْضُ النَّبِيِّينَ** ﴾.

وبعبارةٍ أُخرى: إنّ خبر سلمة بن الخطاب أشار إلى أنّ الإمام الصادق عليه السلام نفى أنْ يكون الكتابُ عنده مع أنه قرأه، فأين هو الكتاب الآن إذا لم يكن عند الإمام عليه السلام؟ وهل هناك أحد ورث الصدّيقة غير الإمام عليه السلام، وكون الكتاب فيه الحلال والحرام يستبعد من الإمام عليه السلام أنْ لا يريه إياه، إلا إذا قلنا إنّ فيه أسراراً تكوينيّة لا يصحّ اطلاع السائل عليها، فاستعمل الإمام معه التورية، والله أعلم بحقائق الأمور.

الإيراد على النقطة الثانية بوجهين هما الآتيان:

(الوجه الأول): من الواضح في الفكر الرجالي والأُصولي عند أعلام الشيعة الإمامية أنّ بعضَ أحاديث كتاب الكافي الشريف للمحدِّث الكليني (رحمه الله تعالى) ليست قويّة سنداً طبقاً لتقسيم الخبر إلى أربعة أقسام الذي راج في كلمات المتأخرين من أعلام الإماميَّة، ولم يكن له وجودٌ في كلمات المتقدِّمين؛ بل إنَّ كتابَ الكافي ــ كغيره من الكتب الحديثيَّة المصدريّة عند الشيعة الإمامية ــ لا يخلو من أحاديث ضعيفة دلالةً وسنداً، وهي أحاديثٌ

قليلةٌ جداً في مقابل الأخبار الصحيحة المدعومة بالقرائن والشواهد القوية، ولا أحدٌ يدّعي من الشيعة الإماميّة أنّ كلّ أسانيد الكافي صحيحةٌ، لكنّ الدلالةَ أو المضمونَ يتطابقان ويتوافقان مع الكتابِ والسنّةِ القطعيّة وأحكامِ العقل السليم، فأكثرُه صحيحٌ من هذه الناحية وغيرُ ملوَّثٍ بشبهاتِ العامّة وأباطيلهم وأراجيفهم، حيث ما فتئوا يشكّكون في كتاب (أصول الكافي) للكليني، ويشنّون الحملاتِ المستعرة على صاحبه الكليني أعلى الله مقامه الشّريف، والمشكِّك البتري المذكور سار على نفس المنوالِ والخطِّ، فلم يترك مناسبةً إلا تطرّق فيها إلى كتاب الكافي، وكأنَّه ليس في مكتبتنا سوى الكافي والبحار، ولكنّ الرّجل معذورٌ - عند مقلّديه - لكونه أحد أعلام الوحدة البارزين بين الشيعة الإماميَّة والمخالفين، تلك الوحدة التي تريد تسطيح الإمامة الإلهيَّة وتقويض التشيُّع كدينٍ لآل محمّد عليهم السلام، فلم نسمع أحداً من علماء العامّة شكّك في كتاب البخاري أو صحيح مسلم وغيرهما من الكتب عندهم التي تعجّ بالأباطيل والأكاذيب على رسول الله صلى الله عليه وآله وبعضِ أصحابه المخلِصين أمثال عمّار وسلمان وأبي ذر والمقداد وجابر رضي الله عنهم، وما هذه الشنشنة التي يصدرها المشكّك المذكور بين الفينة والأُخرى إلا هديّةً لعلماء العامّة وتقرُّباً إلى بلاط حكّامهم وقضاتهم.

(الوجه الثاني): إنَّ تضعيفه لأكثر أحاديث الكافي، مصادرة على المطلوب، ودعوى تفتقد المصداقية العلميَّة، وتُعتبر تجنّياً على علمي الدراية والرجال

اللذين لم يحسن قواعدهما المشكِّك بركائز المذهب الحقّ، مع إصرارنا على أنَّه لم تكن لديه الخبرة العلميَّة والرجاليَّة حتى يميِّز بين المدعوم بالقرائن وبين الصحيح والضعيف كما هو واضح عند المتتبع لكتبه الفقهية وبحوثه المتنوعة الضالة؛ في حين أنَّ العلماءَ الأعلام منذ عصر الشيخ المفيد إلى يومنا هذا يرون أن أكثر أحاديث الكافي مدعومة بالقرائن والشواهد من الكتاب والسنَّة المطهرة والعقل، وقد ملأوا كتبهم وبحوثهم بتلكم القرائن والشواهد، ولكنْ يظهر من المشكّك أنَّه لم يكن على اطلاعٍ عليها أو أنه كان يتجاهلها ليشكّك في أخبار الكافي الشريف باعتباره شوكةً في عيون المخالفين الذين طالما انزعجوا منه لما فيه من حقائق دامغة لا تتوافق مع الفكر البكري العمري.. لذا وجدوا أنَّ النيل مباشرة من الكافي غير مجدٍ، فكان من المناسب لهم تسخير وتجنيد معممين من داخل الصفّ الشيعي ليقوموا بالمهمة والدور السلبي اتجاه أخبار الكافي وغيره من كتب المصادر الحديثية، فطلع علينا بعد موت البتري الأول العديد من البتريين ممن هم أكثر شراسة على التشيع من زعيمهم الأول...! ولكن هيهات أن ينالوا من هيبة التشيع مهما تغطرست قوى الضلالة وتكاتفت مع قوى الكفر والنصب، فلن يفلحوا أبداً ما دام لله جنودٌ أعاروا جماجمهم له، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون والعاقبة للمتقين.

والحاصل: الظاهر من المشكِّك أنَّه لم يتوافق حتى مع مسلكه الأُصولي في تبنيه للخبر الموثوق الصّدور، ويظهر أنَّه من النّاحية العمليّة لم يكن يعمل حتى بمسلكه المتقدِّم، بل لم يكن يعمل إلا بما تمليه عليه الظروف السياسيَّة والمصلحة الشخصيّة والاستحسانات والأقيسة العاميَّة.

الإيراد على النقطة الثالثة بوجوهٍ هي الآتية:

(الوجه الأول): إنّ الرواية المنقولة عن الإمام الصّادق عليه السلام ـ التي اعتمدها المشكّك بشأن المصحف التشريعي ـ ضعيفة سنداً من جهة وقوع سلمة بن الخطّاب في السند على قول بعضٍ الرجاليين كالنجاشي الذي ضعَّف بعض أحاديثه وهو وجيهٌ، ومن جهة وقوع الحسين بن راشد؛ إذ الراجح ضعفه، واستظهر بعضٌ كونه " الحسن بن راشد " وقد ضعّفه النجاشي.

والمحصِّلة: سند الخبر ضعيفٌ بسلمة بن الخطاب، حيث لم يثبت توثيقه من جهة، وباعتباره واقفياً من جهةٍ أُخرى؛ وبعض الرجاليين قوَّى ما رواه سلمة بن الخطاب لكثرة رواياته ورواية الأجلاء عنه وهو ما يعدّونه من أسباب الحسن والمدح.

وتحقيق المطلب أنْ يقال: إن كثرة رواية سلمة بن الخطاب ورواية الأجلاء عنه لا تكون مناطاً لحسن حاله في كل ما يرويه، إذ يفرض على الثقة أن يكون ثبتاً في نقله.

ومن المعلوم أن رواية الأجلاء عنه لا تصحح له رواياته الضعيفة المخالفة للأخبار القطعية الصدور، لذا لجأ الأعلام إلى طرح رواياته أو تأويلها لكي تتوافق مع الأخبار الأُخرى، لذا فإن رواياته الضعيفة لا يأخذون بها بالرغم من رواية الأجلاء عنه.

وعلى فرض وثاقته عند البعض إلا أنه ضعيف في حديثه، وهو القدر المتيقن من الحكم عليه بضعف رواية المصحف التشريعي المروي عنه، اللهم إلا أن يكون المراد من المصحف التشريعي هو غير المصحف التكويني الخاص بسيِّدة نساء العالمين مولاتنا فاطمة الزهراء (صلى الله عليها)، وهو موضوع آخر خارج عن محل البحث، وهذا لا يدخله في الوثاقة مع كونه واقفياً، والواقفية سيف مسلط على أئمتنا الطاهرين عليهم السلام تماماً كغيرهم من المخالفين لهم عليهم السلام.

والحاصل: إن الظاهر لنا من ترجمة سلمة أنه ضعيف في شخصه وفي حديثه، إلا ما دلت القرائن على صحة أحاديثه، كذلك الحال في ضعف الحسن بن راشد، فالرواية لا تخلو من ضعفٍ سندي، فلا تكون حجَّةً رجالية من حيث السند، بالإضافة إلى المحذور الآخر الذي سنشير إليه في الوجه الثاني.

(الوجه الثاني): إنّ الخبر ـ بالرغم من ضعفه السندي كما أشرنا سابقاً ـ فهو ضعيف أيضاً بدلالته ومضمونه باعتباره مخالفاً للأخبار المتضافِرة الدالّة

علـى أنّ مصـحف مولاتنـا سـيِّدة نسـاء العـالمين سـيِّدتنا الجليلـة فاطمـة الزهـراءعليها السلام إنمـا هـو إخبـارات غيبيـة، ولـيس فيـه شـيءٌ مـن الأحكـام الشـرعية علـى الإطـلاق، فهـو علـى عكـس دعـوى المشـكِّك، ومقتضـى الصناعة الرجاليّة والفقهيّة أنَّه لا يجوز إجماعاً ونصاً تقديم الخبر الضعيف على الأخبار المتضافرة والمتواترة؛ فقد أمرنا أئمتنا الطاهرونعليهم السلام بتقديم الخبر المستفيض والمتواتر على الخبر الضعيف والشاذ، وبما أنَّ خبر سلمة بن الخطَّاب ضعيف سنداً ودلالةً، ومخالف للأخبار الأُخرى، فلا يجوز تقديمه على ما ذكرنا بأيِّ شكلٍ من الأشكال وفي أيِّ حالٍ من الأحوال؛ وذلك لما ورد في كثيرٍ من الأخبار الآمرة بعرض الأخبار الشاذة على الكتاب والسنّة المطهـرة، فيؤخـذ بالمشـهور الموافـق للأخبـار والأصـحاب، ويترك الشـاذ النادر، وإلقاء نظرة خاطفة على باب القضاء من أخبار الوسائل كافٍ ووافٍ في إجلاء الصورة الفقهية والرجالية التي أشرنا إليها.

(الوجه الثالث): لا يبعد كون ما رواه سلمة بن الخطاب مصحفاً تشريعياً امتازت به سيِّدة نساء العالمينعليها السلام كما امتاز بعلها أمير المؤمنين سيِّدنا الإمام الأعظم عليّ بن أبي طالبعليه السلام بالصحيفة الجامعة، مع أن له صحيفة غيبية أُخرى تختلف عن الجامعة وهي الجفر الأبيض، وفيه علمٌ كثير، وكذلك الصدِّيقة الكبرى، عندها ثلاثة مصاحف كما سوف نوضح في الوجه الرابع.

(الوجه الرابع) : الظاهر لنا من خلال التدبر في ألفاظ الحديث المذكور ؛ أنّ مورد خبر سلمة بن الخطاب أعمّ من المدَّعى ، لأنّ المدَّعى هو ذكر المصحف الغيبي التكويني ؛ وما ورد في الخبر إنما هو ﴿ **كتاب أمّك فاطمة**عليها السلام ﴾ والفرق واضح ، إذ ليس في ذكر الكتاب إشارة إلى أنه المصحف مورد النزاع ، وقد يكون هذا الكتاب هو غير المصحف المذكور المتنازع عليه بين الخاصة والعامة ، إذ لمولاتنا الصدّيقة الكبرى عليها السلام مصحفان غيبيان :

(المصحف الأول) : المصحف التكويني لمولاتنا الصدّيقة الكبرى فاطمة عليها السلام ، أنزله الله تعالى على الصدِّيقة الكبرى (صلى الله عليها) مكتوباً بالمدد الإلهي بواسطة جبرائيل وميكائيل وإسرافيل كما في صحيحة (دلائل الإمامة) للطبري بإسناده عن أبي بصير قال : سألتُ الإمام أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام عن مصحف فاطمة عليها السلام فقال عليه السلام : ﴿ **أُنزل عليها بعد موت أبيها** ﴾ قلت : ففيه شيء من القرآن؟ فقال عليه السلام : ﴿ **ما فيه شيء من القرآن** ﴾ قلت : فصفه لي ، قال عليه السلام : ﴿ **له دفتان من زبرجدتين على طول الورق وعرضه حمراوين** ﴾ قلت : جعلت فداك فصف لي ورقه ، قال عليه السلام : ﴿ **ورقه من در أبيض قيل له كن فكان** ﴾ قلت : جعلت فداك فما فيه؟ قال عليه السلام : ﴿ **فيه خبر ما كان، وخبر ما يكون إلى يوم القيامة، وفيه خبر سماء سماء وعدد ما في السماوات من الملائكة وغير ذلك وعدد كل من خلق الله مرسلاً وغير مرسل**

وأسماؤهم وأسماء من أرسل إليهم وأسماء من كذب ومن أجاب وأسماء جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين من الأولين والآخرين وأسماء البلدان وصفة كل بلد في شرق الأرض وغربها وعدد ما فيها من المؤمنين وعدد ما فيها من الكافرين وصفة كل من كذب وصفة القرون الأولى وقصصهم ومن وُلي من الطواغيت ومدة ملكهم وعددهم وأسماء الأئمة وصفتهم وما يملك كل واحدٍ واحدٍ وصفة كبرائهم وجميع من تردد في الأدوار ﴾. قلت: جعلت فداك وكم الأدوار؟ قال عليه السلام: ﴿ خمسون ألف عام وهي سبعة أدوار فيه أسماء جميع ما خلق الله وآجالهم وصفة أهل الجنة وعدد من يدخلها وعدد من يدخل النار وأسماء هؤلاء وهؤلاء وفيه علم القرآن كما أنزل وعلم التوراة كما أنزلت وعلم الإنجيل كما أنزل وعلم الزبور وعدد كل شجرة ومدرة في جميع البلاد ﴾ قال مولانا أبو جعفر عليه السلام: ﴿ ولما أراد الله تعالى أن ينزل عليها جبرائيل وميكائيل وإسرافيل أن يحملوه فينزلون به عليها وذلك في ليلة الجمعة من الثلث الثاني من الليل فهبطوا به وهي قائمة تصلي فما زالوا قياماً حتى قعدت ولما فرغت من صلاتها سلموا عليها وقالوا: السلام يقرئك السلام ووضعوا المصحف في حجرها فقالت: لله السلام ومنه السلام وإليه السلام وعليكم يا رسل الله السلام ثم عرجوا إلى السماء فما زالت من بعد صلاة الفجر

إلـى زوال الشـمس تقـرؤه حتـى أتـت علـى آخـره ولقـد كانـتعليها السلام **مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والإنس والطير والـوحش والأنبيـاء والملائكة** ﴾ قلـت: جعلـت فـداك فلمـن صـار ذلـك المصحف بعد مضيها؟ قـال عليه السلام: ﴿ **دفعته إلى أمير المؤمنين** عليه السلام **فلما مضى صار إلى الحسن** عليه السلام **ثم إلى الحسين** عليه السلام **ثم عند أهله حتى يدفعوه إلى صاحب هذا الأمر** عليه السلام ﴾ فقلـت: إن هـذا العلـم كـثير، قال عليه السلام: " **يا أبا محمد إن هذا الذي وصفته لك لفي ورقتين من أوله وما وصفت لك بعد ما في الورقة الثانية ولا تكلمت بحرف منه**".

إشارات هامّة حول الحديث الشريف:

لو نظر المؤمن بعين الاعتبار ما لمولاتنا الصدّيقة الكبرى (سلام الله عليها) من كرامات عند الله تعالى ـ كما يشهد لها هذا الحديث الشريف الّذي دلّ على أنّ الملائكة العِظام بقوا واقفين احتراماً وتعظيماً لمولاتهم الصدّيقة الكبرى عليها السلام التي على معرفتها دارت القرون الأولى ـ لرأى أنه ليس ثمة مخلوقٌ أفضل عند الله من الصدّيقة الطاهرة عليها السلام على الإطلاق، فلم نسمع في خبرٍ صحيحٍ أنّ الملائكة الكرّوبيّين وقفوا قياماً احتراماً لنبيٍّ كما فعلوا اتجاه مولاتهم الصدّيقة الطاهرة عليها السلام.

إنْ قيل لنا: إنّ الملائكة سجدت لأبيها آدم فكيف تدّعون أنهم لم يقفوا قياماً لأحد، فالسجود أعظم من القيام.

قلنا : إنما سجدوا لآدم – حسبما جاء في النصوص المتضافرة – إكراماً لسيّدنا محمّد وآله الأطهار الميامين صلوات الله عليهم أجمعين.

(المصحف الثاني) : مصحفٌ آخر بإملاء رسول الله – والمراد برسول الله هنا إنما هو جبرائيل عليه السلام وليس النبي الأكرم كما سوف نبيِّن – وخطّ الإمام عليّ عليه السلام ، كما يشير إلى ذلك خبر محمّد بن عبد الحميد عن محمّد بن عمرو ، عن حماد بن عثمان ، عن عمر بن يزيد ، قال : قلتُ للإمام أبي عبد الله عليه السلام : الذي أملى جبرائيل على عليّ عليه السلام أقرآن؟. قال عليه السلام : ﴿ **لا** ﴾.

تخليط البعض في فهمهم لمصطلح " رسول الله":

الأخبار التي تتحدّث عن المصحف الوارد فيها التعبير بـ" إملاء رسول الله " لا يُراد منها النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله حسبما توهّم كلٌّ من أثبت تلك الأخبار في الكتب المعدّة لذلك كمحمد حسين فضل الله وهاشم معروف الحسني في كتابه سيرة الأئمة عليهم السلام ، وإثباتهم لفظ "صلّى الله عليه وآله" بجنب كلمة رسول الله ، ظناً منهم أنّ لفظ رسول الله عند الإطلاق يستلزم دائماً كونه النبيّ الأكرم محمّداً عليه وآله السَّلام ، فأوجب ذلك التباساً على هؤلاء ، فخلطوا بين المصحفين فجعلوهما مصحفاً واحداً هو ما سمعته الصدّيقة الكبرى (صلى الله عليها) من أبيها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

من هنا استدرك العلامة المجلسي رحمه الله في (البحار[1]) على خبر محمّد بن مسلم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لأقوام كانوا يأتونه ويسألونه عمّا خلّف رسول الله ودفعه إلى عليّ عليه السلام، وعمّا خلّف عليّ عليه السلام ودفع إلى الحسن عليه السلام: ﴿ **ولقد خلّف رسول الله عندنا جلداً ما هو جلد جمال ولا جلد ثور ولا جلد بقرة إلا إهاب شاة فيها كل ما يحتاج إليه حتى أرش الخدش والظفر، وخلّفت فاطمة عليها السلام مصحفاً ما هو قرآن، ولكنه كلام من كلام الله أنزله عليها إملاء رسول الله وخطّ عليّ** ﴾ عليه السلام.

ثمّ عقّب العلامة المجلسي رحمه الله فقال: « **والمراد برسول الله جبرائيل** » عليه السلام؛ انتهى.

ولعلّ ما ورد في خبر ابن خنيس من وجود كتاب عند الإمام الصادق عليه السلام بقوله: ﴿ **ما من نبيٍّ ولا وصيّ ولا ملك إلا في كتاب عندي** ﴾، يُقصد به الصحيفة أو الجفر المختصّ بأمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

كما أنّ التعبير بـ ﴿ **إنّ عندي لكتابين** ﴾ الوارد في خبر إبن أُذينة قال: سُئِلَ الإمام الصادق عليه السلام عن محمّد بن عبد الله، فقال عليه السلام: ﴿ **إنّ عندي لكتابين، فيهما اسم كلّ نبي، وكلّ مَلِك يملك، لا والله، ما محمّد بن عبد الله في أحدهما** ﴾.

[1]: البحار ج٢٦ ص٤١ ح٧٣.

يُراد بالكتابين هما: مصحف مولاتنا الطاهرة الزكية الحوراء الإنسية فاطمة البتولعليهاالسلام، وصحيفة مولانا أمير المؤمنين عليّعليه‌السلام.

ولا يبعد وجود مصحف للصدّيقة فاطمةعليهاالسلام فيه حلال وحرام، نزل على رسول الله محمّدصلى‌الله‌عليه‌وآله ثمّ دوَّنته في كتاب، تماماً كما فعل أمير المؤمنينعليه‌السلام بالصحيفة والجامعة والجفر؛ وهذا المصحف هو ما رواه سلمة بن الخطاب؛ والله العالم.

وبهذا يمكن الجمع بين الرواية التي ادّعى المشكِّك كونها عدّة روايات بقوله: "**بعض الروايات**" وبين الروايات المتضافرة التي دلّت على أنّ المصحف عبارة عن نزول جبرائيل بالإخبارات التكوينيّة؛ تسليةً لغمّها وهمّها، وإبرازاً لفضلها وعلوّ شأنها، تماماً كما حصل لمريم بنت عمرانعليهاالسلام حيث كان يهبط جبرائيل عليها ويحدّثها.

وصفوة القول: إنّ للصدّيقةسيّدة نساء أهل الجنّة، ووليّة الله الكبرى فاطمةعليهاالسلام ثلاثة مصاحف:

أ. **المصحف الأوّل**: المصحف الّذي أنزله الله عليها، وحمله إليها جبرائيل وميكائيل وإسرافيل حسبما جاء في خبر (دلائل الإمامة)، وقد تقدّمت الإشارة إليه.

ب. **المصحف الثاني**: المصحف الّذي أملاه رسول الله جبرائيل على سيِّدة نساء العالمين عليها السلام وروحي فداها، وخطّه أسد الله الغالب مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بيده.

ج. **المصحف الثالث**: المصحف الّذي فيه الحلال والحرام والأحكام الشرعية الأخرى، وهذا المصحف هو المروي عن سلمة بن الخطاب والذي توهم البعض بأنه الوحيد للسيِّدة المطهرة مولاتنا فاطمة عليها السلام، أو قد يكون هذا المصحف أملاه أبوها على بعلها ثمّ ورثته منهما في حياتهما، من هنا وقع الالتباس على السيّد هاشم معروف الحسني وأمثاله عندما حصروا مصحف الصدّيقة بالأحكام الشرعيّة دون غيرها من الإخبارات التكوينيّة التي هبطت عليها مباشرةً من الملائكة الكرام، لذا أُطلِق عليها بأمرٍ من الله تعالى بأنها ﴿**محدَّثة**﴾ بصيغة اسم المفعول، لكونها محدَّثة وملهَمة من قِبَل ربّ العزّة جلّ جلاله.

حقيقة المصحف:

يتضح مما تقدَّم: أنّ الرواية التي أدرجها المشكِّك في القول الضعيف، مدَّعياً عدم ثبوتها بقوله إنَّ (**هناك قول بأنّ الزهراء عليها السلام، أرسل الله – وهو غير ثابت – إليها مَلَكاً بعد وفاة أبيها ليؤنسها ويحدثها بأمور العالَم، وكانت تكتب ذلك**)؛ غير مقتنع بها من الأساس، وذلك لأنّها عبارة عن قول ـ أي خبر واحد ـ فيه فضيلة للصدّيقة الطاهرة الزكيَّة (سلام الله عليها)، في حين

أن ما ادَّعاه ـ من كونه قولاً ـ مجافٍ للحق والحقيقة، إذ إن الرواية الكاشفة عن المصحف التكويني ليست خبراً واحداً، بل مضمونها أخبار متضافرة، وما ادّعاه من أنّ المصحف هو عبارة عما سمعته من الحلال والحرام من رسول الله وأنه في "**بعض الروايات**" كذب محض وخلاف الواقع، فليس أخباراً بل هو خبرٌ واحد رواه سلمة بن الخطاب، وهو خبر لا يوجب عِلْماً ولا عملاً، كما إنّ دعواه بأنّ رواية نزول جبرائيل عليها ضعيفة مدَّعياً في كتابه[1] بأنّ "**البعض يناقش في سندها**"، أيضاً هذا خلاف الواقع وتلفيقٌ ممنهج، وكذبٌ على أهل البيت عليهم السلام، كما سوف يأتيك في عرض النصوص المتواترة الدالّة على المِصحف التكويني؛ فثمةَ رواياتٌ متواترةٌ، وليس رواية واحدة فحسب، حسبما ادَّعى الملفِّق.

الأخبار الدالة على المصحف الفاطمي التكويني:

دلّت الأخبار المتواترة، وأكثرها صحيح سنداً، وكلها صحيحة ومعتبرة دلالةً؛ على أنّ مصحف مولاتنا الطاهرة الزكيَّة فاطمة عليها السلام هو عبارة عن نزول جبرائيل عليها بالإخبارات الكونيّة وما شابه ذلك، ولا علاقة للأحكام الشرعيّة فيه بوجهٍ على الإطلاق، وإليكم طائفة من هذه الأخبار، لا سيّما ما رواه الشيخ الكليني أعلى الله مقامه في كتابه (أُصول الكافي) باب في ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف الصدّيقة فاطمة عليها السلام، وكلّها

(1) ـ (حوار مع السيد صفحة ٣١٨).

أخبارٌ صحيحة وموثقة، وموافقة للكتاب الكريم وأحكام العقل السليم، بل جلّ ما فيه صحيح ومعتمَد، وهي الآتية:

(١) عدّةٌ من أصحابنا عن أحمد بن محمّد عن عبد اللّه بن الحجّال عن أحمد بن عمر الحلبيّ عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد اللّه عليه السلام فقلت له: جعلت فداك إني أسألك عن مسألة هاهنا أحدٌ يسمع كلامي قال: فرفع أبو عبد اللّه عليه السلام ستراً بينه وبين بيت آخر فاطّلع فيه ثمّ قال: ﴿**يا أبا محمّد سل عمّا بدا لك**﴾ قال: قلت: جعلت فداك إنّ شيعتك يتحدّثون أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله علّم عليّاً عليه السلام باباً يفتح له منه ألف باب قال: فقال عليه السلام: ﴿ **يا أبا محمّد علّم رسول اللّه صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام ألف باب يفتح من كلّ باب ألف باب** ﴾ قال: قلت: هذا واللّه العلم، قال: فنكت ساعة في الأرض ثمّ قال عليه السلام: ﴿ **إنّه لعلمٌ وما هو بذاك** ﴾ قال: ثمّ قال عليه السلام: ﴿ **يا أبا محمّد! وإنّ عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة**﴾ قال: قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟ قال عليه السلام: ﴿ **صحيفةٌ طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول اللّه صلى الله عليه وآله وإملائه من فلقِ فِيهِ وخطّ عليّ بيمينه فيها كلّ حلال وحرام وكلّ شيء يحتاج النّاس إليه حتى الأرش في الخدش** ﴾ وضرب بيده إليّ فقال عليه السلام: ﴿ **تأذن لي يا أبا محمّد** ﴾ قال: قلت: جعلت فداك إنّما أنا لك فأصنع ما شئت قال: فغمزني بيده وقال عليه السلام: ﴿ **حتى أرش هذا كأنّه مغضبٌ** ﴾ قال: قلت:

هذا واللّه العلم قال عليه السلام : ﴿ **إنه لعلمٌ وليس بذاك** ﴾ ثمّ سكت ساعة ثمّ قال عليه السلام : ﴿ **وإنّ عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر** ﴾ قال: قلت: وما الجفر؟ قال عليه السلام : ﴿ **وعاءٌ من أدم فيه علم النّبيّين والوصيّين وعلم العلماء الّذين مضوا من بني إسرائيل** ﴾ قال: قلت: إنّ هذا هو العلم قال عليه السلام : ﴿ **إنه لعلمٌ وليس بذاك** ﴾ ثمّ سكت ساعة ثمّ قال عليه السلام : ﴿ **وإنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام** ﴾ قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال عليه السلام : ﴿ **مصحفٌ فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات واللّه ما فيه من قرآنكم حرفٌ واحدٌ** ﴾ قال: قلت: هذا واللّه العلم قال عليه السلام : ﴿ **إنه لعلمٌ وما هو بذاك** ﴾ ثمّ سكت ساعة ثمّ قال عليه السلام : ﴿ **إنّ عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائنٌ إلى أن تقوم السّاعة** ﴾ قال: قلت: جعلت فداك هذا واللّه العلم قال عليه السلام : ﴿**إنه لعلمٌ وليس بذاك** ﴾ قال: قلت: جعلت فداك فأيّ شيء العلم قال عليه السلام : ﴿ **ما يحدث باللّيل والنّهار الأمر من بعد الأمر والشّيء بعد الشّيء إلى يوم القيامة** ﴾.

(٢) عدّةٌ من أصحابنا عن أحمد بن محمّد عن عمر بن عبد العزيز عن حمّاد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: ﴿ **تظهر الزّنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة وذلك أني نظرت في مصحف فاطمة عليها السلام** ﴾ قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال عليه السلام : ﴿ **إنّ اللّه**

تعالى لمّا قبض نبيّه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا اللّه عزّ وجلّ فأرسل اللّه إليها ملكا يسلّي غمّها ويحدّثها فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصّوت قولي لي فأعلمته بذلك فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كلّ ما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً ﴾ قال: ثمّ قال: ﴿ **أما إنه ليس فيه شيءٌ من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون** ﴾.

تنبيه هام:

ما ذكره المحشّي على الخبر في (أصول الكافي) من أنّ السّبب في شكايتها لّما سمعته من جبرائيل هو عدم حفظها أو رعبها من المَلَك حال وحدتها به وانفرادها بصحبته يُعتبر تجاسراً على مقام الصدّيقة الكبرى عليها السلام وافتراءاً على الصدّيقة الكبرى وتقصيراً في البحث عمّا يتناسب وعصمتها وجلالة مقامها المقدّس عليها السلام.

(٣) وفي حسنة أو موثّقة الحسين بن أبي العلاء قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: ﴿ **إنّ عندي الجفر الأبيض** ﴾ قال: قلت: فأيّ شيء فيه؟ قال عليه السلام: ﴿ **زبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم عليه السلام والحلال والحرام ومصحف فاطمة ما أزعم أنّ فيه قرآناً وفيه ما يحتاج النّاس إلينا ولا نحتاج إلى أحد حتى فيه الجلدة ونصف الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدش وعندي الجفر الأحمر** ﴾

قال: قلت: وأيّ شيء في الجفر الأحمر؟ قال عليه السلام: ﴿ **السّلاح وذلك إنّما يفتح للدّم يفتحه صاحب السّيف للقتل** ﴾، فقال له عبد اللّه بن أبي يعفور: أصلحك اللّه أيعرف هذا بنو الحسن؟ فقال عليه السلام: ﴿ **إي واللّه كما يعرفون اللّيل أنّه ليلٌ والنّهار أنّه نهارٌ ولكنّهم يحملهم الحسد وطلب الدّنيا على الجحود والإنكار ولو طلبوا الحقّ بالحقّ لكان خيراً لهم** ﴾.

تنبيه آخر:

الضمير في قوله: ﴿ **فيه** ﴾ المتّصل بقوله ﴿ **ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحدٍ حتى فيه الجلدة** ﴾؛ راجعٌ إلى الجفر لا إلى المصحف حسبما توهّمه بعضٌ، وذلك لوجود أخبارٍ دالة على أن مصحف الصّديقة الكبرى فاطمة الزهراء (صلى الله عليها) ليس قرآناً ولا يوجد فيه شيءٌ من الحلال والحرام وإنّما إخبارات غيبيّة وحوادث زمنيّة وما شابه ذلك.

(إنْ قيل لنا): أليست الإخبارات الغيبيّة والحوادث الزمنيّة داخلةً في عناوين الحلال والحرام، فكيف تقولون بأنّ مصحفها لا يشمل الحلال والحرام؟

(قلنا لهم): إنّ المراد بقوله لا يوجد فيه شيءٌ من الحلال والحرام بعنوانه الأوّلي، أمّا العنون الثانوي الطّارىء على الموضوعات فلا بُدَّ فيه من أن يتّصف الموضوع بأحد التكاليف الشّرعيّة الأربعة، دون المُباح الّذي قد يتّصف بحكمٍ وقد لا يتّصف، هذا إذا قلنا إنَّ المباح ليس من التكاليف

الشّرعيّة المقرّرة، أمّا لو قلنا بإنَّه كذلك، فيكون ما في المصحف هو عبارة عن موضوعاتٍ تتعلّق بأحكامٍ شرعيّة أحدها المُباح، فيكون المراد من نفي وجود حلالٍ وحرام فيه بالقصد الأوّلي الذي ذكرناه، أو يُراد منه نفي نزول حلالٍ وحرام بواسطة الملك على الصّدّيقة الكبرى (صلى الله عليها) لأنّ ذلك مختصٌّ برسول الله صلى الله عليه وآله.

والإخبارات الغيبيّة الموجودة في المصحف هي تماماً كالإخبارات الغيبيّة الّتي تتعلّق بالحوادث الكونيّة إلى يوم القيامة والتي صدرت من أبيها وبعلها وبنيها عليهم السلام.

(٤) وفي صحيحة محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد عن ابن محبوب عن ابن رئاب عن أبي عبيدة قال: سأل أبا عبد اللّه عليه السلام بعضُ أصحابنا عن الجفر، فقال عليه السلام: ﴿ **هو جلد ثور مملوءٌ علماً** ﴾ قال: له فالجامعة، قال عليه السلام: ﴿ **تلك صحيفةٌ طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم مثل فخذ الفالج فيها كلّ ما يحتاج النّاس إليه وليس من قضيّة إلا وهي فيها حتى أرش الخدش** ﴾. قال: فمصحف فاطمة عليها السلام، قال: فسكت طويلاً ثمّ قال عليه السلام: ﴿ **إنّكم لتبحثون عمّا تريدون وعمّا لا تريدون إنّ فاطمة مكثت بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله خمسة وسبعينَ يوماً وكان دخلها حزنٌ شديدٌ على أبيها وكان جبرائيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيّب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون**

بعدها في ذرّيّتها وكان عليٌّ عليه السلام يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة عليها السلام ﴾.

(٥) وفي موثّقة عبد الملك بن أعين قال لأبي عبد اللّه عليه السلام إنّ الزّيديّة والمعتزلة قد أطافوا بمحمّد بن عبد اللّه فهل له سلطانٌ؟ فقال عليه السلام : ﴿ **واللّه إنّ عندي لكتابين فيهما تسمية كلّ نبيّ وكلّ ملك يملك الأرض، لا واللّه ما محمّد بن عبد اللّه في واحد منهما** ﴾.

تنبيه:

المراد من الكتابين في الصحيفة المتقدّمة هو ما أشرنا إليه سابقاً من أنه صحيفة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ـ أي الجفر ـ وصحيفة الصدّيقة الطاهرة المتعلّقة بالحوادث ـ أي المصحف التكويني ـ.

(٦) موثّقة فضيل بن سكّرة قال: دخلت على أبي عبد اللّه عليه السلام فقال: ﴿**يا فضيل أتدري في أيّ شيء كنت أنظر قبيل**﴾ قال: قلت: لا، قال عليه السلام : ﴿ **كنت أنظر في كتاب فاطمة عليها السلام ليس من ملك يملك الأرض إلا وهو مكتوبٌ فيه باسمه واسم أبيه وما وجدت لولد الحسن فيه شيئاً** ﴾.

(٧) ما رواه الطبري في صحيحة أبي بصير في خبر مصحف الصديقة، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام عن مصحف فاطمة؟ فقال عليه السلام : ﴿ **أُنزل عليها بعد موت أبيها** ﴾، قلت: ففيه شيءٌ من

القرآن؟ فقال: ﴿ **ما فيه شيءٌ من القرآن** ﴾، قلت: فصفه لي، فقال: ﴿ **له دفّتان من زبرجدتين على طول الورق، وعرضه حمراوين** ﴾، قلت جعلت فداك: فصف لي ورقه؟ قال عليه السلام: ﴿ **ورقه من درٍّ أبيض قيل له كُن فكان** ﴾، قلت: جعلت فداك: فما فيه؟ قال: ﴿ **فيه خبر ما كان وخبر ما يكون إلى يوم القيامة...** ﴾. والخبر طويل قد أوردناه سابقاً، فراجع.

ملاحظة: يُستفاد من هذا الحديث الشريف أن لمولاتنا فاطمة عليها السلام مصحفاً نزل من عند الله تعالى، مكتوباً على صحيفة من دُر، وهو غير المصحف الذي كتبه أمير المؤمنين عليه السلام بيده الشريفة، ويشهد لما قلنا أمران:

أحدهما: إنَّه كتابٌ، أوراقه من دُر، ما يعني أنه كان مكتوباً على هذا الدّر حين نزوله، لا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كتبه بيده الشريفة.

ثانيهما: إنَّ الملائكة الكرّوبيين الثلاثة: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، ملوك العلم والحياة، نزلوا إليها ليهدوها من الله عزّ اسمه هذا الكتاب الدّري.

وأمّا الذي أملاه جبرائيل وكتبه أمير المؤمنين عليه السلام فيختلف عن الكتاب المتقدّم؛ لأن للصّدّيقة الطاهرة صحفاً كثيرة حسبما أشرنا سابقاً، ولما رواه الصفّار بإسناده عن محمد بن حسان ويعقوب بن إسحاق عن أبي عمران الأرمني عن محمد بن علي بن أسباط عن يعقوب بن سالم عن أبي الحسن

العبدي عن علي بن ميسرة عن أبي أراكة قال: كنا مع عليّ بمسكن فحدثنا أن عليّاً عليه السلام ورَثَ من رسولِ الله السيفَ، وبعضٌ يقول: البغلةَ وبعض يقول: ورث صحيفةً في حمائل السيف، إذ خرج عليٌّ عليه السلام ونحن في حديثه، فقال عليه السلام: ﴿ **أيم الله لو أنبسط ويؤذن لي لحدّثتكم حتى يحول الحول لا أعيد حرفاً، وأيم الله إن عندي لصحفاً كثيرة قطائع رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته وإن فيها لصحيفة يقال له العبيطة وما ورد على العرب أشد عليهم منها وإن فيها لستين قبيلة من العرب مبهرجة ما لها في دين الله من نصيب** ﴾.

ولما روي عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن سيف العميرة عن أبي بكر الحضرمي عن رجل من بني حنيفة قال: كنت مع عمّي فدخل على علي بن الحسين عليهما السلام فرأى بين يديه صحايف ينظر فيها، فقال له: أيّ شيءٍ هذه الصحف جُعلت فداك؟ قال: ﴿ **هذا ديوان شيعتنا** ﴾ قال: أفتأذن أطلب إسمي فيه، قال عليه السلام: ﴿ **نعم** ﴾، فقال: فإنّي لست أقرأ وابن أخي على الباب فتأذن له فيدخل حتى يقرأ؟ قال عليه السلام: ﴿ **نعم** ﴾، فأدخلني عمّي فنظرت في الكتاب فأوّل شيءٍ هجمت عليه إسمي فقلت: إسمي وربّ الكعبة، قال: ويحك فأين أنا، فجزت بخمسة أسماء أو ستّة ثمّ وجدت اسم عمّي...

(٨) ما رواه المجلسي عن (الاحتجاج والإرشاد) عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام قال: ﴿ **علمنا غابر ومزبور ونكت في القلوب ونقر في الأسماع وإن عندنا الجفر الأحمر والجفر الأبيض ومصحف فاطمة عليها السلام وعندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج الناس إليه** ﴾، فسُئل عن تفسير هذا الكلام فقال عليه السلام: ﴿ **أما الغابر فالعلم بما يكون، وأما المزبور فالعلم بما كان، وأما النكت في القلوب فهو الإلهام، وأما النقر في الأسماع فحديث الملائكة عليهم السلام نسمع كلامهم ولا نرى أشخاصهم، وأما الجفر الأحمر فوعاءٌ فيه سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله ولن يخرج حتى يقوم قائمنا أهل البيت، وأما الجفر الأبيض فوعاء فيه توراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وكتب الله الأولى، وأما مصحف فاطمة عليها السلام ففيه ما يكون من حادث وأسماء من يملك إلى أن تقوم الساعة، وأما الجامعة فهو كتاب طوله سبعون ذراعاً إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله من فلق فيه وخط علي بن أبي طالب عليهما السلام بيده فيه والله جميع ما يحتاج إليه الناس إلى يوم القيامة حتى أن فيه أرش الخدش والجلدة ونصف الجلدة** ﴾.

تنبيه هام:

قوله: ﴿ **نسمع كلامهم** ـ أي الملائكة ـ **ولا نرى أشخاصهم** ﴾ يتعارض مع الأخبار الصحيحة التي دلّت على أنهم يرون الملائكة؛ لأنّهم

مختلف الملائكة، فلا بدّ من تأويل هذا المقطع على صحة فرض صدوره عن المعصوم عليه السلام، بما يتناسب والإطلاقات الدالّة على رؤيتهم للملائكة، وذلك من مقتضيات هيمنتهم وسلطتهم الإلهيّة وولايتهم التكوينية على عامة المخلوقات؛ أو أنْ يقال أنه لا تلازُم بين السماع والرؤية، إذ عدم الرؤية ليس نقصاً في قابليّاتهم، لأنّ الرؤيّة قلبيّة، فلا داعي للرؤية البصرية ما داموا عارفين بحقائق الملائكة وكينونتهم، والأوّل هو الأرجح.

(٩) في (الكافي) عن سهل عن محمد بن سليمان عن أبيه عن أبي بصير قال: ﴿ **بينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالساً إذ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إن فيك شبهاً من عيسى بن مريم لولا أن تقول فيك طوائف من أُمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك قولاً لا تمر بملأٍ من النّاس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك يلتمسون بذلك البركة قال: فغضب الأعرابيان والمغيرة بن شعبة وعدة من قريش معهم فقالوا: ما رضي أن يضرب لابن عمه مثلاً إلا عيسى بن مريم فأنزل الله على نبيّه فقال:** ﴿ ۞وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم... ﴾ **يعني من بني هاشم** ﴿ ..مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ **قال: فغضب الحارث بن عمرو**

الفهري فقال: اللّهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك أن بني هاشم يتوارثون هرقلاً بعد هرقل فأمطر علينا حجارةً من السّماء أو ائتنا بعذاب أليم، فأنزل الله عليه مقالة الحارث ونزلت هذه الآية: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ **ثم قال ﷺ: يا أبا عمرو إمّا تبت وإما رحلت، فقال: يا محمد بل تجعل لسائر قريش شيئاً مما في يديك فقد ذهبت بنو هاشم بمكرمة العرب والعجم، فقال له النبي ﷺ: ليس ذلك إلي ذلك إلى الله تبارك وتعالى، فقال: يا محمد قلبي ما يتابعني على التوبة ولكن أرحل عنك! فدعا براحلته فركبها فلما سار بظهر المدينة أتته جندلة فرضت هامته ثم أتى الوحي إلى النبي ﷺ فقال:** ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴿١﴾ لِّلۡكَٰفِرِينَ... ﴾ **بولاية علي** ﴿ ..لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴿٣﴾ ﴾ قال: قلت: جُعلت فداك إنا لا نقرؤها هكذا فقال: ﴿**هكذا نزل بها جبرائيل على محمد ﷺ وهكذا هو والله مثبتٌ في مصحف فاطمة عليها السلام، فقال رسول الله ﷺ لمن حوله من المنافقين انطلقوا إلى صاحبكم فقد أتاه ما استفتح به قال: الله عز وجل واستفتحوا وخاب كلّ جبّار عنيد** ﴾.

(١٠) وعن ابن الوليد عن ابن أبان عن الحسين بن سعيد عن القاسم بن محمّد عن عبد الصّمد بن بشير عن فضيل سكّرة قال: دخلت على أبي عبد

الله عليه السلام فقال: « **يا فضيل أتدري في أيّ شيء كنت أنظر؟** » فقلت: لا، قال عليه السلام: « **كنت أنظر في كتاب فاطمة عليها السلام فليس ملك يملك إلا وهو باسمه واسم أبيه، فما وجدت لولد الحسن عليه السلام فيه شيئاً** ».

(١١) وعن محمد بن العباس عن محمد بن خالد عن الحسن بن القاسم عن عمر بن الحسن عن آدم بن حماد عن حسين بن محمد عن سفيان مثله وقال: أيضا حدثنا أحمد بن القاسم عن أحمد ابن محمد السّيّاري عن محمد بن خالد عن محمد بن سليمان عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه تلا هذه الآية: « ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ① ﴾ **للكافرين بولاية علي** ﴿..لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ② ﴾ ثم قال عليه السلام: **هكذا هي في مصحف فاطمة عليها السلام** ».

وروى البرقي عن محمد بن سليمان عن أبيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: « **هكذا والله أنزلها جبرائيل على النبي وهكذا هو مثبت في مصحف فاطمة عليها السلام** ».

(١٢) وفي رواية الأعمش قال عليه السلام: « **ألواح موسى عندنا وعصا موسى عندنا ونحن ورثة النبيين،** وقال عليه السلام: **علمنا غابر ومزبور ونكتٌ في القلوب، ونقرٌ في الأسماع وإنّ عندنا الجفر الأحمر والجفر الأبيض ومصحف فاطمة، وإنّ عندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج النّاس إليه** ».

(١٣) سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن محمد بن عبد الله بن الحسن فقال عليه السلام : ﴿ **ما من نبي ولا وصي ولا ملك إلا وهو في كتاب عندي** - يعني مصحف فاطمة - **والله ما لمحمد بن عبد الله فيه اسمٌ**، وأنشأ الصادق عليه السلام يقول:

وفينا يقيناً يعد الوفاء وفينا تفرخ أفراخه

رأيت الوفاء يزين الرجال كما زين العذق شمراخه ﴾.

(١٤) روى الصّفار بإسناده إلى أحمد بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه الحسن بن علي بن فضال عن أبي بكير وأحمد بن محمد عن محمد بن عبد الملك قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام نحواً من ستّين رجلاً وهو وسطنا فجاء عبد الخالق بن عبد ربّه فقال له: كنت مع إبراهيم بن محمّد جالساً فذكروا أنك تقول إن عندنا كتاب علي عليه السلام فقال: ﴿ **لا والله ما ترك علي كتاباً وإن كان ترك علي كتاباً ما هو إلا إهابين ولوددت أنه عند غلامي هذا فما أبالي عليه** ﴾ قال: فجلس أبو عبد الله عليه السلام ثم أقبل علينا فقال: ﴿ **ما هو والله كما يقولون إنهما جفران مكتوب فيهما لا والله إنهما لإهابان عليهما أصوافهما وأشعارهما مدحوسين كتباً في أحدهما وفي الآخر سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وعندنا والله صحيفة طولها سبعون ذراعاً ما خلق الله من حلال وحرام إلا وهو فيها حتى إن فيها أرش الخدش**

وقام بظفرة على ذراعه فخطّ به وعندنا مصحف أما والله ما هو بالقرآن ﴾.

(١٥) وبإسناده إلى حدثنا محمد بن الحسين عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن حماد بن عثمان عن علي بن سعيد قال: كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده محمد بن عبد الله بن علي إلى جنبه جالساً وفي المجلس عبد الملك بن أعين ومحمد الطيار وشهاب بن عبد ربه، فقال رجل من أصحابنا: جعلت فداك إن عبد الله بن الحسن يقول لنا في هذا الأمر ما ليس لغيرنا، فقال أبو عبد الله عليه السلام بعد كلام: ﴿ **أما تعجبون من عبد الله يزعم أن أباه علياً لم يكن إماماً ويقول إنه ليس عندنا علم، وصدق والله ما عنده علم، ولكن والله** - وأهوى بيده إلى صدره - **إنّ عندنا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسيفه ودرعه وعندنا والله مصحف فاطمة عليها السلام ما فيه آية من كتاب الله وإنه لإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطّه علي عليه السلام بيده وعندنا والله الجفر وما يدرون ما هو مسْكُ شاة أو مسْكُ بعير**، ثم أقبل إلينا وقال عليه السلام: **أبشروا أما ترضون أنكم تجيئون يوم القيامة آخذين بحجزة علي عليه السلام وعلي آخذ بحجزة رسول الله صلى الله عليه وآله** ﴾.

ملاحظة مكررة: ورد في الحديث المتقدّم أنّ مصحف مولاتنا الصدّيقة الكبرى فاطمة عليها السلام من إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطّه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بيده، فأضاف النسّاخ إلى كلمة رسول الله ذكر الصّلاة عليه وعلى

آله ، ظنّاً منهم أنه لا بدّ من إضافة الصّلاة عليه وعلى آله عند إطلاق كلمة رسول الله ، وذلك للإنصراف الذهني ، وهو أشتباه محض ، إذ لو كان المصحف إملاء النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله ، لكانت مولاتنا الزهراء هي الكاتب لا زوجها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، اللهمّ إلا إذا قلنا إنّ المراد من المصحف هنا غير المصحف التكويني الّذي سمعَتْه من جبرائيل ؛ أي : أنّ ثمّة مصحفاً آخر كان عندها حسبما فصّلنا سابقاً ؛ أو أنْ يكون هذا المصحف هو حلال وحرام ، أملاه أبوها على بعلها ، وهي ورثته منهما في حياتهما عليهما السلام .

(١٦) وعن عبّاد بن سليمان عن سعد بن سعد عن علي بن أبي حمزة عن العبد الصالح عليه السلام قال : ﴿ **عندي مصحف فاطمة ليس فيه شيء من القرآن** ﴾.

إشْكَالٌ حولَ التبادرِ والانصراف:

(إنْ قيلَ لنا): إنّ المراد من المصحف الّذي كان عند الإمام الصادق عليه السلام هو ما سمعَته الصدّيقة الطاهرة عليها السلام من أحكامٍ شرعيّة من أبيها ، وذلك للتبادر والانصراف.

(قلنا): عند إطلاق كلمة مصحف مضافاً إلى الصدّيقة الطاهرة عليها السلام لا يصحّ الحمل على التبادر والانصراف المذكورَيْنِ ، وذلك لوجودِ قرائنَ كثيرة من الأخبار توضّح المراد منه وهو أنه عبارةٌ عن إخبارات جبرائيل لها عليها السلام ، ومجرد وجود رواية تدل على المدَّعى لا يوجب الانصراف عن

الأخبار المتواترة الدالّة على الخلاف، كما أنّ وجودَ روايةٍ واحدةٍ لا يوجب انصرافاً ذهنياً إليها في مقابل أخبار متعدّدة تعاكسها.

(١٧) عن أحمد بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه الحسن عن أبي المعزى عن عنبسة بن مصعب قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام فأثنى عليه بعض القوم حتى كان من قوله وأخزى الله عدوك من الجن والإنس، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ **لقد كنا وعدونا كثير ولقد أمسينا وما أحد أعدى لنا من ذوي قراباتنا ومن ينتحل حبنا أنهم ليكذبون علينا في الجفر**﴾ قال: قلت: أصلحك الله وما الجفر؟ قال عليه السلام: ﴿ **هو والله مسك ماعزٍ ومسك ضأن ينطق أحدهما بصاحبه، فيه سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله والكتب ومصحف فاطمة، أما والله ما أزعم أنه قرآن** ﴾.

(١٨) وعن أحمد بن موسى عن الحسن بن علي بن النعمان عن أبي زكريا يحيى عن عمرو الزيات عن أبان وعبد الله بن بكير قال: لا أعلمه إلا ثعلبة أو علاء بن رزين عن محمد بن مسلم عن أحدهما: أنه لم يكن إمام حتى خرج وأشهر سيفه وإنما تصلح في قريش يعني الإمامة قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام لأقوام كانوا يأتونه ويسألونه عما خلف رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام وعما خلف علي إلى الحسن عليه السلام: ﴿ **ولقد خلف رسول الله صلى الله عليه وآله عندنا جلداً ما هو جلد جمال ولا جلد ثور ولا جلد بقرة إلا إهاب شاة فيها كل ما يحتاج إليه حتى أرش الخدش والظفر وخلفت**

فاطمة عليها السلام مصحفاً ما هو قرآن ولكنه كلام من كلام الله أنزل عليها إملاء رسول الله وخط علي عليه السلام ﴾.

(١٩) عن يعقوب بن يزيد ومحمد بن الحسين عن محمد بن أبي عمير عن عمر بن أذينة عن علي بن سعد قال: كنت قاعداً عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده أناس من أصحابنا فقال له معلى بن خنيس: جعلت فداك ما لقيت من الحسن بن الحسن؟ ثم قال: له الطيار جعلت فداك: بينا أنا أمشي في بعض السكك إذ لقيت محمد بن عبد الله بن الحسن على حمار حوله أناس من الزيدية فقال لي: أيها الرجل إليَّ إليَّ فإنَّ رسول الله قال: من صلى صلواتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله من شاء أقام ومن شاء ظعن فقلت: له اتقِ الله ولا يغرّنّك هؤلاء الذين حولك فقال أبو عبد الله للطيار: ﴿ **ولم تقل له غير هذا؟** ﴾ قال: لا، قال: ﴿ **فهلا قلت له: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ذلك والمسلمون مقرون له بالطاعة ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ووقع الأختلاف أنقطع ذلك** ﴾، فقال محمد بن عبد الله بن علي: العجب لعبد الله بن الحسن أنه يهزأ ويقول هذا في جفركم الذي تدعون فغضب أبو عبد الله عليه السلام فقال: ﴿ **العجب لعبد الله بن الحسن يقول ليس فينا إمام صدق ما هو بإمام ولا كان أبوه إماماً ويزعم أن علي بن أبي طالب عليهما السلام لم يكن إماماً ويرد ذلك، وأما قوله في الجفر فإنما هو جلد ثور مذبوح كالجراب فيه**

كتب وعلم ما يحتاج الناس إليه إلى يوم القيامة من حلال وحرام إملاء رسول الله ﷺ وخطَّه عليّ عليه السلام بيده وفيه مصحف فاطمة ما فيه آية من القرآن، وإن عندي خاتم رسول الله ﷺ ودرعه وسيفه ولواءه وعندي الجفر على رغم أنف من زعم ﴾.

(٢٠) وعن السندي بن محمد عن أبان بن عثمان عن علي بن الحسين عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿ **إن عبد الله بن الحسن يزعم أنه ليس عنده من العلم إلا ما عند الناس** فقال: **صدق والله عبد الله بن الحسن ما عنده من العلم إلا ما عند الناس ولكن عندنا والله الجامعة فيها الحلال والحرام وعندنا الجفر أيدري عبد الله بن الحسن ما الجفر؟ مسك معز أم مسك شاة؟ وعندنا مصحف فاطمة** عليها السلام**، أما والله ما فيه حرف من القرآن ولكنه إملاء رسول الله** - أي جبرائيل عليه السلام - **وخط عليّ كيف يصنع عبد الله إذا جاء الناس من كل أفق ويسألونه؟**﴾.

(٢١) وعن أحمد بن محمد عن النضر بن سويد عن هشام بن سالم عن سليمان بن خالد قال: سمعته عليه السلام يقول: ﴿ **إن في الجفر الذي يذكرونه لما يسوؤهم أنهم لا يقولون الحق وإن الحق لفيه فليخرجوا قضايا عليّ وفرائضه إن كانوا صادقين وسلوهم عن الخالات والعمات وليخرجوا مصحفاً فيه وصية فاطمة** عليها السلام **وسلاح رسول الله قال**

الله تعالى: ﴿ ..ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤ ﴾ ﴾.

ملاحظة: الضمير في قوله عليه السلام: ﴿ **وليخرجوا مصحفاً فيه وصيّة فاطمة وسلاح رسول الله** ﴾ لا يصحّ إرجاعه إلى المصحف؛ إذ كيف يستوعبُ المصحفُ ذا الحجم الصغير، سلاحاً لرسول الله وهو كثير يشتمل على الرماح والسيوف والمغافر و.. و..، فلا بدّ إذاً من حَمْلِهِ على الجفر الّذي هو عبارة عن جلدٍ كبيرٍ وُضِعَ فيه مصحفُ الصدّيقة الكبرى وأسلحة رسول الله صلى الله عليه وآله، ويشهد لما قلنا ما سيأتي في حديث ابن أُذينة رقم (٢٤)؛ فلاحظ.

(٢٢) وعن محمد بن عبد الجبار عن ابن فضال عن حماد بن عثمان قال: حدثني أبو بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿ **ما مات أبو جعفر** عليه السلام **حتى قبض مصحف فاطمة** عليها السلام ﴾.

(٢٣) وعن عبد الله بن جعفر عن موسى بن جعفر عن الوشاء عن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿ **مصحف فاطمة ما فيه شيء من كتاب الله وإنما هو شيء ألقي عليها بعد موت أبيها صلّى الله عليهما** ﴾.

(٢٤) وعن عمران بن موسى عن محمد بن الحسين عن عبيس بن هشام عن محمد بن أبي حمزة وأحمد بن عايذ عن ابن أذينة عن علي بن سعيد

قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال له محمد بن عبد الله بن علي: تعجب لعبد الله بن الحسن يهزأ أو يقول هذا جفركم الذين تدعون، فغضب أبو عبد الله عليه السلام فقال: ﴿ **العجب لعبد الله يقول ليس فينا إمام صدق وليس هو بإمام وما كان أبوه بإمام يزعم أن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام لم يكن إماماً وكذب وأما قوله في الجفر فإنه جلد ثور مدبوغ كالجراب فيه كتب وعلم ما يحتاج الناس إليه إلى يوم القيامة من حلال وحرام إملاء رسول الله بخط علي عليه السلام وفيه مصحف فاطمة ما فيه آية من القرآن وإن عندي لخاتم رسول الله ودرعه وسيفه ولواه وعندي الجفر على رغم أنف من زعم** ﴾.

(٢٥) وعن محمد بن إسماعيل عن ابن أبي نجران عن محمد بن سنان عن داود بن سرحان ويحيى بن معمر وعلي بن أبي حمزة عن الوليد بن صبيح قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ **يا وليد إني نظرت في مصحف فاطمة عليها السلام فأُسْأَل فلم أجد لبني فلان فيها إلا كغبار النعل** ﴾.

(٢٦) عن محمد بن الحسين عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن أبان بن عثمان عن علي بن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قيل له: إن عبد الله بن الحسن يزعم أنه ليس عنده من العلم إلا ما عند الناس فقال عليه السلام: ﴿ **صدق والله ما عنده من العلم إلا ما عند الناس ولكن عندنا والله الجامعة فيها الحلال والحرام وعندنا الجفر أفيدري عبد**

الله أمسك بعير أو مسك شاة؟ وعندنا مصحف فاطمة عليها السلام**، أما والله ما فيه حرف من القرآن ولكنه إملاء رسول الله** [صلى الله عليه وآله] **وخطّ عليّ** عليه السلام **كيف يصنع عبد الله إذا جاءه الناس من كل فن** [أفق] **يسألونه أما ترضون أن تكونوا يوم القيامة آخذين بحجزتنا ونحن آخذون بحجزة نبينا ونبينا أخذ بحجزة ربه** ﴾.

(٢٧) عن يعقوب بن يزيد عن ابن أبي عمير عن عمر بن أذينة عن جماعة سمعوا أبا عبد الله عليه السلام يقول وقد سئل عن محمد فقال عليه السلام: ﴿ **إن عندي لكتابين فيهما اسم كل نبي وكل ملك يملك والله ما محمد بن عبد الله في أحدهما** ﴾.

(٢٨) عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن القاسم بن محمد عن عبد الصمد بن بشير عن فضيل سكرة قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿ **يا فضيل أتدري في أي شيء كنت أنظر فيه قبل؟** ﴾ قال: قلت: لا، قال عليه السلام: ﴿ **كنت أنظر في كتاب فاطمة** عليها السلام **فليس ملك يملك إلا وفيه مكتوب اسمه واسم أبيه ما وجدت لولد الحسن فيه شيء** ﴾.

(٢٩) عن علي بن إسماعيل عن صفوان بن يحيى عن العيص بن القاسم عن معلى بن خنيس قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ **ما من نبي ولا وصي**

ولا ملك إلا في كتاب عندي، لا والله ما لمحمد بن عبد الله بن الحسن فيه اسم ﴾.

(٣٠) عن يعقوب بن يزيد عن محمد بن أبي عمير عن محمد بن عمران عن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿ **إن عندي لصحيفة فيها اسم الملوك ما لولد الحسن فيها شيء** ﴾.

ملاحظة: المراد من الصحيفة هنا هي المصحف التكويني وليس الصحيفة التي فيها الحلال والحرام، وذلك بقرينة أنّ فيها أسماء الملوك ومَن يحكم من الحكّام؛ فالمصحف إذا أُطلِقَ من دون قرينة "الحلال والحرام" يُحْمَل على الإخبارات الغيبيّة، وأنه مما سمعَته عليها السلام من جبرائيل عليه السلام.

(٣١) عن محمد بن إسماعيل عن عبد الرحمن بن أبي نجران عن ابن سنان، عن داود بن سرحان ويحيى بن معمّر وعليّ بن أبي حمزة عن الوليد بن صبيح قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ **يا وليد إني نظرت في مصحف فاطمة** عليها السلام **فلم أجد لبني فلان فيه إلا كغبار النعل** ﴾.

(٣٢) عن يعقوب بن يزيد عن الحسن بن علي بن فضال عن ظريف بن ناصح وغيره عمن رواه عن حبابة الوالبية قالت: قلت: لأبي عبد الله عليه السلام إن لي ابن أخ وهو يعرف فضلكم وإني أحب أن تعلِمَني أمن شيعتكم؟ قال عليه السلام: ﴿ **وما اسمه؟** ﴾ قالت: قلت: فلان بن فلان قالت:

فقال عليه السلام: ﴿ **يا فلانة هات الناموس** ﴾ فجاءت بصحيفة تحملها كبيرة فنشرها ثم نظر فيها فقال عليه السلام: ﴿ **نعم هو ذا اسمه واسم أبيه هاهنا** ﴾.

(٣٣) عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن سيف بن عميرة عن أبي بكر الحضرمي عن رجل من بني حنيفة قال: كنت مع عمي فدخل على علي بن الحسين فرأى بين يديه صحائف ينظر فيها فقال له: أي شيء هذه الصحف جعلت فداك؟ قال عليه السلام: ﴿ **هذا ديوان شيعتنا** ﴾ قال: أفتأذن أطلب اسمي فيه؟ قال عليه السلام: ﴿ **نعم** ﴾ فقال: فإني لست أقرأ وابن أخي على الباب فتأذن له فيدخل حتى يقرأه؟ قال عليه السلام: ﴿ **نعم** ﴾ فأدخلني عمي فنظرت في الكتاب فأول شيء هجمت عليه اسمي فقلت: اسمي ورب الكعبة قال: ويحك فأين أنا فجزت بخمسة أسماء أو ستة ثم وجدت اسم عمي فقال علي بن الحسين عليهما السلام: ﴿ **أخذ الله ميثاقهم معنا على ولايتنا لا يزيدون ولا ينقصون إن الله خلقنا من أعلى عليين وخلق شيعتنا من طينتنا أسفل من ذلك وخلق عدونا من سجين وخلق أولياءهم منهم من أسفل النار** ﴾.

(٣٤) عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن سيف عن حسان عن أبي محمد البزاز قال: حدثني حذيفة بن أسيد الغفاري صاحب النبي صلى الله عليه وآله قال: دخلت على علي بن الحسين عليهما السلام فرأيته يحمل شيئاً قلت: ما هذا؟ قال عليه السلام: ﴿ **هذا ديوان شيعتنا** ﴾ قلت: أرني أنظر فيها اسمي، فقلت:

إني لست أقرأ، قال: ابن أخي يقرأ فدعا بكتاب فنظر فيه، فقال ابن أخي: اسمي ورب الكعبة، قلت: ويلك أين اسمي فنظر فوجد بعد اسمه بثمانية أسماء.

(٣٥) عن يعقوب بن يزيد عن الحسن بن علي بن الوشاء عن أبي حمزة قال: خرجت بأبي بصير أقوده إلى باب أبي عبد الله عليه السلام قال: فقال لي: لا تتكلم ولا تقل شيئاً فانتهيت به إلى الباب فتنحنح فسمعت أبا عبد الله عليه السلام فقال: ﴿ **يا فلانة افتحي لأبي محمد الباب** ﴾ قال: فدخلنا والسراج بين يديه فإذا سفط بين يديه مفتوح قال: فوقعت عليَّ الرعدة فجعلت أرتعد فرفع رأسه إلي فقال عليه السلام: ﴿ **أبزّاز أنت؟** ﴾ قلت: نعم جعلني الله فداك قال: فرمى إلي بملاأة قوهية[1] كانت على المرفقة فقال: " إطو هذه " فطويتها ثم قال عليه السلام: ﴿ **أبزَّاز أنت؟** ﴾ وهو ينظر في الصحيفة قال: فأزددت رعدة قال: فلما خرجنا قلت: يا أبا محمد ما رأيت كما مرَّ بي الليلة إني وجدت بين يدي أبي عبد الله عليه السلام سفطاً قد أخرج منه صحيفة فنظر فيها فكلما نظر فيها أخذتني الرعدة قال: فضرب أبو بصير يده على جبهته ثم قال: ويحك ألا أخبرتني فتلك والله الصحيفة التي فيها أسامي الشيعة ولو أخبرتني لسألته أن يريك اسمك فيها.

[1] ـ القوهية: ضربٌ من الثياب بيض، منسوبة إلى قوهستان .

(٣٦) عن علي بن الحسن عن الحسين بن الحسن السجاني عن الحسين بن يسار عن داود الرقي قال: قلت: لأبي الحسن الماضي عليه السلام: اسمي عندكم في السفط التي فيها أسماء شيعتكم فقال عليه السلام: ﴿ **إي والله في الناموس**﴾.

(٣٧) عن عبد الله بن محمد عن محمد بن الحسن السري عن عمه علي بن السري الكرخي قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليه شيخ ومعه ابنه فقال له الشيخ: جعلت فداك أمن شيعتكم أنا؟ فأخرج أبو عبد الله عليه السلام صحيفة مثل فخذ البعير فناوله طرفها ثم قال له: ﴿ **أدرج** ﴾ فأدرجه حتى أوقفه على حرف من حروف المعجم فإذا اسم ابنه قبل اسمه فصاح الابن فرحاً: إسمي والله فرحم الشيخ ثم قال له: ﴿ **أدرج** ﴾ فأدرج ثم أوقفه أيضاً على اسمه كذلك.

(٣٨) عن إبراهيم بن هاشم عن الحسين بن سيف عن أبيه عن فضيل بن عثمان عن أبي عبيدة الحذاء قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: ﴿ **يا أبا عبيدة مَن كان عنده سيف رسول الله صلى الله عليه وآله ودرعه ورايته المغلبة ومصحف فاطمة قرّت عينه** ﴾.

زبدةُ المخضِ:

إنّ هذا الكمّ الهائل من أخبار المصحف التكويني للصدّيقة الطاهرة الشهيدة عليها السلام يدفع كلّ شبهةٍ تقف بوجهها؛ لا سيَّما الشبهة القائلة بأن

معارفهم وراثية مستقاة من النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، ولا تُبقي مجالاً لأحدٍ كي يناقش - بحسب دعوى المشكِّك الأكبر محمد حسين - سندَ روايةِ نزولِ جبرائيل على الصدّيقة الكبرى مولاتنا فاطمة الزهراء (صلى الله عليها) وإخبارها عن الحوادث التكوينية - خيرها وشرّها - التي ستجري على شيعتها ومحبيها وغير ذلك، كما لا تُبقي - هذه الأخبار المتواترة - مجالاً لدعواه بوجود بعض الروايات الدالّة على أنّ المصحف هو ما كانت تسمعه من أبيها وبعلها حول قضايا الأحكام الشرعيّة، إذ إنّ الخبرَ الواحد لا يعارضُ الأخبارَ المتواترة، مع أنّ المذكور ادّعى بأنّ إثبات المصحف التشريعي إنما تمّ بواسطة بعض الروايات، وأما المصحف التكويني فإثباته بواسطة رواية واحدة، وهي دعوى كاذبة مئة بالمئة ليوهمَ القارئَ ويشكّكه في وجود أخبار تدلّ على إثبات المصحف التكويني، وقد مرّت عليك ــ أخي القارئ ــ تلك الأخبار الدالّة على المطلوب وهي غيض من فيض.

اللهمّ أنت الحكم الفصل يوم الحشر والنشر، تعدل بين عبادك بالحقّ وأنت خير الحاكمين، وسيعلم الّذين ظلموا - آل بيت محمّد - أيّ منقلبٍ ينقلبون والعاقبة للمتقين.

(النوع الثامن): إن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام علموا المحتومَ وغيرَ المحتومِ والعلمَ المكنون.

وقد روى المحدِّثون طائفةً كبيرة في هذا المجال واضحة الدلالة على أنّ عندهم جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء وعندهم أمر العالمين إلى يوم الدين.

فقد أفصحت هذه الطّائفة من الأحاديث عن سعة ذلك العلم الّذي كان عند الأئمة الأمناء (صلى الله عليهم)، فإنها أفادت: أنّ لله علمين، علماً أظهر عليه ملائكتَه وأنبياءَه ورسلَه، فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبياءه فقد علموه، وعلماً استأثر به عن جميع خلقه إلا عنهم عليهم السلام، فإذا خرج من عنده نفذ إليهم (صلوات الله عليهم).

من هذه الطائفة ما أورده الثقة الجليل الصفّار رضي الله عنه:

(١) حدّثنا محمد بن عبد الحميد وأبو طالب جميعاً عن حنان بن سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال: « **إن لله علماً عاماً وعلماً خاصاً فأما الخاص فالذي لم يطّلع عليه ملك مقرب ولا نبيٌّ مرسل وأما علمه العام الذي أطلعت عليه الملائكة المقربون والأنبياء المرسلون قد رفع ذلك كلّه إلينا** ثم قال عليه السلام: **أما تقرأ: و** ﴿..عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ... ﴿٣٤﴾ ﴾ ».

(٢) حدثنا أحمد بن محمد عن ابن أبي عمير أو عمّن رواه عن ابن أبي عمير عن جعفر بن عثمان عن سماعة عن أبي بصير ووهب عن أبي عبد

الله عليه السلام قال: ﴿ **إنّ لله علمين علم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو من ذلك يكون البداء وعلم علمه ملائكته ورسله وأنبياءه ونحن نعلمه** ﴾.

(٣) حدثنا محمد بن إسماعيل عن علي بن الحكم عن ضريس عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: ﴿ **إن لله علمين علم مبذول وعلم مكفوف فأما المبذول فإنه ليس من شيء يعلمه الملائكة والرسل إلا ونحن نعلمه وأما المكفوف فهو الذي عنده في أم الكتاب إذا خرج نفذ** ﴾.

(٤) حدثنا إبراهيم بن هاشم عن أبي عبد الله البرقي يرفع الحديث قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ **إن لله علمين علم تعلمه ملائكته ورسله وعلم لا يعلم غيره** [لعلّها تصحيف لا يعلمه غيره] **فما كان ممّا يعلمه ملائكته ورسله فنحن نعلمه وما خرج من العلم الذي لا يعلم غيره فإلينا يخرج** ﴾.

تنبيه:

المراد من ﴿ **إذا خرج نفذ** ﴾ أنَّه إذا أراد أمراً أمضاه الله تعالى، فخرج من عنده عزّ وجل ونفذ إليهم، فتدبّر.

الله أكبر ما أعظم منازلكم عند الله تعالى يا آل الله وآل رسوله..! وما أرفع مراتبكم أيها الهداة عند خالق الأرض والسّماوات، فقد رفعكم فوق

منازل النبيّين، وسما بكم على معارج المرسلين، حتى أطلعكم على ما استأثر به من العلم، واختصّكم بما لم يظهر عليه أولي العزم من رسله...!.

وليس وراء هذا العلم الحضوري علماً آخرَ؟ ولا ندري فذهاب البعض إلى العلم الحصولي الوراثي ما كان إلا لضعفٍ عقديٍّ في نفسه، وقلة تحصيل في المعارف الإلهية..؟! إذ كيف يُصار بعد ما تقدَّم كلّه إلى العلم الإشائيّ أو الإرادي؟!.

وثمة طوائف كثيرة تدل على علمهم الخاص المخزون استعرضناها في الجزء الثاني من كتابنا القيِّم الموسوم بـ (شبهة إلقاء المعصوم عليه السلام نفسه في التهلكة ودحضها)[1] فليُراجع هناك.

(النوع التاسع):إن أئمتنا الأطهار عليهم السلام مخصوصون بالرُزَم الإلهيَّة، وهي صحائف نزلت من ربّ الخلائق إليهم(سلام الله عليهم)، وفيها أوامر إلهيَّة لكلِّ واحدٍ منهم (سلام الله عليهم)، فكما أن أمهم الصدّيقة الطاهرة الشهيدة المظلومة عليها السلام كانت مخصوصةً بالصحيفة الإلهيَّة الخاصة بها، فكذلك بعلها وأولادها الطاهرون عليهم السلام كانوا مثلَها مخصوصين ومكلفين بتكاليف خاصة بهم، وتلك التكاليف هي أوامر إلهيَّة وإخبارات علميَّة من لدن حكيمٍ عليمٍ، وهي نظير الوحي النازل على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ما دلت عليه القرينة القطعية في خبر معاذ بن كثير الآتي بقوله: « **ليرثك علم**

[1] ـ أُنظر الكتاب المذكور:من صفحة ١٢٦ـ ٢٠٨.

النبوة ﴾ أي: ليرثك أمير المؤمنين عليه السلام كما ورثت أنت علم النبيين وطريقة توريثه لا تكون بالطرق الظاهرية ـ تسلُّم وتسليم ـ بل لها طرق غيبية؛ أي: إنزال وتنزيل من لدن عزيز حكيم؛ ما يعني أن معارفهم ليست وراثية محضة؛ بل ثمة قسم كبير منها علوم لدنية حضورية بإلهام من الله تعالى، وبالتالي فإنَّ كلَّ أفعالهم كانت بإشارة منه تبارك وتعالى وهو ما أكدت عليه النصوص الشريفة، وقد عقد الكليني رحمه الله باباً خاصاً في أن أفعالهم معهودة من اللَّه تعالى منها:

١- بإسناده عن محمد بن يحيى والحسين بن محمد عن جعفر بن محمد عن علي بن الحسين بن علي عن إسماعيل بن مهران عن أبي جميلة عن معاذ بن كثير عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: ﴿ **إن الوصية نزلت من السماء على محمد صلى الله عليه وآله كتاباً لم ينزل على محمد صلى الله عليه وآله كتاب مختوم إلا الوصية، فقال جبرئيل عليه السلام: يا محمد هذه وصيتك في أمتك عند أهل بيتك، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله أي أهل بيتي يا جبرئيل؟ قال نجيب اللَّه منهم وذريته ليرثك علم النبوة كما ورثه إبراهيم عليه السلام وميراثه لعلي عليه السلام وذريتك من صلبه قال وكان عليها خواتيم قال ففتح علي عليه السلام الخاتم الأول ومضى لما فيها ثم فتح الحسن عليه السلام الخاتم الثاني ومضى لما أمر به فيها فلما توفي الحسن عليه السلام ومضى فتح الحسين عليه السلام الخاتم الثالث فوجد فيها أن قاتل فاقتل وتُقتل واخرج بأقوام للشهادة لا**

شهادة لهم إلا معك قال ففعل عليه السلام **فلما مضى دفعها إلى علي بن الحسين قبل ذلك ففتح الخاتم الرابع فوجد فيها أن اصمت، وأطرق لما حجب العلم فلما توفي ومضى دفعها إلى محمد بن علي** عليه السلام **ففتح الخاتم الخامس فوجد فيها أن فسر كتاب اللّه وصدق أباك وورث ابنك واصطنع الأمة** [1] **وقم بحق اللّه تعالى وقل الحق في الخوف والأمن ولا تخش إلا اللّه ففعل ثم دفعها إلى الذي يليه** قال: قلت له: جعلت فداك فأنت هو؟ قال: فقال عليه السلام: **ما بي إلا أن تذهب يا معاذ فتروي علي** قال: فقلت: أسأل اللّه الذي رزقك من آبائك هذه المنزلة أن يرزقك من عقبك مثلها قبل الممات، قال عليه السلام: **قد فعل اللّه ذلك يا معاذ قال فقلت فمن هو جعلت فداك قال هذا الراقد وأشار بيده إلى العبد الصالح وهو راقد** ﴾.

٢- بإسناده عن أحمد بن محمد ومحمد عن محمد بن الحسين عن أحمد بن محمد عن أبي الحسن الكناني عن جعفر بن نجيح الكندي عن محمد بن أحمد بن عبيد اللّه العمري عن أبيه عن جده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: ﴿ **إن اللّه تعالى أنزل على نبيه عليه السّلام كتاباً قبل وفاته، فقال: يا محمد هذه وصيتك إلى النجبة من أهلك، قال: وما النجبة يا**

---

(١) قوله (واصطنع الأُمّة) أي ربّهم تربيةً ربانيّة وأحسن إليهم إحساناً وأخرجهم من الجهل إلى العلم ومن الظلمة إلى النور، من أصطنعته ربّيته وأخرجته.

جبرئيل؟ فقال: علي بن أبي طالب وولده عليه السلام وكان على الكتاب خواتيم من ذهب فدفعه النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأمره أن يفك خاتماً منه ويعمل بما فيه ففك أمير المؤمنين عليه السلام خاتماً وعمل بما فيه، ثم دفعه إلى ابنه الحسن عليه السلام ففك خاتماً وعمل بما فيه، ثم دفعه إلى الحسين عليه السلام ففك خاتماً فوجد فيه أن أخرج بقوم إلى الشهادة فلا شهادة لهم إلا معك وأشر نفسك لله تعالى ففعل، ثم دفعه إلى علي بن الحسين عليه السلام ففك خاتماً فوجد فيه أن أطرق وأصمت وألزم منزلك وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين ففعل، ثم دفعه إلى محمد بن علي عليه السلام ففك خاتماً فوجد فيه حدث الناس وأفتهم ولا تخافن إلا اللّه عز وجل فإنه لا سبيل لأحد عليك، ثم دفعه إلى ابنه جعفر ففك خاتماً فوجد فيه حدث الناس وأفتهم وأنشر علوم أهل بيتك وصدق آباءك الصالحين ولا تخافن إلا اللّه تعالى وأنت في حرز وأمان ففعل، ثم دفعه إلى ابنه موسى عليه السلام وكذلك يدفعه موسى إلى الذي بعده ثم كذلك أبداً إلى قيام المهدي صلّى الله عليه وآله وسلّم ».

٣- بإسناده عن محمد عن أحمد عن السراد عن ابن رئاب عن ضريس الكناسي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال له حمران جعلت فداك أرأيت ما كان من أمر علي والحسن والحسين عليهم السلام وخروجهم وقيامهم بدين اللّه عز

وجل وما أصيبوا من قتل الطواغيت إياهم والظفر بهم حتى قتلوا وغلبوا؟ فقال أبو جعفر عليه السلام : ﴿ **يا حمران إن اللّه تبارك وتعالى قد كان قدر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه ثم أجراه، فبتقدم علم ذلك إليهم من رسول اللّه صلى الله عليه وآله قام علي والحسن والحسين عليهم السلام وبعلم صمت من صمت منا** ﴾.

٤- بإسناده عن الحسين بن محمد الأشعري عن معلى بن محمد عن أحمد بن محمد عن الحارث بن جعفر عن علي بن إسماعيل بن يقطين عن عيسى بن المستفاد أبي موسى الضرير عن موسى بن جعفر عليهما السلام قال: ﴿ **قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام أليس كان أمير المؤمنين عليه السلام كاتب الوصية ورسول اللّه صلى الله عليه وآله المملي عليه وجبرئيل والملائكة المقربون عليهم السلام شهود، قال: فأطرق طويلاً ثم قال: يا أبا الحسن قد كان ما قلت ولكن حين نزل برسول اللّه صلى الله عليه وآله الأمر نزلت الوصية من عند اللّه كتاباً مسجلاً نزل به جبرئيل مع أمناء اللّه تبارك وتعالى من الملائكة.**

فقال جبرئيل: يا محمد مر بإخراج من عندك إلا وصيك لتقبضها منا وتشهدنا بدفعك إياها إليه ضامنا لها يعني علياً عليه السلام فأمر النبي صلى الله عليه وآله بإخراج من كان في البيت ما خلا علياً عليه السلام، وفاطمة عليها السلام فيما بين الستر والباب، فقال جبرئيل: يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول هذا كتاب ما كنت عهدت إليك وشرطت عليك

وشهدت به عليك وأشهدت عليك به ملائكتي وكفى بي يا محمد شهيداً، قال: فارتعدت مفاصل النبيﷺ وقال يا جبرئيل ربي هو السلام ومنه السلام وإليه يعود السلام صدق عز وجل وبر هات الكتاب فدفعه إليه وأمره بدفعه إلى أمير المؤمنينعليه السلام وقال: له اقرأه، فقرأه حرفاً حرفاً، وقال: يا علي هذا عهد ربي تبارك وتعالى إليَّ وشرطه عليَّ وأمانته وقد بلغت ونصحت وأديت، فقال عليعليه السلام : وأنا أشهد لك - بأبي وأمي أنت - بالبلاغ والنصيحة والصدق على ما قلت ويشهد لك به سمعي وبصري ولحمي ودمي، فقال جبرئيل: وأنا لكما على ذلك من الشاهدين، فقال رسول اللَّهﷺ: يا علي أخذت وصيتي وعرفتها وضمنت لله ولي الوفاء بما فيها فقال عليعليه السلام : نعم بأبي أنت وأمي علي ضمانها وعلى اللَّه عوني وتوفيقي على أدائها، فقال رسول اللَّهﷺ: يا علي إني أريد أن أشهد عليك بموافاتي بها يوم القيامة. فقالعليه السلام : نعم أشهد؛ فقال النبيﷺ: إن جبرئيل وميكائيل فيما بيني وبينك الآن وهما حاضران، معهما الملائكة المقربون لأشهدهم عليك، قال: نعم ليشهدوا وأنا بأبي وأمي أشهدهم، فأشهدهم رسول اللَّهﷺ وكان فيما أشترط عليه النبيﷺ بأمر جبرئيل فيما أمره اللَّه عز وجل أن قال له: يا علي تفي بما فيها من موالاة من والى اللَّه ورسوله والبراءة والعداوة لمن عادى اللَّه ورسوله والبراءة منهم على

الصبر منك على كظم الغيظ وعلى ذهاب حقك وغصب خمسك وأنتهاك حرمتك، فقال: نعم يا رسول اللّه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد سمعت جبرئيل عليه السلام يقول للنبي صلى الله عليه وآله: يا محمد عرّفه أنه تنتهك الحرمة وهي حرمة اللّه وحرمة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وعلى أن تخضب لحيته من رأسه بدم عبيط، قال أمير المؤمنين عليه السلام: فصعقت حين فهمت الكلمة من الأمين جبرئيل حتى سقطت على وجهي، وقلت: نعم قبلت ورضيت وإن أنتهكت الحرمة وعطلت السنن ومزق الكتاب وهدمت الكعبة وخضبت لحيتي من رأسي بدم عبيط صابراً محتسباً أبداً حتى أقدم عليك، ثم دعا رسول اللّه صلى الله عليه وآله فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأعلمهم مثل ما أعلم أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا مثل قوله فختمت الوصية بخواتيم من ذهب لم تمسه النار ودفعت إلى أمير المؤمنين عليه السلام. فقلت لأبي الحسن: بأبي أنت وأمي ألا تذكر ما كان في الوصية؟ فقال عليه السلام: **سنن اللّه وسنن رسوله صلى الله عليه وآله**، فقلت: أكان في الوصية توثبهم وخلافهم على أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال عليه السلام: **نعم واللّه شيئاً شيئاً وحرفاً حرفاً أما سمعت قول اللّه عز وجل:** ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَـٰرَهُمْۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ **واللّه لقد قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله لأمير**

المؤمنين وفاطمةعليها السلام: أليس قد فهمتما ما تقدمت به إليكما وقبلتماه؟ فقالا: بلى وصبرنا على ما ساءنا وغاظنا ﴾.

بيان:

الظاهر من هذا الخبر الشريف أن مولاتنا الصدِّيقة الكبرى عليها السلام كانت مكلّفةً بالوصية الإلهية كما كان بعلها وبنوها عليهم السلام، ويظهر لنا أنَّ تكليفَها إنما هو القيام بوجه الطاغوتين: أبي بكر وعمر؛ وذلك لقرينتين في الخبر الشريف:

(القرينة الأولى): ما قاله النبيُّ الأعظم صلى الله عليه وآله للإمام الأعظم أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿**وانتهاك حرمتك**﴾؛ أي: انتهاكهم حرمة سيّدة نساء العالمين عليها السلام بالاعتداء عليها وتهشيم أضلاعها، وإسقاط جنينها وصفعها على خدها وضربها بالسوط على عضدها ورفسها على بطنها وضغطها بين الحائط والباب، فغرز مسماره في صدرها الشريف... وما حصل عليها من الحيفِ والظلمِ لم يكن إلا لتصديها لباطلهم وظلمهم ونصبهم وكرههم لها؛ وانتهاك حرمتها فرع قيامها بمجابهة الطواغيت في عصرها، وقيامها فرع تكليف الله تعالى لها بذلك، فتأمل.

(القرينة الثانية): قول النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله: ﴿ **أليس قد فهمتما ما تقدمت به إليكما وقبلتماه؟ فقالا: بلى وصبرنا على ما ساءنا وغاظنا**﴾ ظاهر في أن الله تعالى قد حمَّلها وصية خاصة وكلفها بأمرٍ

خاص، ما يعني أنها مثل رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام حجة الله على خلقه ولها ما لسائر الأنبياء والحجج من الحجية الإلهية على عامة خلقه وأنها مسددة بالإلهام والعلم الحضوري اللدني روحي فداها ولعن الله ظالميها من أعمدة السقيفة.

٥- بإسناده علي بن إبراهيم عن أبيه عن الأصم عن أبي عبد اللّه البزاز عن حريز قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام جعلت فداك: ما أقل بقاءكم أهل البيت وأقرب آجالكم بعضها من بعض مع حاجة الناس إليكم، فقال عليه السلام: **﴿ إن لكل واحد منا صحيفة فيها ما يحتاج إليه أن يعمل به في مدته فإذا أنقضى ما فيها مما أمر به علم أن أجله قد حضر. فأتاه النبي صلى الله عليه وآله ينعى إليه نفسه وأخبره بما له عند اللّه، وإن الحسين عليه السلام قرأ صحيفته التي أعطيها وفسر له ما يأتي بنعي وبقي فيها أشياء لم تقض فخرج للقتال وكانت تلك الأمور التي بقيت أن الملائكة سألت اللّه في نصرته فأذن لها فمكثت تستعد للقتال وتتأهب لذلك حتى قُتل فنزلت وقد أنقضت مدته وقتل عليه السلام فقالت الملائكة: يا رب أذنت لنا في الإنحدار وأذنت لنا في نصرته فأنحدرنا وقد قبضته. فأوحى اللّه تعالى إليهم أن الزموا قبره حتى تروه وقد خرج فأنصروه وأبكوا عليه وعلى ما فاتكم من نصرته فإنكم قد خصصتم بنصرته وبالبكاء**

عليه. فبكت الملائكة تعزياً وحزناً على ما فاتهم من نصرته فإذا خرج يكونون أنصاره ﴾.

تسليط الضوء على إخباراتهم الغيبية قبل خروج وليّ الأمر (عجَّل الله تعالى فرجه الشريف:

وهنا ينبغي لنا أن نسلِّط الضوءَ على الإخبارات الغيبية الصادرة عنهم (سلام الله عليهم) حول مستقبل الساحة الشيعيَّة والعالميَّة قبل خروج الإمام الصاحب بقية الله الأعظم الحجَّة القائم (أرواحنا فداه)؛ وهي إخبارات لدنية بمقتضى ما حباهم به المولى تبارك شأنه من العلم اللدني وفصل الخطاب وعلمهم بالبلايا والمنايا وليس للوراثة فيها نصيب، بل هي علوم لدنيَّة حضورية تتعلق بالحوادث التكوينية ساعة بساعة على حدّ تعبير إمامنا الصادق عليه السلام، فقد عقد المحدِّث الكليني رحمه الله باباً في هذا الشأن، نستعرض جملةً منه، هو التالي:

[الخبر الأول]: عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيه عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمُهْتَدِي عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ جُنْدَبٍ أَنَّه كَتَبَ إِلَيْه الرِّضَا عليه السلام: ﴿ **أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله كَانَ أَمِينَ اللَّه فِي خَلْقِه فَلَمَّا قُبِضَ صلى الله عليه وآله كُنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَثَتَه فَنَحْنُ أُمَنَاءُ اللَّه فِي أَرْضِه عِنْدَنَا عِلْمُ الْبَلَايَا والْمَنَايَا وأَنْسَابُ الْعَرَبِ ومَوْلِدُ الإِسْلَامِ وإِنَّا لَنَعْرِفُ الرَّجُلَ إِذَا رَأَيْنَاه بِحَقِيقَةِ الإِيمَانِ وحَقِيقَةِ النِّفَاقِ وإِنَّ شِيعَتَنَا لَمَكْتُوبُونَ بِأَسْمَائِهِمْ وأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ أَخَذَ اللَّه عَلَيْنَا**

وعلَيهِمُ المِيثَاقَ يَردُونَ مَورِدَنَا ويَدخُلُونَ مَدخَلَنَا لَيسَ علَى مِلَّةِ الإِسلامِ غيرُنَا وغيرُهُمْ نَحنُ النُّجبَاءُ النُّجَاةُ ونَحنُ أَفرَاطُ الأَنبِيَاءِ ونَحنُ أَبنَاءُ الأَوصِيَاءِ ونَحنُ المَخصُوصُونَ فِي كِتَابِ اللَّه عَزَّ وجَلَّ ونَحنُ أَولَى النَّاسِ بكِتَابِ اللَّه ونَحنُ أَولَى النَّاسِ برَسُولِ اللَّهِ ﷺ ونَحنُ الَّذِينَ شَرَعَ اللَّه لَنَا دِينَه فقَالَ فِي كِتَابِه: ﴿ ۞شَرَعَ لَكُم ﴾ **يَا آلَ مُحَمَّدٍ** ﴿ مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ **قَدْ وَصَّانَا بمَا وَصَّى به نُوحاً** ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ **يَا مُحَمَّدُ** ﴿ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ ﴾ **فَقَدْ عَلَّمَنَا وبَلَّغَنَا عِلمَ مَا عَلِمنَا واستَودَعَنَا عِلمَهُمْ نَحنُ وَرَثَةُ أُولِي العَزمِ مِنَ الرُّسُلِ** ﴿ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ ﴾ **يَا آلَ مُحَمَّدٍ** ﴿ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ **وكُونُوا عَلَى جمَاعَةٍ** ﴿ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ **مَنْ أَشرَكَ بوَلايَةِ عَلِيٍّ** ﴿ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ﴾ **مِنْ وَلايَةِ عَلِيٍّ، إِنَّ اللَّه يَا مُحَمَّدُ** ﴿يَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ **مَنْ يُجِيبُكَ إِلَى وَلايَةِ عَلِيٍّ** عليه السلام ﴾.

[الخبر الثاني]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحيَى عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْخَطَّابِ عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ زُرْعَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّه عليه السلام : ﴿ **إِنَّ سُلَيْمَانَ وَرِثَ دَاوُدَ وإِنَّ مُحَمَّداً وَرِثَ سُلَيْمَانَ وإِنَّا وَرِثْنَا مُحَمَّداً وإِنَّ عِنْدَنَا عِلْمَ التَّوْرَاةِ والإِنْجِيلِ والزَّبُورِ وتِبْيَانَ مَا فِي الأَلْوَاحِ،** قَالَ: قُلْتُ: إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْعِلْمُ، قَالَ عليه السلام : **لَيْسَ هَذَا هُوَ الْعِلْمَ، إِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي يَحْدُثُ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ وسَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ**﴾.

[الخبر الثالث]: أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى عَنْ شُعَيْبٍ الْحَدَّادِ عَنْ ضُرَيْسٍ الْكُنَاسِيِّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام وعِنْدَه أَبُو بَصِيرٍ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّه عليه السلام: ﴿ **إِنَّ دَاوُدَ وَرِثَ عِلْمَ الأَنْبِيَاءِ وإِنَّ سُلَيْمَانَ وَرِثَ دَاوُدَ وإِنَّ مُحَمَّداً ص وَرِثَ سُلَيْمَانَ وإِنَّا وَرِثْنَا مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وإِنَّ عِنْدَنَا صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ وأَلْوَاحَ مُوسَى**، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْعِلْمُ، فَقَالَ عليه السلام: **يَا أَبَا مُحَمَّدٍ لَيْسَ هَذَا هُوَ الْعِلْمَ إِنَّمَا الْعِلْمُ مَا يَحْدُثُ بِاللَّيْلِ والنَّهَارِ يَوْماً بِيَوْمٍ وسَاعَةً بِسَاعَةٍ** ﴾.

[الخبر الرابع]: مُحَمَّدٌ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام أَنَّه سَأَلَه عَنْ قَوْلِ اللَّه عَزَّ وجَلَّ: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ... ﴿١٠٥﴾ ﴾ مَا الزَّبُورُ ومَا الذِّكْرُ؟ قَالَ عليه السلام: ﴿ **الذِّكْرُ عِنْدَ اللَّه والزَّبُورُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى دَاوُدَ وكُلُّ كِتَابٍ نَزَلَ فَهُوَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ ونَحْنُ هُمْ** ﴾.

[الخبر الخامس]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي زَاهِرٍ أَوْ غَيْرِه عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَمَّادٍ عَنْ أَخِيه أَحْمَدَ بْنِ حَمَّادٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيه عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الأَوَّلِ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَه: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَخْبِرْنِي عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَرِثَ النَّبِيِّينَ كُلَّهُمْ؟ قَالَ: ﴿ **نَعَمْ** ﴾ قُلْتُ: مِنْ لَدُنْ آدَمَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى نَفْسِه؟ قَالَ: ﴿ **مَا بَعَثَ اللَّه نَبِيّاً إِلا ومُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله أَعْلَمُ مِنْه**، قَالَ: قُلْتُ:

إنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ كَانَ يُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّه، قَالَ: **صَدَقْتَ وسُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ كَانَ يَفْهَمُ مَنْطِقَ الطَّيْرِ وكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْدِرُ عَلَى هَذِهِ الْمَنَازِلِ**، قَالَ: فَقَالَ: **إنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ قَالَ لِلْهُدْهُدِ حِينَ فَقَدَه وشَكَّ فِي أَمْرِهِ:** ﴿..فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ٢٠﴾ **حِينَ فَقَدَه فَغَضِبَ عَلَيْه فَقَالَ** ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ٢١﴾ **وإِنَّمَا غَضِبَ لأَنَّه كَانَ يَدُلُّه عَلَى الْمَاءِ فَهَذَا وهُوَ طَائِرٌ قَدْ أُعْطِيَ مَا لَمْ يُعْطَ سُلَيْمَانُ وقَدْ كَانَتِ الرِّيحُ والنَّمْلُ والإِنْسُ والْجِنُّ والشَّيَاطِينُ والْمَرَدَةُ لَه طَائِعِينَ ولَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ الْمَاءَ تَحْتَ الْهَوَاءِ وكَانَ الطَّيْرُ يَعْرِفُه وإِنَّ اللَّه يَقُولُ فِي كِتَابِه:** ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰۗ ... ٣١﴾ **وقَدْ وَرِثْنَا نَحْنُ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي فِيه مَا تُسَيَّرُ بِه الْجِبَالُ وتُقَطَّعُ بِه الْبُلْدَانُ وتُحْيَا بِه الْمَوْتَى ونَحْنُ نَعْرِفُ الْمَاءَ تَحْتَ الْهَوَاءِ وإِنَّ فِي كِتَابِ اللَّه لآيَاتٍ مَا يُرَادُ بِهَا أَمْرٌ إِلا أَنْ يَأْذَنَ اللَّه بِه مَعَ مَا قَدْ يَأْذَنُ اللَّه مِمَّا كَتَبَه الْمَاضُونَ جَعَلَه اللَّه لَنَا فِي أُمِّ الْكِتَابِ إِنَّ اللَّه يَقُولُ:** ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٧٥﴾ **ثُمَّ قَالَ** ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ... ٣٢﴾ **فَنَحْنُ الَّذِينَ اصْطَفَانَا اللَّه عَزَّ وجَلَّ وأَوْرَثَنَا هَذَا الَّذِي فِيه تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ** ».

وقد أورد الكليني رحمه الله في (أُصول الكافي) باب: أن الأئمة عليهم السلام هم أركان الأرض، عدة أحاديث في علمهم اللدني بالمنايا والبلايا، منها:

١- بإسناده عن أحمد بن مهران عن محمد بن علي ومحمد عن أحمد جميعاً عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر عن الإمام أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: ﴿ **ما جاء به علي عليه السلام أخذ به وما نهى عنه أنتهى عنه، جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمد صلى الله عليه وآله ولمحمد صلى الله عليه وآله الفضل على جميع من خلق اللَّه المتعقب عليه في شيء من أحكامه كالمتعقب على اللَّه وعلى رسوله، والراد عليه في صغيرة أو كبيرة على حد الشرك بالله، كان أمير المؤمنين عليه السلام باب اللَّه الذي لا يؤتى إلا منه، وسبيله الذي من سلك بغيره هلك، وكذلك يجري لأئمة الهدى واحداً بعد واحد، جعلهم اللَّه أركان الأرض أن تميد بأهلها، وحجته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى، وكان أمير المؤمنين عليه السلام كثيراً ما يقول: أنا قسيم اللَّه بين الجنة والنار، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا صاحب العصا والميسم ولقد أقرت لي جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقروا به لمحمد صلى الله عليه وآله ولقد حملت على مثل حمولته وهي حمولة الرب وأن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله يدعى فيكسى وأدعى فأكسى ويستنطق وأستنطق فأنطق على حد منطقه ولقد أعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي علمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب فلم يفتني ما سبقني**

ولم يعزب عني ما غاب عني أبشر بإذن اللَّه وأؤدي عنه كل ذلك من اللَّه مكنني فيه بعلمه ﴾.

٢- بإسناده أيضاً عن محمد بن يحيى وأحمد عن محمد بن الحسن عن علي بن حسان عن أبي عبد اللَّه الرياحي عن أبي الصامت الحلواني عن أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿ **فضل أمير المؤمنين عليه السلام ما جاء به أخذ به وما نهى عنه أنتهى عنه جرى له من الطاعة بعد رسول اللَّه صلى الله عليه وآله ما لرسول اللَّه صلى الله عليه وآله والفضل لمحمد صلى الله عليه وآله المتقدم بين يديه كالمتقدم بين يدي اللَّه ورسوله والمتفضل عليه كالمتفضل على رسول اللَّه صلى الله عليه وآله والراد عليه في صغيرة أو كبيرة على حد الشرك بالله فإن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله باب اللَّه الذي لا يؤتى إلا منه وسبيله الذي من سلكه وصل إلى اللَّه تعالى وكذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام من بعده وجرى للأئمة واحداً بعد واحد جعلهم اللَّه أركان الأرض أن تميد بأهلها وعمد الإسلام ورابطة على سبيل هداه لا يهدي هاد إلا بهداهم ولا يضل خارج من الهدى إلا بتقصير عن حقهم أمناء اللَّه على ما أهبط من علم أو عذر أو نذر والحجة البالغة على من في الأرض يجري لآخرهم من اللَّه مثل الذي جرى لأولهم ولا يصل أحد إلى ذلك إلا بعون اللَّه تعالى، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا قسيم اللَّه بين الجنة والنار لا يدخلها داخل إلا على حد قسمي وأنا الفاروق الأكبر وأنا الإمام لمن بعدي والمؤدي عمن كان**

قبلي لا يتقدمني أحد إلا أحمد ﷺ وإني وإياه لعلى سبيل واحد إلا أنه هو المدعو باسمه ولقد أعطيت الست علم المنايا والبلايا والوصايا وفصل الخطاب وإني لصاحب الكرات ودولة الدول وإني لصاحب العصا والميسم والدابة التي تكلم الناس ﴾.

بيان:

علم المنايا: هو علم الآجال؛ والبلايا: هو علم الحوادث والفتن، والأنساب: هو علم العلاقات الرحمية؛ وفصل الخطاب: هو علم الفراسة وقطع الجدال والخصام بإصابة الحجَّة، وقيل في قوله تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ۝٢٠ ﴾[1] أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحلم وضده.. وذلك كلّه من خلال الفراسة والسِماء، ولا علاقة للوراثة في معرفة هذه العلوم عند المعصوم عليه السلام.

فذلكة البحث:

إن غايتنا من السَّرْد العقائدي التحليلي حول علم المعصوم (سلام الله عليه) في الفصلين المتقدِّمين لم تكن لأجل النقض والإبرام لمجرد كونه كذلك، وليس لأجل التشفي من هذا وذاك... كلا ثم كلا..! إذ ليست لنا مواقفُ هجومية لواحدٍ من هؤلاء وإن كان قد نالنا من أحدهم ما نالنا من الأذى والتجريح بغير حقٍّ بسبب الحسد والتوجهات الحزبية الممقوتة... وإنما

---

(١) سورة ص.

كانت غايتنا ردّ المعالم من هذا الدين الذي تلوث بشبهاتٍ لبَّسها عليه أصحابها بثوب البحث العلمي حيث نسب بعضهم إلى المعصوم عليه السلام ضعف قنواته العلمية فحصروها بالقنوات الوراثية والكسبية، فأحدهم حصرها بما تلقاه المعصوم عليه السلام من النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله في كتابه "دراسة في علامات الظهور[1]".

وادَّعى السيِّد محمد صادق الصدر في كتابه" الغيبة الكبرى[2]"؛ بأن تكامل الإمام عليه السلام يتمُّ عبر سببين هما الآتيان:

(الأول): الإلهام الربوبي.

(الثاني): التجربة المعاصرة للأجيال وما يمر به القائد المعصوم من مصاعبَ ومحن توجب تصاعد كماله وترسخه.. وقد سمَّاه " تكامل ما بعد العصمة " وأضاف مع ابن عمِّه السيّد محمد باقر الصدر في بحثه (حول الإمام المهدي عليه السلام)[3] أنَّ: " السبب في غياب الإمام الحجَّة القائم عجل الله فرجه هو لأجل أنْ يواكبَ الحضاراتِ المتعاقبة من خلال المواجهة المباشرة لحركتها وتطوراتها؛ لأن لها أثراً كبيراً في الإعداد الفكري وتعميق الخبرة القيادية لليوم الموعود، وليكون قادراً على تقييم الظواهر الاجتماعية وكيفية التعامل معها على ضوء الإسلام...".

---

(1) أُنظر: جعفر مرتضى/ دراسة في علامات الظهور في الصفحات التالية: ٧، ١٣، ١٤، ١٥.
(2) أُنظر: محمد صادق الصدر/الغيبة الكبرى صفحة ٤٢٣ ــ ٤٣٥.
(3) ـ أُنظر: محمد باقر الصدر/ بحث حول الإمام المهدي عليه السلام؛ المبحث الثالث الصفحة الثانية والسبعين.

هذه الشبهاتُ تفرضُ نَفْسَها على البسطاء من العوام الذين يميلون مع كلِّ ريح وينعقون مع كلّ ناعقٍ، فلا يجوز لنا السكوت عنها والوقوف مكتوفي الأيدي نتفرج على الهرج والمرج في الدين والاستخفاف بالهيكلية العقائدية التي يتحلى بها الإمام المعصوم عليه السلام التي دلت الأدلة والبراهين من الكتاب والسنَّة على ثبوتها وصحتها، فمن الخيانة العظمى أن نبكي على الأطلال ونترك الحبلَ على غاربه تلعب عليه ثلةٌ من العلماء القشريين؛ لأن وظيفة العالم المكدّ هي محاربَة الشبهاتِ وقمع البدع والضلالاتِ؛ وإلا فعليه لعنة الله كما جاء في الحديث الشريف، من هنا كان الردُّ منا واجباً، وهو ما فعلناه في كتابنا هذا، ولا نبالي بسخط من سخط علينا ما دامت غايتنا رضا الله ورضا رسوله والحجج الطاهرين عليهم السلام عسى أن ننال الحظوة عندهم والزلفى لديهم، والحمد لله ربّ العالمين.

تمَّ الانتهاء من الجزء الأول لكتابنا الموسوم بـ" تحقيق في علامات الظهور الشريف/قواعد وضوابط" ويليه الجزء الثاني بعون الله تعالى.

العبد الأحقر محمد جميل حمّود العاملي

بيروت بتاريخ ١٧ صفر ١٤٣٧ هجري

******

المحتويات

الفصل الثاني

القنوات العلمية للأئمة الطاهرين (سلام الله عليهم)